١٩٤

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في القبرص
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الأول — المحرم سنة ١٣٨٠ هـ — يونيه سنة ١٩٦٠ م — المجلد الثاني والثلاثون

من ذكريات المحرم

هجرة في سبيل الله وشهادة في سبيل الحق

بقلم : أحمد حسن الزيات

— ١ —

بعث الله النبي الكريم على فترة من الرسل في عصر غير ذي دين ، وجيل غير ذي خلق ، وبلد غير ذي زرع : فلقي صلوات الله عليه من سفه الجاهلية وكلب المادية وكيد العصبية وحرمان الفقر وخذلان القلة ما لا يسعه طوق بشر إلا بروح من الله وسند من الإيمان وعون من الخلق .

حمل محمد رسالة الله وهو فقير ضعيف ، وحمل أبو جهل رسالة الشيطان وهو غني مسلط ، فحول مكة المشركة جبلا من السعير سد على الرسول طريق الدعوة ، فكان يخطو في طرقها وشعابها على أرض تمور بالفتون وتفور بالعذاب ، وتفجر عليه في كل خطوة سفاهة أبي لهب بالأذى والهون والمعاياة والمعارضة — وكل قرشي كان يومئذ أبا جهل أو أبا لهب إلا من حفظ الله. وافتن كفار مكة ومشركو الطائف في أذى الرسول فعذبوه في نفسه وفي أهله وفي صحبه ليحملوه على ترك الدعوة فما لان ولا

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة المجلة مع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في تحريرها
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الأول — المحرم سنة ١٣٨٠ هـ — يونيه سنة ١٩٦٠ م — المجلد الثاني والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

من ذكريات المحرم

هجرة في سبيل الله وشهادة في سبيل الحق

بقلم : أحمد حسن الزيات

— ١ —

بعث الله النبي الكريم على فترة من الرسل في عصر غير ذي دين ، وجيل غير ذي خلق ، وبلد غير ذي زرع : فاق صلوات الله عليه من سفه الجاهلية وكلب المادية وكيد العصبية وحرمان الفقر وخذلان القلة ما لا يسعه طوق بشر إلا بروح من الله وسند من الإيمان وعون من الخلق .

حمل محمد رسالة الله وهو فقير ضعيف ، وحمل أبو جهل رسالة الشيطان وهو غني مساط ، فحول مكة المشركة جبلا من السعير سد على الرسول طريق الدعوة ، فكان يخطو في طرقها وشعابها على أرض تمور بالفتون وتفور بالعذاب ، وتفجر عليه في كل خطوة سفاهة أبي لهب بالأذى والهون والمعاياة والمعارضة — وكل قرشي كان يومئذ أبا جهل أو أبا لهب إلا من حفظ الله.

وافتن كفار مكة ومشركو الطائف في أذى الرسول فعذبوه في نفسه وفي أهله وفي صحبه ليحملوه على ترك الدعوة فما لان ولا

استكان ولا خضع . وحينئذ تدخل الشيطان بنفسه فى (دار الندوة) فقرر القتل ، وتدخل الله برَوحه فى (غارثور) فقدر النجاة ! .

كانت ليالى الغار أحلك ليالى الهم فى تاريخ الدعوة : سيوف الغدر مصلتة فى أكف الفتية المختارين من قبائل قريش يرقبون مثوى الرسول بعيون لا تغفل ، وعلى نائم فى فراش ابن عمه متسجياً ببرده يوهم القوم أن طلبتهم بين أيديهم حتى لا يطلبوها فى مكان آخر . والمهاجر الفار بدينه من صولة الكفر لائذ بالغار فى أسفل مكة يحصن نفسه بذكر الله ، ويطمئن قلبه بسكينة الصبر ، ويقول لصاحبه وهو لا يتقارُ من الخوف ولا يتماسك من الأسى : « لا تحزن إن الله معنا » . والمؤتمرون حين كشف لهم الصباح عن وجه الخديعة يطلبونه فى كل مكان ويرصدونه بكل سبيل ، حتى إذا لم يبق بينهم وبين الرسول والصدّيق إلا نظرة وخطوة ، أراد الله أن تدرك قدرته كلمته فطمس عين الباطل فلم ير ، وزلزل قدم الشرك فلم يلحق ، وانطلق محمد هو وصاحبه ودليله وخادمه على عيون المشركين فى الطريق الموحش الوعر حتى بلغوا طيبة . وهنالك بالصبر والصدق والإيمان والرجولة أثمر غرس الدعوة وتم نور الله . جمع الرسول شتات الجماعة ، ووثق عقدة الدين ، وأعد أهبة الجهاد ، فألف بين الأوس والخزرج ، وآخى بين المهاجرين والأنصار ، وعاهد بين المسلمين واليهود ، حتى تكتّب فى يثرب جيش الله الذى فتح الدنيا بفتح مكة .

لم تكن هجرة الرسول هربا من وجه الموت كما يسميها كتاب الفرنج . فإن الأمر لو كان أمر الحياة لترك الرسول الدعوة وظل عزيزاً فى قومه آمناً فى سربه . ولكنه أمر الله الذى قال فيه لعمه أبى طالب : والله ياعم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته . إنما كانت الهجرة خروجا من أرض نبتْ على الغراس الالهى فلم تدعه ينبت ، وتحولا عن قوم صدوا عن سبيل الله فلم يدعوها تؤدى . وما كانت دعوة الحق فى مكة إلا غيثاً أنزله الله فى يباب القفر فغاض بعضه فى سباخ الأرض واحتبس بعضه فى أصلاد الصخر ، ثم نفس الله عنه من شدة الضيق والحصر فانبثقت عنه الحواجز الصم فجرى سيولا فى السهول والأودية ، وتشعب ينابيع فى القرى والمدائن ، يحمل الخصب والنماء ، ويوزع الرى والغذاء ، فأحيا موات الأرض ، وروى غلة الناس وكان منه العمارة والحضارة والخير .

كانت هجرة الرسول إلى المدينة هى هذا الانبثاق الذى انساح به الاسلام فى أقطار الأرض يحمل الهدى للأرواح الحائرة ، والسلام للنفوس المحروبة ، والألفة للقلوب

المختلفة ، ويحقق لهذا الانسان طريد العدوان وعبد الطغيان أحاديث أحلامه وهواجس أمانيه ، من الأخوة التي يعم بها النعيم والمساواة التي يقوم عليها العدل ، والحرية التي تخصب بها المدارك .

كان حادث الهجرة الذي جعل عامه عمر الحكيم العظيم تاريخاً للمسلمين يحسبون منه أيامهم ويؤرخون به أحداثهم ، ملحمة من ملاحم البطولة استمدت إلهامها من وحي الله ، وروحها من خلق محمد ، وعملها من صدق العرب ، واستقرت في مسامع الأجيال والقرون مثلا مضروبا لقواد الانسانية يعلمهم الصبر على مكاره الرأي ، والاستمساك في مزالق الفتنة ، والاستبسال في مواقف المحنة ، والاستشهاد في سبيل المبدأ .

ثم كانت الهجرة أساساً لصرح الوحدة العربية أرساه الرسول في المدينة ، ثم قواه بفتح مكة ، ثم أعلاه خلفاؤه الراشدون بجمعهم العرب باديهم وحاضرهم على نظام ديمقراطي حر ، وفي حكم تيوقراطي منزه . فأصبحت السيادة للدين لا للنسب ، والإخاء في الله لا في العصب .

— ٢ —

ثم انصدع هذا الصرح بالفتنة الكبرى واشتداد النزاع على الإمامة بين علي ومعاوية ، أو بين هاشم وأمية ، وما اقتضته سياسة الأموي الأول من تغليب العصبية القبلية على القومية العربية ، وإيثار السياسة الدنيوية على السياسة الدينية ؛ وجعله ولاية العهد لابنه المستهتر بطريق لا سليم ولا مستقيم ، واستبداد الهوى المريض بقلب خليفته يزيد . وكان بنو علي قد ورثوا عنه ما ورثه هو بحكم مولده ومرباه من مناقب النبوة ومواهب الرسالة ، فتولوا المعارضة بصراحة المؤمن . وقادوا حركة الاصلاح ببسالة المجاهد ، وساسوا الناس بسياسة أبيهم ، فما قارفوا الأثرة ، ولا حاولوا الفرقة ، ولا راقبوا الفرصة ، ولا أثاروا العصبية ، ولا استخدموا المال ؛ ولكن دنيا الفتوح كانت يومئذ قد أخذت تتجاهل دنيا البساطة والزهد ، فلم تعد السياسة الدينية وحدها قادرة على كبح النفوس المفتونة بسرف القصر في الشام وترف العيش في العراق ، ففسد أمر بني علي بين طغيان الحكومة وخذلان الشعب . وشق على الحسين أن يرى دعوة جده تصير دعاية . وخلافة أبيه تنقلب ملكا ، ووحدة قومه تصبح شتى ، فنهض بنفسه للأمر وأخذ يستنفر القبائل ويستنصر الأحزاب فما رجع من سعيه لديهم بطائل . ورأى له القدر المقدور أن يلتمس النصرة عند شيعة أبيه في العراق ، وكانوا قد وعدوه بالرسل ، ومنوه بالرسائل ، أن يرضوا له الأمر ويجمعوا عليه البيعة . فشخص إليهم بقومه ، وكانوا لا يزيدون على الثمانين ، فيهم نساؤه وأولاده ، وهو يردد في نفسه ما قاله

لأخيه محمد فى وصيته : « إنى لم أخرج أشرا ولا بطرا ، وإنما خرجت لطلب الإصلاح فى أمة جدى ، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر ، فمن قبلنى بقول الحق فالله أولى بالحق ، ومن رد على هذا صبرت حتى يقضى الله بينى وبين القوم بالحق ، وهو خير الحاكمين » .

ولكن جيش يزيد وكله من أهل العراق اعترض سبيله إلى الكوفة وفى قلب قائده العدوان وعلى لسانه التحدى ، فقابل ابن زياد الحلم بالسفه ، والمنطق بالعناد ، والإباء بالتحرش ، وحمل الحسين حملا على قتال يائس ، ثم منعه ورد الفرات واورده ظمآن حوض المنون ، فقتل سبط الرسول ومن معه قتلة لا يزال يرعد من هولها الدهر !

— ٣ —

هاتان ذكريان يخطرهما على البال حلول شهر المحرم من كل عام : ذكرى هجرة الرسول ، وهى عيد انطلاق الدعوة المحمدية من حصار مكة ، وانبثاق الرسالة الإلهية فى أفق المدينة ، وانعتاق الإنسانية كلها من رق الجهالة . وذكرى مصرع الحسين ، وهى مأتم الحق المقتول والحق المخذول والوحدة التى انصدعت فلم تلتئم منذ يومئذ حتى اليوم .

لذلك يستقبل المسلمون عامهم الهجرى بوجهين مختلفين ومظهرين متباينين : بعضهم يذكر به انتصار المهاجر العظيم فيلقاه بوجه منبسط وقلب مغتبط ، وبعضهم يذكر به استشهاد المجاهد الكريم فيلقاه بصدر ملتاع ووجه مكتئب ، ولو أن وحدتنا ظلت جامعة لاستقبلناه بوجه واحد ورأى جميع ، وتركنا فى ذمة التاريخ تلك المأساة التى شعبت الطريق وفرقت الإخوة وأوهنت العقيدة ، وفوضنا إلى مالك يوم الدين الفصل بين خصوم ذهبوا فى سبيل الغابرين منذ ثلاثة عشر قرنا وربع القرن ، فيسامحهم الله بفضله ، أو يجازيهم بعدله.

وذلك هو الأحرى بأمة التوحيد ، وزعماؤها الذين ادخرهم الله لتجديد دعوته وتوحيد كلمته هم اليوم بسبيل التأليف بين القلوب ، والتوحيد بين المذاهب ، والتوفيق بين المصالح ، لينقطع الخلاف ويجتمع الشمل ، وليس من الحكمة أن نختلف صحابيان فى صدر الإسلام ثم يظل الناس على اختلافهما يختلفون ، ولا من العدالة أن يأكل الآباء الحصرم والأبناء يضرسون ؟

أحمد حسن الزيات

من ينابيع الهجرة

للإمام المسلمين الأكبر
الشيخ محمود شلتوت

ثلاثة عشر عاما تقضيها دعوة الإيمان القوية فى أصولها العميقة فى فكرتها بين أرجاء مكة وشعابها وبين هضابها ووديانها لا تمضى فى طريقها إلا فى كبت وضيق ، وفى عنت وإرهاق، وبين بأس وشدة ـ هذه المدة الطويلة دفعت المؤمنين بهذه الدعوة التى امتلأت قلوبهم بها إلى أن يفكروا ـ وهم يومئذ قلة فى العدد فى أن يهجروا هذا الجو الذى أفسدته العقائد الفاسدة والشرائع الباطلة والعادات المزيلة التى كان لها فى هدم الإنسانية والقضاء عليها ما ليس للمعاول ولا لأدوات التخريب .

أجل ، لقد استقر فى نفوسهم أن يهجروا هذا الجو الخانق الذى ضاق بهم وبدعوتهم إلى مكان آخر امتلأ برجال يقتحمون العقبة عن إيمان وصدق وحب ووفاء ، بل ويمدون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يد البيعة على بذل المهج دونه والوقوف من ورائه، يمنعونه مما يمنعون منه أهلهم وأبناءهم ويتم بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم العهد على توحيد الله وعبادته سبحانه عبادة خالصة . لقد رأى المؤمنون على قلتهم أن يهجروا جو مكة إلى مكان تستقر فيه دعوتهم ويكون لهم فيه وجود وكيان يمكن لهم من حياة تحوطها العزة وتؤيدها الكرامة ويدعمها التعاون والحب لتؤتى ثمرتها وتؤدى رسالتها .

وهكذا أصحاب الدعوات القوية : دعوات الحق واليقين التى يضيق بها أهل الباطل فى أجوائهم التى يعيش بها . أصحاب هذه الدعوات يرتادون لها الجو الذى يناسبها والمكان الذى يقبل الغرس والتربة الخصبة ليكون نباتها حسناً وزرعها يانعاً (والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذى خبث لا يخرج إلا نكدا) .

ولقد ارتاد رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانا خصبت تربته حيث غرس بيده الكريمة ولسانه الطيب وخلقه العظيم ، ودعوته الحكيمة وقلبه المليء بالخير يحمله إلى الإنسانية فى حب وإخلاص ـ غرس شجرة التوحيد الخالص فى قلوب أظهرت استعدادها للذود عن هذه العقيدة التى حلت فى نفوسها واستقرت فى حنايا ضلوعها ، وبذا كانت الهجرة حدثاً من الأحداث الإسلامية الكبرى التى يجب

أن تظل فى قلوب المسلمين تحمل لهم سمات العظمة التى تدفعهم إلى بناء أمجادهم ودعم حياتهم .

لقد كانت الهجرة التى هاجرها الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه هجرة إلى المبادئ السامية، فهى هجرة التوحيد البرىء والإخلاص فى أعظم صوره وأنقى ألوانه . هجرة يحوطها التوكل الصحيح ومحبة الخير للخير: هجرة صحبتها العقيدة الصحيحة التى ترجع بالحول والطول إلى الله سبحانه لا تعرف إلا الإنابة إليه والاستعانة به .

هذه المعانى السامية التى نهضت بالإنسانية من كبوتها ، وأنفذتها من وهاد جاهليتها ، كشفت لها أنها ماخلقت عبثا ، وأنها خلقت للإصلاح لا لتفسد فى الأرض ولا ليأكل قوى الناس ضعيفهم أو يسفكوا دماء بعضهم أو يقيموا على التحاسد والتباغض فتعمهم الفرقة ويسودهم التخاذل وضعف الشوكة .

تلكم هى بعض المعانى التى هاجر إليها النبى صلى الله عليه وسلم وصحبه .

إن لأهل المبادئ والإصلاح والمثل العليا والقيم الذاتية أعداء يندفعون وراء أهوائهم المتجنة وشهواتهم الضالة ليحولوا دون انتشار الحق وذيوعه وأمثال هؤلاء خفافيش لا يحيون إلا فى ظلام ولا يعيشون إلا فى وهم وضلال . ليس لهم هدف صحيح يدركونه ، ولا غاية سامية يقصدون إليها ولقد منيت بهذه الروح أمم كما منيت بها أفراد تعميهم الأهواء والشهوات عن إدراك رونق الحق وبهائه فيتنكبون الطريق السوى ويضلون ضلالا بعيداً ، فإذا بهم عقبات أمام كل إصلاح وظلمات فى طريق النور ، ولكن سرعان ما تزول هذه العقبات وتتبدد هذه الظلمات وتنقشع كل سحابة فى هذا الطريق ، وإذ بنصر الله يؤيد ، وبقوة الله تدفع مادام صاحب الدعوة مؤمناً بها ورجل الإصلاح حريصاً عليه فلا غرو أن افسد الله سبحانه مؤيداً لنبيه كل تدبير للمشركين وأحبط عملهم ؛ أصمهم وأعمى أبصارهم وأخرج رسوله محفوفا بالعزة والكرامة « إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا » .

لقد كانت الهجرة بداية انتصار كما كانت بداية بناء لأعظم صرح حمى الإنسانية وأعلى شأنها وبذا تركت قلوب قريش تغلى كالمراجل فوق النار المتقدة تتبخر منها أفانين الحنق على سهام طاشت ، ومكر ردت نصاله فى نحورهم ومكايد ذهبت أدراج الرياح وهكذا يذهب الله كل عبث يراد به تثبيط الهمم أو الوقوف أمام المثل والأهداف .

أجل إن الهجرة التى تمت آتت أكلها وأثمرت ثمرتها فامتدت غصون الدعوة مابين المشرق والمغرب فأبدل الله بها ظلمة الإنسانية

نورا وجهلها علما وفوضاها نظاما وجمعت فى الوقت نفسه بين قلوبهم بعد التفرق « فأصبحوا بنعمة الله إخوانا» وصاروا أمة واحدة ذات هدف واحد ومنهج واحد إيمانهم بالله رائدهم ، وتلس مصلحة الجميع عنوان حياتهم ، لا أثر للفردية فيهم ولا للأنانية بينهم ولا تعرف العصبية الهوجاء طريقهم ، وإنما التواد والتعاون والمساواة والتراحم والتعاطف والإيثار دستورهم ومبادئهم وكل أمة تعتز بمثل هذه المبادئ أمة تقف فى وجه اللطمات فتردها وفى طريق البغى والعدوان فتصده فتحيا عزيزة لا تعرف الهوان كريمة لا تقبل الذل وبذا يتضاعف الخير عندها وتتزايد سعادة أفرادها .

وهكذا ظهر بالهجرة الوجود الدولى للأمة الإسلامية فى هذه البيئة الجديدة التى أحسن الله بنيانها بقوله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » .

فهل لنا ونحن فى فاتحة العام الهجرى نودع عاما هجريا ونستقبل عاما آخر . هل لنا أن نتخذ لحياتنا عبراً من هذا الحادث العظيم الذى أسس به محمد صلى الله عليه وسلم أمة وحصن دعوة ، وبلغ رسالة وأدى أمانة ؟ وهل لنا أن نتخذ من حادث الهجرة ما ينير لنا الطريق ويشرح صدورنا لترسم خطاته صلى الله عليه وسلم فى الإصلاح ؟ تربط العقيدة الواحدة بين أفراد الأمة ، والأخوة بين عواطفهم لا أثرة ولا طوائف ولا سيد ولا مسود ؟ .

هل لنا أن نتخذ من حادث الهجرة عظة وعبرة فنهجر الرذيلة لنبنى فى أمتنا صرحا عالياً من الفضيلة وأن نملأ فراغنا وفراغ شبابنا بالعمل النافع الجاد وأن نخلق فيهم رقابة الضمير الذى يدفعهم إلى أن يهجروا كل فساد وبغى ويسيروا إلى كل نهضة وإصلاح .

إننا نريد أن نتخذ منه عنوان حياتنا الذى يتطلق فيها مصباح الهداية الإلهية فيضىء ويوجه ويعمل جاهدا فى تخليص الإنسانية من تلك الظلمات التى تجعلها على شفا حفرة من نار العداوة والحقد والتحاسد ، وفى تخليصها من الباطل الذى يكاد يغطى على عقول كثير من أهل البغى والظلم والعدوان وفى تخليصها من الباطل إلى الحق الذى يبنيها ويهيئ الخير لها إن آباءنا قد بنوا أمجادهم على أساس من الإيمان بفكرتهم وصدق فى دعوتهم وحرص على دينهم وعقيدتهم فهل لنا أن نكون كذلك لتكون منهم ومثلهم نرجو حقق الله الآمال للأمة الإسلامية الجامعة . والله المستعان .

محمود شلتوت

فن جديد من فنون الدعوة

للأستاذ عباس محمود العقاد

وربما صح أن يسمى فن الإقناع الآلى ، أو فن الاضطرار إلى الاختيار ، ولكن لابد - على أية حال - من التفرقة بينه وبين ضروب أخرى من المعارف والفنون تشاركه فى الإقناع وتختلف أحيانا كثيرة فى الوسيلة والأداة ، ومنها علم المنطق وهو الإقناع بالبرهان ، وفن الخطابة وهو الإقناع بالكلام المؤثر ، وفن الدعاية وهو تصوير الأفكار والآراء على الصورة التى تسوق المخاطبين إلى القيام بعمل مرغوب فيه أو اجتناب عمل مرغوب عنه ، فإن الفن الجديد من فنون الدعوة يعتمد على وسائل شتى للإقناع وتبديل الآراء والأخلاق غير البرهان والكلام المؤثر وأساليب العرض بالدعاية العامة سواء منها أساليب الكتابة والخطاب وأساليب التصوير والتمثيل .

ويكفى أن نذكر فارقا واحداً تظهر منه سائر الفوارق بين هذا الفن الجديد وبين تلك الفنون ، فنقول إن هذا الفن قد يصل إلى تبديل آراء الإنسان من النقيض إلى النقيض بعملية جراحية أو تبديل « الشخصية » فى تكوينها العقلى ، فلا يدرى صاحب الشخصية كيف حدث التحول فى تفكيره ومسلكه ؛ لأنه من أثر علاج جسدى أو « دماغى » كعلاج البتر وتبديل الأعضاء فى بعض العمليات وأنماط العلاج بالعقاقير .

ويطلق أصحاب هذا الفن أسماء ثلاثة على هذه الدعوة الجديدة ، تختلف باختلاف الوسيلة وقوة الفعل وحالة المعالج ومقدار خضوعه لمن يتولاه بالعلاج .

وهذه الأقسام الثلاثة هى :

أولا : بث المذاهب والآراء ويصح أن نسميه بالتلقين أو الإيحاء ، ترجمة لكلمة Indoctrintion ومعناها الحرفى « المذهبة » أو الإنظار من « النظر » أو النظرية .

وثانياً : غسل الدماغ ترجمة حرفية لكلمتى Brain washing .

وثالثاً : توجيه الأفكار ترجمة لكلمتى Thought Control وقد تترجم بالسيطرة أو الرقابة على الأفكار .

والتلقين هو أهون هذه الأساليب ؛ لأنه يستخدم فى الحالات التى تحاط فيها قدرة الملقن ببعض القيود ، فلا يستطيع أن يتسلط كل التسلط على الشخصية التى يحاول تلقينها ما يريد ، ويلجئون إليه أحيانا فى معاملة

الأسرى الذين يخشى آسروهم أن يشتدوا فى معاملتهم لأن أمثالهم من الأسرى موجودون فى المعسكرات الأخرى ، وقد ينتهى الأمر بعد فترة محدودة إلى تبادل الأسرى بين الطرفين ، فإذا اشتد هذا الفريق فى معاملة أسراه فقد يشتد الفريق الآخر مثله أو يذيع الأمر فى الهيئات الدولية إذا كان فيه شىء من المخالفة للمعاهدات والشرائع المتفق عليها .

وتقوم وسائل التلقين على الإكثار من الأسئلة التى لا خطر لها فى ظاهر الأمر غير استطلاع حالة المسئول والنفاذ إلى أسرار مزاجه من مجرد ميله إلى التبسط فى الكلام أو إلى التحفظ فى الجواب أو إلى المراوغة التى يعرف لها سبب من الأجوبة نفسها أو تدل على سبب يتيسر الوصول إليه من معاودة السؤال .

فإذا كتب السائل للمسئول مائة سؤال فمنها السؤال عن اسمه وأسماء أبويه وإخوته والسؤال عن معيشته الأولى وعن مسكنه وعن جيرانه وعشرائه فى صباه ، ومنها السؤال عن شعوره نحو نظام من النظم الاجتماعية أو نحو عظيم من عظماء قومه وعظماء الأقوام الآخرين ، ومنها السؤال عن زواجه أو عن خطبته أو عن خطيبته أو عن أصهاره ، ومنها السؤال عن علاقاته الجنسية وعن رأيه فى المحرم منها والمباح والمألوف منها وغير المألوف .

وقد يسأل الأسير عن أسباب وقوعه فى الأسر وعن الفرقة التى كان فيها عند أسره ، وعن زملائه الذين وقعوا مثله فى الأسر أو تمكنوا من الهرب فهربوا ولم يستطع هو أن يهرب مثلهم لعجزه عن المقاومة أو قلة اكتراثه أو غير ذلك من الأسباب التى تنم على معدنه ومزاجه ولو عمد فيها إلى المغالطة واختلاق المعاذير .

فإذا اطلع الخبير النفسانى على مائة جواب لمائة سؤال من هذا القبيل لم يعسر عليه أن يتفهم طبيعة المسئول واستعداده لقبول بعض الآراء ونفوره من غيرها وأن يتفهم منها مكامن الهوى الضعيف أو القوى التى ينقاد منها للإغراء أو للخوف أو للتأثير أو للخداع أو للطاوعة والنفاق إيثاراً للعافية واستخفافا بمسائل السؤال والجواب .

وهم يقسمون المسئولين إلى ثلاثة أقسام : أحدها عسير لا أمل فى تحويله وقد يكون العناء فى تحويله أكبر من الفائدة المرجوة من بذل ذلك العناء .

والقسم الثانى عسير يخضع للمعالجة بعد حين مع بذل بعض المجهود المستطاع .

والقسم الثالث سهل مطيع خاضع للإقناع والتأثير ، وقد يبدو من أجوبته أنه راغب فى التحول عن رأيه قليل المعارضة فى موضوع السؤال أو قليل المعارضة للمخالفين له على الإطلاق

ومتى تم هذا التقسيم بدأت وسائل التأثير واستخدمت فيها وسائل التخويف والإغراء ومنها العزلة وزيادة المشقة والإذلال والتمييز فى المعاملة ، وأبلغ ما يكون الإغراء أثراً حين يلمس كوامن الأحقاد الاجتماعية ، والعصبيات القومية والدينية ، ونوازع الغرور والعاطفة ، وأبلغ من ذلك أثراً حين يزلزل قواعد الثقة بالماضى والحاضر والمستقبل ، ويعم فيه الشك والقلق حتى ينتزع من نفس الفرد كل طمأنينة إلى أمثاله وإلى المجتمع الذى نشأ فيه ، وإلى الأمثلة العليا التى يعلق عليها آماله فى الحياة ، ويتم التحويل بمقدار نجاح الملقن فى عزل « الشخصية » التى يعالج تحويلها إلى أن تصبح هذه « الشخصية » على انفراد بينها وبين سائر الناس ، فلا تنعقد الثقة بينها وبين أحد ممن حولها ، ولا يكون العالم الإنسانى فى نظرها غير مجموعة من « النكرات » لا تتميز فيه الملامح والأشكال ، ولهذا شوهد أن المقاومة تشتد وتستعصى على العلاج كلما بقيت للإنسان صلة دينية أو قومية أو فكرية على نحو من الأنحاء ، وقد لوحظ أن الأسرى المسلمين فى الحرب الكورية بطلت فيهم الحيل ، فلم يفلح الملقن فى استخلاص شىء منهم غير كلمات انتقاد لحكوماتهم فاه بها اثنان بين مئات من الأسرى ، وعاقبهما إخوانهما عليها بالمقاطعة والاحتقار ، فندما على ما فاها به بعد أيام ، وهذا مع نجاح الملقنين فى تحويل ألوف من الأوربيين والأمريكيين حتى رفض بعضهم أن يعود إلى وطنه بعد نهاية القتال .

أما وسيلة « غسل الدماغ » فقد يقع فيها ما هو أعنف وأسرع وأبلغ أثراً من التلقين بالإيحاء ، وبث الأفكار فى الجماعة وعلى انفراد ، وقد تستلزم سحق الشخصية حتى تعجز عن المقاومة بل عن مجرد الرغبة فيها ، فيتقبل الإنسان كل ما يلقى إليه ثم يصدقه ويؤمن به ويتعصب له بعد معاودته لرغباته ونشاط فكره وجسده ، ويخرج من العلاج مخلوقا آخر غير المخلوق الذى بدأت معه المحاولة أول الأمر على غير هواه .

ومن وسائل غسل الدماغ إجراء عملية جراحية فى مقدم المخ على الطريقة التى اتبعها بعض الجراحين فى ترويض الحيوان الشرس أو الحيوان المريض .

ومن وسائله استئصال الغدد وحقنها بما يضعفها تارة ويضاعف نشاطها تارة أخرى .

ومنها المعالجة بالعقاقير التى تشل الإرادة ولكنها لا تشل الدماغ عن العمل والاستماع إلى التلقين والتوكيد .

ومنها استخدام العقاقير لتخدير المصاب واستعادة بعض المزعجات التى تغلغلت فى

باطنه ثم إطلاق العنان لها لكى تبلغ مداها من الثورة الشعورية فيستريح المصاب من المزعجات المكتومة بتصريفها وتحويلها من الباطن المجهول إلى الظاهر المكشوف ، وتنجح هذه المحاولة فى أحوال الخوف والغضب ولكنها لا تنجح مثل هذا النجاح فى أحوال السآمة والكآبة والاستسلام ، بل لابد فى هذه الأحوال من رد المصاب إلى النشاط النفسانى ، ولو بتعريضه لتيارات الكهرباء أو نقص بعض المقادير من المواد الجسدية وزيادة بعضها على نسب مقدورة يختارها الأطباء المختصون لكل مريض على حسب الضرورة .

وقد يعمدون فيما يسمونه غسل الدماغ إلى تحطيم المقاومة الشخصية بالتعب المفرط أو التهويل المرعب أو بالتجويع والإظماء إلى المدى الذى يبطل بعده كل ثبات على المقاومة ، ثم يعمدون إلى علاج العقاقير والكهرباء والوسوسة بالأفكار والنوازع النفسية خلال ذلك بغير إكراه ولا إظهار للرغبة فى الإقناع ؛ لأن المصاب ينتهى بعد ضروب العلاج المتقدمة إلى حالة كحالة الطفل الذى يحكى كل ما يراه ويسمعه حكاية آلية لا تفكير فيها ، ثم يرسخ فى طويته كل مارآه وسمعه كذلك بغير تفكير .

* * *

وقد امتلأت مكتبة الدراسات النفسية بمئات المؤلفات التى يكتبها علماء النفس والأطباء الجراحون وأطباء الأمراض العصبية والباطنية فى موضوع التلقين وموضوع غسل الأدمغة ، فثبت من هذه المؤلفات أن كثيرا من التجارب التى أجريت بعد الحرب العالمية الثانية بصفة خاصة كان لها أثر فعال فى انتزاع الأوهام التى غرستها مخاوف الحرب فى أذهان المقاتلين وغير المقاتلين ، وأنها قد يساء استخدامها فى محاولات غير مشروعة لتخدير الإرادة وإملاء الخواطر التى يرفضها المصاب كل الرفض لو رجع الأمر إلى اختياره ، وقد يعالج بمثلها للخلاص مما أقحم على ذهنه من الدوافع والخواطر ليملك حريته فى العودة إلى ما كان عليه قبل إخضاعه لذلك « الإقناع بالإكراه » .

أما المقصد الثالث من هذا الفن الجديد وهو توجيه الأفكار ، فالجديد منه محدود بما حدث من المخترعات أو بما تداوله الاصطلاح العصرى من أسماء العلل وضروب العلاج . ولا نذكر فيما عدا ذلك كشفا جديداً يزيد به المعاصرون على فنون الدعاية التى عرفها الأقدمون وبخاصة دعاة الدولة الفاطمية قبل ألف سنة ، فليس فى دعاية العصر من جديد ذى بال يضاف إلى دعاية السر والعلانية التى

حذقها أقطاب الدعوة الفاطمية فى تخريج المريدين على درجات إلى التشويق بالأسرار والكنايات إلى اختراع النحل وتنظيم الندوات وعرض المناقشات وتسيير المواكب وإقامة الموالد واستغلال الخفايا والرموز وتيسير وصول بعض الأفكار وتعسير وصول بعضها أو الاحتيال على وصوله بعد إثارة الشكوك حوله وإحاطته بالتهم والشبهات .

وعلينا أن نذكر فى هذا الصدد كما نذكر فى كل معرض من معارض البحث ذلك السؤال الخالد : هل من جديد تحت الشمس ؟

والجواب الخالد على ذلك السؤال الخالد أنه لا جديد كل الجدة فى أمر من أمور هذا العالم الإنسانى المتكرر المتجدد المستعاد على شتى الوجوه والأشكال .

فماذا كان يصنع الوعاظ الأقدمون كلما أنذروا الناس وخوفوهم غضب السماء أو شوقوهم إلى النعمة والغفران أو استثاروا غضبهم على أعداء الحق وأشياع الباطل وفرقوا أمامهم بين حزب الله وحزب الشيطان؟ .

وماذا كان يصنع الناس والهداة كلما اعتصموا بالصيام والعزلة وجاهدوا الجسم والنفس بالرياضة على الشدائد والزهد فى اللذة والراحة والإعراض عن مزالق الإغراء والترغيب والصبر على ألوان التعذيب والترهيب ؟ .

إنهم جميعاً كانوا يعلمون أثر الخوف والغضب فى تهيئة النفوس والأذهان للإصغاء إلى الوعد والوعيد ، وكانوا يعلمون جميعاً أن زمام الروح مرهون بزمام الجسد وأن الفكرة التى تكسر الشرة وتقمع الشهوة ضرورة لازمة لتمهيد سبيل الاعتقاد وتغليب العزيمة على وساوس الشك والغواية .

وقديما عرف الهداة كيف يغسلون القلوب أو يغسلون « الأدمغة » إذا طاب لنا أن نتحدث برموز العصر الحديث ، ولكنهم أقنعوا الناس كما أقنعوا أنفسهم ولم يجعلوهم آلات تدار إلى اليمين أو إلى اليسار ؟

عباس محمود العقاد

الحديث المطول

قال أحمد بن الطيب : كنا عند بعض إخواننا فتكلم وأعجبه من نفسه البيان ومنا حسن الاستماع حتى أفرط . فحصل لبعض من حضر ملل فقال : إذا بارك الله فى الشىء لم يفن ، وقد جعل الله فى حديث أخينا البركة .

الكرامة والعزّة فى القرآن الكريم

للأستاذ محمد محمد المدنى

ب — العـــزة

— ٢ —

أثبت القرآن الكريم العزة الحقيقية للمؤمنين ، ولم يقصد أن الناس فريقان مؤمن وكافر ، فللأولين العزة هبة من الله ومنحة ومحاباة ، وللآخرين الذلة عقوبة ولعنة وطردا من رحمة الله .

لا ! ولكن القرآن يجعل العزة للمؤمنين ثمرة لنوع من السلوك والصفات من شأنه أن يكون فى المؤمنين ، ومن تتبع الأوصاف التى وصف بها القرآن المؤمنين ، فإنه يرى المنهاج الرشيد ، والصراط المستقيم ، الذى ينبغى أن يتخذه الإنسان مثلا له فى الحياة ، وأن يطبع نفسه فى جميع تصرفاته بطابعه ، ليكون كاملا وليقتعد مكانة العزة الحقيقية عن جدارة واستحقاق .

وأحب أن أعرض لبعض الآيات الكريمة التى جاءت ببعض صفات أهل الإيمان كأمثلة لما نريد :

يقول الله تعالى :

١ — « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ، إن الله عزيز حكيم » ٧١ / التوبة .

تذكر هذه الآية الكريمة صفات للمؤمنين والمؤمنات ، وتتحدث عن هذه الصفات بأسلوب الإثبات ، وأنها شأن من شئونهم وطابع هم به مطبوعون .

الصفة الأولى :

« بعضهم أولياء بعض » . والولاية صفة تجمع المحبة والتكافل والتناصر ، ففلان ولى لفلان أى حبيب له وصديق حميم : « ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » . وفلان ولى فلان أى متولى أمره وصاحب شأنه وكافله ، وفلان وفلان بينهما ولاية أى تكافل وترابط ، كلاهما يرى لصاحبه من الحق ما يراه لنفسه ، وكلاهما يفرح لفرح الآخر ويألم لألمه ، وهما متناصران ينصر كل منهما صاحبه .

هذه هى المعانى اللغوية فى اللغة العربية

للولاية والأولياء . والمؤمنون متصفون بهذه الصفة ، مرتبطون بهذه الرابطة ، فالأساس فيما بينهم هو المحبة الصادقة الصافية ، والقاعدة عندهم هى التكافل فى الخير والشر ، فى الغنى والفقر ، الحرب والسلم ، مصلحتهم واحدة غير متجزئة ، وأهدافهم واحدة غير متفرقة ، وبينهم تناصر ، فإذا اعتدى على طرف من أطرافهم هبت جموع الأطراف تنتصر له ، وتدافع عنه وتشاركه فى بأسائه حتى تنكشف عنه البأساء ، وتقاسمه ألوان ضرائه حتى تزول عنه الضراء ؛ فهذا هو مجتمعهم ، فهل يمكن أن يذل مثل هذا المجتمع وأن يركع أمام حدث من الأحداث ، أو طاغية من الطغاة ؟ كلا والله ! .

الصفة الثانية :

« يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » وهى صفة لازمة للصفة الأولى ، فإن الولاية بين الوليين تقتضى النصيحة ، وأن تقوم العلاقات على أساس المكاشفة والمناصحة ، لا على أساس المخادعة والمصانعة ، فالولى ينصح لوليه ، يأمره بالمعروف فيؤدى بذلك حق ولايته ونصيحته ، وينهاه عن المنكر فيؤدى بذلك حق ولايته ونصيحته .

وهذه الصفة أيضاً تدلنا على أن المجتمع الصالح ، وهو مجتمع أهل الإيمان ، أو أهل صفات الإيمان ، هو المجتمع الذى يكون فيه رأى عام حساس غيور ، قوى مسموع ، نافذ الكلمة ، ذلك أن المجتمع الذى ينطوى فيه كل إنسان على نفسه ، وينقطع عن الآخرين ، ولا يهمه أن يصلح الأمر من حوله أو أن يفسد ، إنما هو مجتمع منحل لا يمكن أن يستقر أمره ، وأن يكون سعيداً ولا بد أن يستشرى فيه الفساد ، ويكثر المنكر ، ويقل العمل الصالح ، فالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى مجتمع ما هو صمام الأمن ، وميزان الصلاحية والاستقامة ، ولذلك يخطئ من يظن أن الإسلام يكتفى من المؤمن بأن يرعى شئون نفسه ، وألا يعبأ بما حوله ، وأن يعيش فى مجتمعه عيشة المنكمش المنطوى على نفسه ، تمسكا بما قد يفهم خطأ من قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » نعم لا يضرنى من ضل إذا اهتديت ولكن ما معنى « اهتديت » أليس أن آخذ بتعاليم الحق ، وأن أؤدى واجبى حق الأداء ؟ وهل أكون « مهتديا » إذا فرطت فى ذلك ، وعشت على جانب الحياة إمعة ؟ هل أكون مهتديا إذا عطلت مواهبى ، وحرمت الأمة من قواى التى هى جزء من قواها وحق من حقوقها ؟ هل أكون مهتديا إذا اعتزلت المصلحين فلم أعاونهم ، والضالين فلم

أحاول ردهم ، ولم أتحايل لإبلاغ كلمة الله إليهم ؟ .

كلا ! ولذلك أجدنى دائما حريصا على أن أفهم المعنى فى قوله تعالى: « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » على أنه أمر للأمة حاسم بأن تكون أمة هذا طابعها ، وهذا لونها ، أمة دعوة إلى الخير . أمة إحساس بالخير وبالحق ، أمة غيرة على المعروف تريده وتحب أن يفعل ، أمة غيرة ضد المنكر تمقته ، وتمقت أن يفعل ، فهذه الأمة هى التى تفلح وهى التى تقتعد منزلة العزة (١) ، أما التفسير الآخر الذى يقوم على أن الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجبات كفائية إذا قام بها البعض سقطت - كما يقولون - عن الباقين ، فإنه تفسير ضيق ، تفسير لا يتفق وغرض القرآن الواضح فى مثل هذه الآية التى تقول فى صراحة « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » فهى تجعل هذا شأنا عينيا لكل مؤمن ومؤمنة لا شأنا كفائيا .

(١) و « من » على هذا التفسير « من التجريدية » لا تبعيضية » على حد قول القائل لى من فلان صديق حميم أى هو صديق حميم .

الصفتان الثالثة والرابعة :

« ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة » فإقامة الصلاة إصلاح للنفس ، وتقوية للروح ، وارتباط بين العبد وربه من شأنه أن يهذبه ويقربه وينهاه عن الشر والفساد « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » وإيتاء الزكاة هى صفة المجتمع المتراحم ، الذى يتعاون أغنياؤه وفقراؤه . والذى لا بخل فيه ولا أثرة ولكن إحسان وبر ومعروف .

فمثل هذا المجتمع الراشد العزيز الذى تقوم عزته على أساس من العمل الصالح ، لا على مجرد إدعاء الإيمان .

الصفة الخامسة :

« ويطيعون الله ورسوله » وهى جماع الصفات الراشدة ، ما ذكر وما لم يذكر ، فإنه لا عز إلا فى طاعة الله ورسوله ولا صلاح إلا بهذه الطاعة يستوى فى ذلك الأفراد والأمم .

ولذلك يختم الله هذه الصفات التى وصف بها عباده المؤمنين بقوله: « أولئك سيرحمهم الله ، إن الله عزيز حكيم » .

والرحمة هى تيسير أمورهم ، وإصلاح شئونهم ، وكف الأحداث العامة عنهم ، ودرء المصائب أن تحل بهم وتطهير مجتمعهم

من أهل الفساد والباطل والشر ، وارتفاع قيمتهم ومنزلتهم بين الأمم ، وإيقاع هيبتهم فى قلوب غيرهم ، وتلك هى مظاهر العزة والشرف والرفعة ، يهبها الله لمن يستحقونها فيرحمهم بها ، وهو « عزيز » لا يغلب على أمره ، « حكيم » لا يضيع أجر من أحسن عمـــلا .

٢ ــ « ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون » . ١٠٥ (الأنبياء) :

تتحدث الآية عن سنة من سنن الله الكونية التى لا تتبدل ولا تتحول ، والصالحون الذين يرثون الأرض ليسوا هم المدعين الصلاحية أو الصلاح دون عمل وسعى ومثابرة وإخلاص ، ولكن هم العاملون ، وقد وصفهم الله فى آية أخرى حيث يقول : « الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر » ، ورب الأكوان ومدبرها ليس رب ألقاب ولا دعاوى ، فهو إنما يعطى من يستحق العطاء ، ويمنع من يستحق المنع ؛ لأنه ربط عطاءه ومنعه بأسباب ، ولم يجعل هذا ولا ذاك ارتجالا ، ولم يتركه للمصادفات والحظوظ التى تخبط خبط عشواء ، « تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا » ، فلكل عامل عمله ولكل مجتهد نصيبه .

وقد أتى على العروبة والإسلام حين من الدهر ظنوا فيه أن الله ينصر (المسلمين) أو (العرب) لمجرد أنهم هم المنتسبون إلى دينه أو رسوله ، فإن كانوا لم يظنوا ذلك علما وفهما ، فقد ظنوه عملا ، حيث اكتفوا بالانتساب وبلقب الإسلام أو العروبة ، وتركوا ميادين العلم خالية منهم ، وميادين القوة خالية منهم ، وميادين الجهاد والنضال خالية منهم ، وبرزوا فى ميادين أخرى من التخاذل والتهافت والتقاطع والتدابر والارتماء فى أحضان الأعداء ومساعدتهم على تقطيع الأوصال ، وإذلال الرجال وتشريد الأحرار ورضوا بالفتات قانعين ، وهم يرون مستعمريهم يخبون وينعمون فى خيرات بلادهم ويسخرونهم ماكرين فى مصالحهم ومنافعهم ومعايشهم .

فهل يتفق هذا وما يزعمونه لأنفسهم من الإيمان أو الإسلام أو عزة العروبة ؟ .

كلا والله . فإن سنن الله لا ترتبط أبدا بالألقاب ، ولا تنخدع عن الماء بالسراب ! .

٣ ــ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا . إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا . فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله

عفوا غفورا . ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما » ٩٧ - ١٠٠ / النساء .

ولا نريد أن نتوسع بشرح هذه الآية الكريمة تفصيلا، ولكننا ننبه إلى أنها نزلت فى سياق نعى القرآن على المتخلفين عن الهجرة حين كانت الهجرة هى السبيل إلى عزة الإسلام، وهى الوسيلة إلى التقوى والاستعداد لإبطال كلمة الكفر ، فقد وُجد فريق ضنوا بأنفسهم وبأموالهم وديارهم فلم يهاجروا ، ولم يكن هذا الضن اعتزازا بها وثقة بأنهم سيبقون أقوياء فيها لهم كرامتهم وعزتهم ، ولكنه كان خضوعا وتقبلا لما لا ينبغى أن يقبله المؤمن الحق . من الإقامة على الضيم ، والرضا بالذل ، كان إيثارا للعيش الذليل المهين على العيش الكريم، عيش الجهاد والنضال والتحول إلى ديار ترسم فيها خطة العودة إلى الوطن ، وتخليصه من براثن المفسدين والمبطلين ولذلك اعتبرهم ملومين ظالمين لأنفسهم ؛ لأن الذى يقبل الذل ظالم لنفسه مهين ، ومثل لنا القرآن صورتهم وهم بين يدى الملائكة حين تحضرهم الوفاة ، وقد عجلوا بلومهم وتعنيفهم قائلين لهم ، فيم كنتم ؟ استنكاراً لمكانهم الذى كانوا فيه أذلة قابعين ، فإذا اعتذروا بأنهم كانوا مستضعفين لم يقبلوا عذرهم وزادوهم تأنيبا ، ثم نرى الآيات بعد ذلك تستثنى المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا . فتفيدنا أنه لا ينبغى للمؤمن أن يسكت على ضيم ، أو يقيم على ذل ، إلا إذا فقد كل حيلة ، وانسد عليه كل سبيل ، فإنه حينئذ مرجو أن يعفى عنه « فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم » . وانظر إلى هذا الاحتياط العظيم فى العبارات التى عبر بها فى هذا المجال . حيث قال : « لا يستطيعون حيلة » بهذا التعبير الدال على انتفاء أية حيلة . « ولا يهتدون سبيلا » بهذا التعبير الدال على انسداد كل سبيل ، ثم باستعمال اسم الإشارة الخاص بالبعيد « فأولئك » كأنه يشير إلى صنف بعيد ، ثم باستعمال « عسى » الدالة على أن هذا أمر يحتاج إلى أن يقرب بالرجاء لبعده ، ثم بالتعبير بقوله : « يعفو عنهم » وهو مؤذن بأنهم مع هذا أخطئوا لأن الذى يعفى عنه هو الذى قارف الذنب ، ولكن كان له عذر أو بعض عذر ، ثم بإثبات أن مرجع ذلك إلى أن الله « عفو غفور » أى كبير العفو ، عظيم الغفران ، كأنه يقول : لولا كبر عفوه وكثرة غفرانه لما استطاعوا أن يتخلصوا من موقفهم الذى وقفوه .

فانظر إلى هذا الأسلوب وإلى ما يوحى به

من أهمية العزة والكرامة فى نظر القرآن ، ومن سوء مصير الذين يرضون بالذلة والإقامة على الضيم ! .

لا شك أن هذا بنا . قوى لصرح العزة التى يريدها الله للمؤمن ، ولا يحب أن يراه فى غير مستواها الرفيع .

٤ — « يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ، واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم . يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا . ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم » ٢٧ — ٢٩ / الأنفال .

وهذه آيات ثلاث تتضمن برنامجا عمليا إيمانيا إذا أحسنا فهمها ، وفقهنا ما ترمى إليه من تكوين مجتمع ذى ضمير يراقب كل أفراده أنفسهم وأعمالهم رقابة دقيقة .

فالله تعالى ينادى المؤمنين بهذا النداء الحبيب المؤثر « يأيها الذين آمنوا » وفيه إيحاء بأن رابطة الإيمان وعقده الذى عاقدوا الله عليه « له تكاليف عملية يجب أن يوطنوا أنفسهم عليها .

فمن هذه التكاليف أن يكونوا أمناء على ما أؤتمنوا عليه ، فلا يخونوا الله والرسول ولا يخونوا أماناتهم وهم يعلمون .

وهذه عبارة قوية عن وصية جامعة ، فالمؤمن يعلم أن الله عنده أمانات قد ائتمنه عليها ، وأن لرسول الله أمانات يجب أن ترعى ، وأن له مع إخوانه المؤمنين ، ولإخوانه المؤمنين معه أمانات كل واحد منهم مطالب بأن يؤديها ، فالدين أمانة ، والعلم أمانة ، والحق أمانة ، والانطواء على النية الصالحة أمانة ، والحكم أمانة ، والقضاء أمانة ، والعدل أمانة ، والتعليم أمانة ، وبين الزوج وزوجه أمانة ، والأولاد أمانة ، والأموال أمانة ، إلى غير ذلك من جميع وجوه العمل والنشاط والفكر والسلوك ، فإذا اعتقد المؤمن أنه قد اؤتمن على كذا ، وأن عليه أن يكون أمينا على ما أؤتمن عليه ، وجد معنى الرقابة ، التى يسميها القرآن « التقوى » والتى يسميها الناس « الضمير الحى » وقد يصف القرآن نفس المؤمن التقى بوصف يفيد معنى الحساب ، وذلك فى قوله تعالى : « لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة » فيوم القيامة معروف ، وهو يوم الحساب ، يوم أن يلقى الإنسان جزاء ما قدمت يداه ، إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، والله تعالى يقسم به ، إيذانا بعظمته وخطره ، ثم يقسم معه بشىء آخر هو « النفس اللوامة » أى التى تراجع صاحبها وتسائله دائما عما عمل أو عما قال ، أو عما لم يعمل ولم يقل ، وتلومه إن قصر حيث كان يجب أن يعمل أو يقول ، أو إن أسرف

حيث كان يجب أن يقتصد . . إلخ ، فهذا هو الضمير الحى أو هو التقوى ، وقد ورد التعبير فى القرآن عن هذا المعنى بعبارات أخرى منها قوله تعالى : « إن الله كان عليكم رقيبا » . « ألم يعلم بأن الله يرى » . « وكان الله سميعا عليما » ، « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم » فهذه كلها هى أساس تربية المؤمن على خلق المراقبة وغرس معنى الأمانة فى نفسه . وبث هذا فى كل ما يتصل به من قول أو عمل أو سلوك أو نية أو دخيلة نفس .

ثم تأتى الآيات بعد ذلك بتحذير قوى من الفتنتين العظيمتين فى الحياة: فتنة الأموال وفتنة الأولاد ، وهما السر فى أكثر ما يقع فيه الناس من خيانة للأمانات وتجعل فى مقابلهما ما عند الله من أجر عظيم لمن لم ينخدع بهما . ولم يمله أحدهما عن الصراط السوى لأهل الإيمان .

ويأتى بعد ذلك أسلوب النداء باسم الإيمان مرة أخرى « يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم » إيذانا بأن سنة الله فى خلقه أن من راقب ضميره وحاسب نفسه ، فلن يضيع أبدا . ولابد أن يخلصه الله من المآزق والحرج ، ويجعل له فرقانا ، وربما فسر هذا أيضا بأن صاحب الضمير الحى يكون فى العادة خبيرا بالأمور ، بصيرا بها ، ذا حاسة تفرق بين الخير والشر وبين الحق والباطل ، وبين ما ينفع وما يضر ، فذلك هو الفرقان الذى يجعله الله لمن يتقيه .

وأحب أن أقول هنا كلمة : وهى أن كثيرا من الناس ربما فهم أن « التقوى » خلق دينى روحى يتصل بأنواع العبادات والقربات الروحية من صلاة وصوم ونحو ذلك . ولهذا نجد لفظ « التقى » فيما بيننا يطلق على كل من أرخى لحيته . وحرك سبحته . وتمتم وهو سائر فى الطـــريق ، أو جالس بين الناس ، بآيات يقرؤها ، أو دعوات يرددها . . . إلخ .

ولكن التقوى أوسع من ذلك ، وقد توجد فيمن ليس كذلك ، وتنعدم فيمن يحرص على المظاهر الجوفاء والأساليب الخلابة . إن التقوى - كما قلت . وكما تدل عليه آيات القرآن وأحاديث الرسول وكلام العلماء هى ذلك الخلق الذى لا يفارق الإنسان حينما كان ، فى أى تصرف ، فى الملأ وفى الخلاء إنها هى السر بين العبد المؤمن وربه ، وهى المعيار والمقياس والمكيال والباعث والحاجز فإذا استقر هذا الخلق فى مجتمع ، فلا بد أن يصلح أمره وأن يبلغ منازل العزة والرفعة ، وأن يكون سعيدا .

إن التكاليف الروحية المطلوبة يسيرة ، فالصلاة مثلا لا تشغل الإنسان أكثر من

بضع دقائق فى كل فريضة ، بينما يوم الإنسان كله ليله ونهاره ، فيه كثير من التصرفات الأخرى التى تحتاج إلى أن يكون المرء فيها متقيا الله كما تحتاج الصلاة إلى رعايتها وإقامتها وتقوى الله فيها .

فهل ترى الإسلام يهتم بأن يقيم الإنسان على نفسه رقيبا فى زمن الصلوات فقط ولا يقيم على نفسه رقيبا فى سائر التصرفات والأزمان ؟ .

ثم إن التقوى كخلق « لا تتجزأ » فلا يمكن أن أكون تقيا لمجرد أنى أؤدى صلاتى فى أوقاتها وأحافظ عليها ، بينما أنا مقصر فى عملى أو مسىء لوطنى ، أو مفرط فى شئون أولادى وأهلى أو كذا أو كذا .

على أن التقوى أيضا لا تستلزم أن الإنسان لا يخطئ أبدا ، ولا يهفو أبدا ، فإن الإنسان خطاء ضعيف . ولكنها تستلزم عدم الإصرار على الخطأ ، تستلزم محاسبة النفس ولومها عند الهفوة والذنب ، ومصداق ذلك أن الله تعالى يقول « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين . والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ؟ - ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » .

فالقرآن لم يفرض الناس ملائكة لا يخطئون ولكن فرض فيهم أنهم قد يقعون فى الخطأ أو الإثم والفاحشة ، فلا ينافى ذلك وصفهم بالتقوى ، ولكن الذى ينافيها هو الإصرار على الخطأ والاستمساك بالسوء والفحشاء .

هذه التربية الإيمانية ، إنما هى تربية عملية دنيوية روحية معا ، وهى التربية التى يصلح عليها المجتمع ، ولا تجدى دعوى الإيمان بدونها ، ولا تقتعد منازل العزة والكرامة إلا فى ظلالها وتحت رايتها .

محمد محمد المدنى
عميد كلية الشريعة

الصادق والكاذب

لو صور الصدق لكان أسداً ، ولو صور الكذب لكان ثعلبا . وما صاحباهما ببعيدين من هاتين الصورتين . . . .

نفحات القرآن

لمحات زاجرة من صدر التاريخ

للأستاذ عبد اللطيف السبكى

(ا) إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام
(ب) ثم استوى على العرش
(ج) يغشى الليل النهار، يطلبه حثيثا.

ومنذا يحدثنا فى صدق عن الحلقة الأولى لهذا الوجود: سوى القرآن الذى لا يأتيه الباطل بين يديه ولا من خلفه؟؟.

أمكن للإنسان أن يتعرض باجتهاده فى العلم لتقدير الزمن الذى اجتازته الدنيا، قبل الميلاد، أو بعده: استيحاء من الآثار، أو متابعة لنقول مروية عن سلف، ولكنه لم يقطع على وجه التعيين بضبط هذا الزمن. فظلت روايات التاريخ فى مد وجزر، كما ظلت تكهنات الفلسفة - فى تصوير الشخصية الإنسانية قديما، وتدرج الحياة بها - قابلة للإضافة والحذف والتصديق والتكذيب.

أما الجانب المتعلق بخلق السموات والأرض، وما يتصل بهما. فقد زودنا القرآن بشىء من المعرفة عنه؛ لندرك - ولو إجمالا - أولنا فى هذا الوجود، كما عرفنا من طريقه منتهانا فى هذا الوجود وما بعد هذا الوجود.

وفى العلم بأولنا وآخرنا من طريق القرآن ما يكفى، وأكثر مما يكفى للتدبر، والإقناع، والإيمان، والتجاوب مع دعوة الله، والتصديق بكل آياته المتلوة فى كتابه، أو المنثورة فى سمائه، وأرضه، وفيما بينهما: «والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا، وجعل لكم السمع، والأبصار، والأفئدة، لعلكم تشكرون».

وفى الآية التى أسلفنا من سورة الأعراف يحدثنا الكتاب:

أولا: بأن ربنا هو الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام.

وثانياً: بأنه تعالى استوى على العرش بعد خلق السموات والأرض.

وثالثاً : بأنه يغشى الليل النهار : يطلبه حثيثاً .

فالله ـ سبحانه ـ يفاتحنا فى هذا المقام بأمور ثلاثة يسوقها مساق التعليم لنا بما كنا نجهله ، ومساق التنبيه على ما نحن بغفلة عن التفطن لأسراره ـ وفى العلم بذلك ، والتفطن لأسراره حافز على النشاط العقلى ، وتحرر الأذهان من هدأة الركود إلى توثبها فى مجال العلم ، واستجلاء ما هنالك من خفايا تزداد بها المعرفة ، وتتجلى بها حضارة الإنسان فى دنياه .

ففى توجيهات الدين وإشادته بما أبدع الله فى ملكه أضواء تتيح للعقول أن تكشف عن كثير وكثير ! ! .

ثم مامقدار اليوم من الأيام الستة التى خلق الله فيها السموات والأرض ؟ ؟ قالوا : المراد باليوم الوقت مطلقا ، دون تقيد بقدر معين ؛ لأن التقدير إنما حصل بعد تمام خلق الأفلاك وتنظيمها ، ولم يكن شىء من هذا حين خلق السموات والأرض .

والراجح : أن اليوم هو المعروف لنا الآن ، من طلوع الشمس إلى غروبها ، فإن الله يخاطبنا ويخاطب عباده من قبل ، بعد تمام الخلق ، واستقرار النظام للأفلاك ، ومعرفة اليوم الذى يخاطبنا به ، ونستطيع بمعرفته أن ندرك قدرته على إيجاد السموات والأرض فى ستة أيام مما نعهده ، فلا ضرورة ، بل لا وجه لتفسير اليوم بغير هذا المعروف .

ثم لماذا كان الخلق فى ستة أيام ، ولم يكن دفعة واحدة ، والله قادر على كل شىء ؟ ؟ .

لهذا التأنى حكمتان : إحداهما ـ تعليم الناس أن يتريثوا فى صنيعهم بالقدر المستحسن حتى لا يأخذهم التسرع ، ويكون التعجل عرضة للخطأ ، وفوات المنفعة ، وفى ذلك ورد قول النبى صلى الله عليه وسلم : « التأنى من الله تعالى ـ يعنى من سنته فى خلقه ، وهديه لعباده ـ والعجلة من الشيطان ، يعنى من نزغاته ، وفتنته ، ليفوت على الإنسان فرصته ، كما تعجل الشيطان آدم وحواء فى تحريضه لهما على الأكل من الشجرة التى نهيا عنها ، حتى خدعهما بالقسم والإلحاح ، ثم كان ما كان .

وليس القصد من التأنى التراخى فى بطء ، ففرق بين التريث لتمحيص الرأى ، وجمع الفكرة ، ثم العزيمة والتوكل ، وبين الفتور أو التخلف عن انتهاز الفرص « فإذا عزمت فتوكل على الله » .

الحكمة الثانية ـ أن إبداع السموات والأرض على وجه التدرج فى ستة أيام ينبئ عن ترتيب شىء على شىء ، وتوقف إيجاد على إيجاد كما أحاط علمه ، وتعلقت إرادته ، وقدرته ـ سبحانه .

فلكل صفة من هذه الصفات وظيفة تؤديها فى إبراز الممكن من العدم .

وكما يفكر الإنسان منا فى إقامة منزل مثلا ، فيكون المنزل حاضراً فى ذهنه وشاخصاً فى

خياله إجمالا ثم يختار له الرسم الذى يرتضيه ، ثم يستخدم قدرته فى التنفيذ - ولله المثل الأعلى -

ومما يشهد لذلك أن بعض الآيات يفصح عن هذا فى مثل قوله : « ثم استوى على العرش ، يدبر الأمر » ، « وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين » ، « ما خلقناهما إلا بالحق » . ثم ماهى الأيام الستة ؟ تحديدها بالذات لا تتوقف عليه عقيدة ، ولا يتعلق به تكليف عمل . ولذلك لم يرد بتسميتها نص قاطع ، وفى هذا آثار مروية تكفى فى الجملة لتمييز بعضها عن بعض .

وأقربها إلى الحق أن ابتداء خلق السموات والأرض كان فى يوم الأحد ، ثم الاثنين ، ثم الثلاثاء ، وهكذا إلى انتهاء يوم الجمعة فتكون المدة ستة أيام فقط وتكون التسمية مطابقة ، فالأحد هو الأول ، والاثنين هو الثانى ، وآخرها الجمعة . وفيه تم اجتماع الخلق وخلق آدم ، على ما أراد الله .

وقد بقى يوم السبت ، وأكثر العلماء على أنه لم يكن فيه خلق ، ويبدو واضحا أن حكمة الله فى هذا تعويد الناس على عدم الانهماك المتصل ، وتفرغهم للراحة ، ولإصلاح شئونهم الخاصة فى يوم من أيام الأسبوع ، فإن الدأب والانهماك يذهبان بالصحة ، ويهددان بالانقطاع ولذلك نهى النبى عليه الصلاة والسلام عن إجهاد النفس ، حتى فى العبادة — إن لبدنك عليك حقا . إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق . . ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه .

وكان من تشريع الله لليهود أن يتركوا العمل الدنيوى يوم السبت للاستجمام والراحة ، فالسبت معناه الراحة ، وكان عليهم أن يعظموا هذا اليوم ، فلا يزاولوا عملا غير العبادة المطلوبة منهم ، فى حدودها المعينة ومع علمهم بذلك التشريع يومئذ فقد كانوا ينتهكون حرمة السبت ، إذ تكثر الأسماك فى البحر أمامهم فيتها فتون على صيد الأسماك ، ناقضين عهد الله ، وناكثين لحرمة يوم السبت وكانت حكمة الله تعالى تقابل صنيعهم باختفاء الأسماك بعد ظهورها : فلا يقومون بحق الله ، ولا يصيبون شيئا مما طمعوا فيه ، إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ، ويوم لا يسبتون - أى لا يحترمون السبت - لا تأتيهم ، كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون » .

وهكذا شأن بنى إسرائيل حتى اليوم : لا يدينون لله بدين حق ، ولا تشبعهم الدنيا بأسرها وقد تملكهم الجشع المفرط حتى رخص عندهم كل شىء يعتز به سواهم وحتى زعموا سلفا أن يد الله مكتوفة عن العطاء والسخاء ، وقالت اليهود . يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ، ولعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء » .

٢ - المرتبة الثانية مما فى الآية - « ثم استوى على العرش » .

هناك عرش ولا جرم ، وقد تحقق الاستواء عليه من جانب الرحمن سبحانه ، وتقرر ذلك

فى جملة من الآيات ، فالإيمان بما أخبرت به حق ، وعقيدة ، لا تقبل شائبة من تردد ، ولا ترقى إليه شبهة ولكن : مامعنى الاستواء بالنسبة لله؟هل هو جلوس كجلوسنا على الكرسى تعالى الله عن ذلك !! أو هو استيلاء وتملك كما نستولى نحن على شىء مملوك ، دون تصويره باستيلائنا ؟؟ ذلك كلام اضطرب فيه علماء !! . ثم ماهو العرش ؟؟ هل يقال: إنه فلك الأفلاك يعنى أعظمها ويحيط بها أو يقال كذا وكذا؟ والحق الذى لامحيص عنه ، ولا محذور فيه أن الاستواء والعرش مما استأثر الله بعلمه فنحن نعرف العرش باسمه فقط ، ولا نحاول تفسير الاستواء عليه بل نؤمن ونطمئن ولا نكلف أنفسنا شططا فيما لم يكلفنا الله ببحثه والتهكن فيه !! .

وطالما ثار حول ذلك الشأن جـــدل ، واحتدمت خصومات مذهبيـة أو اختلطت ببحوث وفلسفات ، وركضت أذهان وعقليات وراء تحديد المعنى لهاتين الكلمتين ، ثم لم يكن لهذا نهاية ، فلا حاجة بنا إلى التعلق بلجاج عقيم .

المرتبة الثالثة لما فى الآية ـ « يغشى الليل النهار ، يطلبه حثيثا . . . » .

يجعل الله الليل غاشيا للنهار وطارئا عليه فيحيل ضوءه ظلاما أو يجعل النهار غاشيا لليل ، فيحيل ظلامه ضوءا ، وكلا التوجيهين صحيح ، وواضح أن النهار يعقب الليل، وأن الليل يعقب النهار ، وفى القرآن آيات تشهد بكل ذلك ، فالله تعالى يقول : « والنهار إذا جلاها ـ يعنى الشمس بعد الظلام ـ والليل إذا يغشاها » يعنى يطرأ على النهار ، ويغطى الشمس فيكون الظلام بعد الضوء .

وقد اجتمع المعنيان فى قوله عز شأنه « يكوّر الليل على النهار ـ يجعله محيطا به ـ ويكور النهار على الليل» يجعله كذلك غاشيا له .

وسواء أكان هذا أم ذاك فهو نظام رتيب وسير حثيث ، لا يلاحقه خلل ، ولا وهن وإلى هنا تكون آية الأعراف بينة المعنى وكافية الهداية .

وقد عززتها آيات أخر ، فآية سورة السجدة تؤكد ذلك ، وتزيد عليه أن الستة الأيام كانت لخلق السموات والأرض وما بينهما ثم تأتى آية سورة ق ـ فتزيد على ما فى الآيتين قوله تعالى : « وما مسنا من لغوب ـ يعنى مع ما فى هذا الخلق العجيب من عجب ، ومامه من شأو ، لم يكن فى الأمر بالنسبة لله تعالى أدنى لغوب ، تعب كما يحصل لنا من مزاولة عمل نهتم به ، ضرورة أن طاقتنا محدودة وذلك تنويه على عظيم قدرته ، وتنزيه له عن شائبة العجز ، وتقديس له تعالى عن الحاجة إلى راحة ما ، كما يزعم بنو إسرائيل قبحهم الله : أن الله خلق ما خلق فى ستة أيام ثم استراح من عمله يوم السبت وبعد الذى أسلفنا بقيت لنا حاجة إلى العلم بأمرين :

أحدهما ـ مقدار المدة التى خلقت فيها الأرض وحدها ، والسماء وحدها ،وجواب ذلك فى قوله تعالى من سورة فصلت : « قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين» فهذا إيضاح ، لأن الأرض لم تستغرق سوى يومين ... ثم يقول بعد ذلك : « وجعل فيها رواسى من فوقها ، وبارك فيها ، وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام ، سواء للسائلين » يعنى وهو الأعلم ـ بعد خلق الأرض فى يومين جعل فيها جبالا رواسى من فوقها ، لتحفظ توازنها ، ولم يجعلها فى جوفها . ولا تحتها لتلك الحكمة ، كما نضع نحن على أطراف الشىء ، أو فى وسطه ما يثبته ، ويحفظه من التمايل ، وهذا ما صرح به فى قوله « وجعل فيها رواسى أن تميد بكم » أى : أن الجبال تحفظ الأرض أن تهبط إلى ناحية من نواحيها وكان خلق الجبال ووضع البركة فى الأرض لتصلح معاشا ، ومزرعة ومنبعا للأرزاق وكان كذلك تقدير الأقوات اللازمة للحياة فيها : كل ذلك كان فى تمام أربعة أيام : أعنى فى يومين آخرين أى بعد يومين سابقين فى خلق الأرض وحدها . فتكون مدة الأرض بما فيها أربعة أيام من الستة ويؤكد الله ذلك بقوله : « سواء للسائلين » يعنى أنها أربعة أيام مستوية متكاملة وهذا لبيان حاجة السائلين .

ويكون الباقى من الأيام يومين ، وفيهما خلقت السموات وما فيها ، وتم نظامها على وجه الكمال وهذا هو قوله تعالى : « فقضاهن سبع سموات فى يومين ، وأوحى فى كل سماء أمرها ، وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا»

الأمر الثانى مما تحتاج الى معرفته ـ أسبقية أيهما على الآخر : السماء أم الأرض ؟ وأنت ترى ذكر السموات سابقا على ذكر الأرض فى طائفة من الآيات ! ففى أول سورة الأنعام ـ « الحمد لله الذى خلق السموات والأرض ، وجعل الظلمات والنور » ـ وفى سورة الأعراف : « إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض » وفى سورة السجدة ـ الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما وفى سورة ق ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما الخ وفى سورة النازعات بذكر السماء ، ويذكر شيئا من صفاتها : ثم يقول : « والأرض بعد ذلك دحاها » يعنى بعد السماء وهذه ظواهر تشعر كلها بأسبقية السماء على الأرض فى خلقها كما هى سابقة عليها فى هذا القصص ! ! .

ولكنك تجد الأمر على عكس هذا فى آيات أخرى : فالأرض مذكورة قبل السماء فى سورة البقرة « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات» الآية ـ وفى سورة فصلت التى أخذنا منها تقسيط الأيام الستة بين الأرض والسماء كما سبق . . .

وفى سورة طه ـ « تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى ».

فبين الآيات مغايرة فى ترتيب ذكر السموات والأرض، فيكون بينها تعارض فى إفادة الأسبقية فى الإيجاد لها ! ! فنحن بحاجة إلى قول فصل .

وقد أشكل الأمر قديما على أحد الناس فذهب إلى ابن عباس ، وسأله عن التعارض بين ذكر الأرض قبل السماء فى آية فصلت وذكرها بعد السماء فى آية النازعات، والأرض بعد ذلك دحاها فقال ابن عباس رضى الله عنهما : أما خلق الأرض فى يومين الخ . . فإن الأرض خلقت قبل السماء ، وكانت السماء دخانا فسواهن سبع سموات فى يومين بعد خلق الأرض . . وأما قوله تعالى «والأرض بعد ذلك دحاها» يعنى بعد خلق الأرض ، والسماء بسط الأرض ، وجعل فيها جبالا ، ونهرا ، وبحرا الخ . انتهى ويبدو من هذا أن تأخر الأرض عن السماء فى الآيات الأولى ، ليس تأخرا فى إيجاد ذاتها بل هى سابقة ، وإنما هو تأخر لما فيها من كائنات تتبعها ، فلا يكون بين نسق الآيات تعارض ، ولا يكون فى الأمر إشكال كما يسبق إلى الوهم.

ولكن : هل هذا هو القول الفصل الذى تطلعنا إليه من قبل ؟ لا ندعى ذلك . . فقد تبسط علماء آخرون وخالفوا ابن عباس ، وأكدوا أن السماء سابقة فى الإيجاد على الأرض ، وأن الأرض بما فيها كانت بعد السماء ، خلقت أو دحيت ، وخلق ما فيها بعد السماء ، واستبعدوا أن يرتاب الإنسان فى هذا ، وقالوا : إنما ذكرت الأرض قبل السماء فى كثير من الآيات ؛ نظراً لاتصال الإنسان بها ، فهو يعيش فيها ، ويستثمرها ، ويشهد معالمها ، ويدرك من منافعها أكثر مما يدرك من معالم السماء ، فخوطب بها قبل أن يخاطب بشأن السماء ، وقوله : «بعد ذلك دحاها» قاطع عندهم بما يرونه .

وعلى كل من التوجيهين فحقيقة العلم بذلك عند بارئ السموات والأرض ، ولا ضير علينا من تعدد الاجتهاد فى استنباط معلوم لا تناط به عقيدة ، ولا يتفاوت به إيمان ، وهو بحث علمى يفيد ، ومعرفة تزداد .

والقصد المنشود من هذه الأخبار فى الذكر الحكيم إيقاظ الوعى عند الناس لما خلق الله فى ملكوته ، وتبصيرهم بما أبدع من آياته ، واستدعاؤهم إلى اليقين بربوبيته ، والاستقامة على طاعته ، واللياذ إلى جانبه ، والاستعاذة به من معصيته .

وهذا توجيه علوى رحيم : والاهتداء به لا يحتاج إلى أسبقية سماء على أرض ، أو أسبقية أرض على سماء ! ! ونسأل الله جلت قدرته وتباركت آلاؤه : أن يهدينا بهديه إلى كمال الإيمان به فهو نعم المولى ونعم النصير ؟

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

الدين والعلم الحديث

نزعة ضارة خاطئة

للأستاذ محمود الشرقاوى

مفهوم العلم عندنا ـ نحن رجال الدين ـ أوسع وأشمل من مفهومه الحديث . فنحن نقول : « علم النحو » و « علم الأصول » و « علم العروض » . كما نقول : « علم الجغرافيا » أو « تقويم البلدان » و « علم الحساب » و « علم الفلك » والهندسة ، وكانوا فى وقت من الأوقات يجعلون « خصائص الحروف » علماً .

ولكن « العلم » الآن له مفهوم أضيق . فهو يطلق على العلوم التى تقوم على التجربة والاختبار كعلم الطبيعة والكيمياء ، والتشريح أو التى تقوم على نظريات حسابية أو هندسية ثابتة . أو فروض علمية تؤيدها القرائن أو المشاهدة .

وليس المفهوم الأول ـ أى مفهوم رجال الدين عن العلم ـ خطأ . بل هو اصطلاح قام عليه فهم خاص فى زمن خاص . وليس فى ذلك شىء من الخطأ أو العيب .

القرآن والظواهر الكونية :

تعرض القرآن الكريم لبعض الظواهر الكونية التى تخضع لمفهوم العلم الحديث . فلم يضع لها قانونا من قوانين هذا العلم ولا نظرية من نظرياته .

يسأل بعض المسلمين النبى عليه السلام عن الهلال : لم يظهر أول الشهر صغيراً ثم يكبر . ؟ ولم لا يكون على حال واحدة كالشمس . . ؟ فينزل الله تعالى فى ذلك قرآنا هو : « يسألونك عن الأهلة ، قل هى مواقيت للناس والحج » (١) .

فإذا تأملنا السؤال وجوابه أدركنا ما بينهما من فرق بعيد . فسؤال بعض المسلمين كان عن « السبب » فى ظهور القمر صغيراً فى أول الشهر . وعن « السبب » فى تدرجه بالكبر ليلة بعد ليلة حتى يصير بدراً كاملا . ثم السؤال عن « السبب » فى اختلاف ما بين القمر والشمس فى ذلك . فالشمس ، كما يشاهدون ونشاهد ، تظهر فى كل يوم على حالة واحدة وفى حجم واحد لا يتغير بالتدرج من الصغر إلى الكبر .

والجواب : كما نرى فى الآية الكريمة ، لم يذكر سبباً ولا علة . بل تحدث عن مشيئة الله

(١) الآية ١٨٩ من سورة البقرة .

التي أرادها من ذلك . وفائدة الناس التي يجب أن يفيدوها من مشيئته تلك فى ظهور الهلال صغيراً ثم يكبر . فمن هذا التدرج يعرف الناس مواقيتهم ويقيسون أزمنتهم ويضبطون شئون يومهم وعملهم وسعيهم كما يعرفون مواقيت الحج .

فالله تعالى يقول للسائلين عن السبب فى ظهور القمر صغيراً ثم يكبر : أفيدوا من حكمة الله ومشيئته تلك فى شئون معاشكم ودنياكم بتنظيم الزمن ، وفى شئون عبادتكم بمعرفة مواقيت الحج . وترك سؤالهم عن عن السبب والعلة من غير جواب .

ثم عاد فى مواضع أخرى من الكتاب الكريم فبين ذلك وأبرزه واستدل به على قدرة القادر وحكمة الصانع الحكيم . مثل آية : « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ، ما خلق الله ذلك إلا بالحق ، يفصل الآيات لقوم يعلمون » (١) .

فى هذه الآية الكريمة يذكر الفائدة والعبرة وما فيها من التفصيل لقوم يعلمون فيعتبرون .

ويسأل قوم النبى عليه السلام عن الروح فينزل الله تعالى عليه قرآنا هو : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » (٢) .

وسواء فسرت « الروح » فى هذه الآية الكريمة بالوحى أو القرآن . كما يرى الفخر الرازى ويستدل على ذلك بسياق الكلام والآيات السابقة اللاحقة(١) أو فسرت بالنفس أو السر الإلهى ، على أى تفسير رضيناه للآية الكريمة فقد جاء الجواب ، مبينا لهم أن العلم الذى آتاه الله لهم ليس إلا شيئاً قليلا إلى جانب ما يجهلون . وأن هذا الذى يسألون عنه إنما هو من « أمر » الله الذى اختص بعلمه . وبعض الروايات تقول : إن السائلين كانوا من اليهود ، أو من المشركين .

وقد وهب الله للإنسان عقلا ليبحث به ويفكر ويتأمل ويخترع ، أى ليستخدمه فى ميدانه ويفيد منه بما يحقق سعادته وخيره فى هذه الحياة ، وليتدبر بعقله هذا وبصيرته فى حكمة الله وقدرته وبديع صنعه : « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض ، لآيات لقوم يعقلون » (٢) .

---

(١) الآية ٥ من سورة يونس .
(٢) الآية ٨٥ من سورة الاسراء .

(١) هذا أيضا رأى فضيلة الاستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت
(٢) الآية ١٦٤ من سورة البقرة .

فى هذه الآية نجد أمر الله الحكيم للناس هو أن يتأملوا ويتدبروا فى خلقه السماء والأرض ، وفى اختلاف الليل والنهار ، وفى « النظرية الطبيعية » التى تجعل السفن تسير على الماء فتحمل الناس ومتاعهم ومتاجرهم ، « والظاهرة الطبيعية » التى تنزل الماء من المطر فتنبت الحب والزرع والشجر وتجعل « من الماء كل شيء حى » كما قال الله تعالى وكذلك مسير السحاب وسوقه من مكان إلى مكان ، وتسخيره بين السماء والأرض ، وتصريف الرياح .

نجد فى هذه الآية الكريمة أمر الله الحكيم للناس بأن يتدبروا هذه « الظواهر الطبيعية » كلها ويتأملوها . فسيجدون فيها عبرة وآية لكل من يعقل . كما يجدون فيها مظهراً ودلالة على قدرة القادر وحكمة الحكيم . فهى دعوة للاعتبار بها فى تثبيت الإيمان والإحساس ثم الاعتراف بقدرة الله وحكمته .

وكذلك نجد فى الآية الكريمة : « إن فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والأرض لآيات لقوم يتقون » (١) .

والأمر فى ذلك أوضح وأبين وأصرح فى هذه الآية : « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم . فبأى حديث بعده يؤمنون » . (١)

فقد جعل الله ثمرة النظر فى ملكوته : أرضه وسمائه هى التأمل والإيمان والامتثال وقرن ذلك باقتراب الموت ونهاية الأجل . ولم يتعرض للسبب والعلة والتفسير ، فذلك أمر جعله الله منوطاً بملكة أخرى وهبها للناس : هى العقل والبحث التجريبى .

الأنوسى والطيران :

هذا من ناحية سياق القرآن وفهمه الذى لا تعسف فيه . وهناك ناحية أخرى واقعية نستطيع بشيء من التأمل أن ندركها ، وبشيء من الإخلاص أن نجزع من أثرها على القرآن والدين والعقيدة : فهذه « النظريات » العلمية - كما نعرف وكما هو واضح من تسميتها - هى فروض واستنتاجات يذهب إليها العلماء الدارسون لهذه الظواهر ، ويختلفون فيها ويذهب كل فريق منهم حيالها مذاهب شتى . ويتنازعون عنها ويتجادلون ويخطئ بعضهم بعضاً فيها . وليس من الخير ولا من التقديس والكرامة التى يجب أن نحرص عليها فى شأن القرآن والدين والعقيدة

(١) الآية ٦ من سورة يونس .

(١) الآية ١٨٥ من سورة الأعراف .

أن نربط بين آيات من الكتاب الحكيم وبين نظريات وآراء وفروض يضعها الناس ويختلفون فيها ويتجادلون عنها ويخطئ بعضهم بعضاً بشأنها . ثم هي قد تخطئ وقد تصيب ، وقد تثبت اليوم ويعترف بها ، ثم تسقط غدا وتنكر. وما أعتقد أن أحداً يحرص على قداسة القرآن وكرامة العقيدة وقدسية الإيمان يرى من الخير أو من السداد أن يربط بين هذه المقدسات وبين « نظريات » هذا شأنها

وليس هذا الذى أقوله فرضا محتملا - وإن كان محض احتماله وتقديره كافيا للجزع والمعارضة - بل هو أمر وقع فعلا فى تاريخ التفسير ، وفى تفسير القرآن الكريم بالذات ومن مفسر لا ينازع أحد فى أنه من كبارهم وشيوخهم ورؤسائهم : هو الألوسى .

يفسر الألوسى قوله تعالى : « ولسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره إلى الأرض التى باركنا فيها وكنا بكل شىء عالمين »[1] فيذكر كلاما كثيراً عن مركب سليمان الذى « كان فيه ألف ركن . فى كل ركن ألف بيت ، يركب فيه معه الإنس والجن. تحت كل ركن ألف شيطان يرفعون ذلك المركب . فإذا ارتفعت أنت الريح رخاء فسارت به فساروا معه »[1] .

بعد أن يذكر الألوسى هذه التفاصيل عن مركب سيدنا سليمان الطائر . لا يكتفى بذلك بل يتعرض لظاهرة « أو نظرية علمية » أو « اختراع » كان يجرى علماء مختصون تجاربهم عليه . هى نظرية استخدام الهواء واختراع الطيران .

فالألوسى يسمع عن محاولة اختراع الطيارة وعن تجربة أجريت فيها فسقطت الطائرة ، فيدخل فيما لا يحسن ويتكلم فيما ليس أهلا له ويتعرض « للعلم » فيربط بينه وبين القرآن . مستدلا - أو محاولا أن يستدل على معجزة النبى سليمان فى ركوب الريح وتسخير الله إياها له - فيقع فيما نرى من الخطأ الكبير . الذى ندرك مداه الآن ونحن نرى ونسمع ونركب طائرة من صنع الإنسان تسير بسرعة تزيد أضعافا مضاعفة عن سرعة الصوت . ونسمع ونشهد قذائف أخرى وكواكب تطير إلى القمر وتدور حوله آلاف المرات .

ونحن لا نشك فى إخلاص الألوسى حين تعرض للعلم التجريبى واستخدمه فى تفسير القرآن الكريم ولكن لا سبيل إلى الشك أيضاً فى خطأ هذا المنزع وضرر هذا الاتجاه

---

(١) الآية ٨١ من سورة الأنبياء .

(١) ص ٣٨٠ ج ٥ من تفسير الألوسى « روح المعانى » . الأميرية ١٣٠١ .

على العقيدة والقرآن . وهى عبرة يجب أن نعتبرها من تجربة الألوسى هذه .

ونحن نرجو أن يكون بعض القوم الذين ينزعون هذا المنزع الخطر فى مثل إخلاص الألوسى فينصرفون عن نزعتهم هذه حين يدركون خطأها وخطرها .

فهم الصحابة للقرآن الكريم :

وهذا الذى يسمونه : « التفسير العلمى للقرآن » فوق أنه تكلف ومجازفة وشطط ، يجافى نظرة الصحابة ، رضوان الله عليهم ، للقرآن وفهمهم عنه .

سأل رجل عمر بن الخطاب عن معنى قوله تعالى : « وفاكهة وأبا » ما هو الأب . . . ؟ فقال له عمر : نهينا عن التكلف والتعمق (١) وما كلفنا هذا » أو ما أمرنا به .

ونحن نعرف مكانة عمر وفقهه وعلمه . والكلمة التى سئل عنها ليست من « العلم » ولا تفسر ظاهرة كونية ولا تقيم نظرية من نظريات العلم التجريبى ولا تتعرض لكشف عن تلك الكشوف التى يريد بعض القوم أن يحملوا القرآن عليها ، أو يحملوها مالا تحتمل وما لا يجب أن تحمل عليه أو تفسر به . وقد رأينا كيف انتهى تفسير الألوسى لآية سليمان ، وما يتعرض له كتاب الله المنزل إذا سايرنا هذه النزعة فى تفسيره .

« فمنهم من تورع أن يقول فى القرآن شيئا برأيه ، كالذى روى عن سعيد بن المسيب أنه كان إذا سئل عن شىء من القرآن قال : أنا لا أقول فى القرآن شيئاً ، وقال ابن سيرين : سألت عبيدة عن شىء من القرآن فقال : اتق الله وعليك بالسداد ، فقد ذهب الذين يعلمون فيم أنزل القرآن » (١) .

فهذا الفهم ، وهذا التسليم بالقرآن ، الذى فهمه عمر وأمر به كان بعض التابعين يلتزمونه أيضاً ويأمرون به .

كم من « الحقائق » العلمية أى النظريات والفروض التى اعتقد رجال العلم أنها أصبحت من الحقائق الثابتة التى لا شك فيها والتى لم تعد ثم حاجة لمعاودة البحث فيها . كم من هذه « الحقائق » عاد العلم نفسه فنقضها وأقام على أنقاضها فروضا ونظريات أخرى يظن يوما أنها أصبحت « حقائق » ثابتة ، ثم يجرى عليها ما جرى على سابقتها ، وهكذا . وكل من درس شيئا من تاريخ العلوم والنظريات العلمية ، يستطيع أن يجد عشرات الشواهد الدالة على صحة ذلك .

---

(١) الموافقات للشاطبى : ص ٥٧ ج ٣ — السلفية ١٣٤١ .

(١) ص ٢٣٥ من فجر الإسلام للمرحوم أحمد أمين ج ١ الطبعة الثانية .

فمن الضرر والبلبلة للمؤمنين أنفسهم ، كما ذكرنا من قبل ، أن نجعل شيئاً أو أمراً من أمور الدين والعقيدة خاضعا لهذه النظريات والفروض العلمية أو دائرا معها . فسينال هذا الشيء ـ أو الأمر ـ من أمور الدين من التناقض والتضارب والسقوط ، ما ينال هذه النظريات والفروض .

وهذا الفهم للقرآن الكريم حقيقة أدركها ونبه إليها من قبل الإمام الشاطبي الذي يقول : « ما تقرر من أمية الشريعة وأنها جارية على مذاهب أهلها ، وهم العرب ، ينبني عليه قواعد منها أن كثيرا من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد ، فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين من علوم الطبيعيات ، والتعاليم ، والمنطق ، وعلم الحروف ، وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها . وهذا إذا عرضناه على ما تقدم لم يصح ، ولهذا فإن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يليهم كانوا أعرف بالقرآن وبعلومه وما أودع فيه ، ولم يبلغنا أنه تكلم أحد منهم في شيء من هذا المدعى سوى ما تقدم وما ثبت فيه من أحكام التكاليف الآخرة وما يلي ذلك . ولو كان لهم في ذلك خوض ونظر لبلغنا منه ما يدلنا على أصل المسألة ، إلا أن ذلك لم يكن فدل على أنه غير موجود عندهم . وذلك دليل على أن القرآن لم يقصد فيه تقرير لشيء مما زعموا »(١)

فالبحث عن نظريات العلوم ، والمخترعات الحديثة ، والمستكشفات ، كإضافة « كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين » هذا البحث كهذه الإضافة التي يرى الشاطبي أنها تجاوز في الدعوى على القرآن لا يحتملها ، ولم يفهمها منه الصحابة والتابعون الذين هم أقرب الناس إليه ، وأدراهم بمقاصده وإدراك معناه .

والكلمة الحكيمة الصادقة المؤمنة التي قالها مالك . هي خير ما يجب أن نلتزمه في فهم الآيات المتشابهة من القرآن الكريم ، وهي حصانة لنا من الخطأ والزلل . والله تعالى يقول : « وما يعلم تأويله إلا الله ، والراسخون في العلم يقولون آمنا به . كل من عند ربنا ، وما يذكر إلا أولو الألباب » .

« الراسخون في العلم » . يقولون : « آمنا به كل من عند ربنا » . فكيف بنا ـ نحن غير الراسخين ـ على ألطف التعابير وأيسر الأوصاف . . ؟ .

محمود الشرقاوي

---

(١) ص ٥٢ من الموافقات ج ٢ ـ السلفية ١٣٤١ ـ

الخمر وأخواتها رجس من عمل الشيطان

للأستاذ الدكتور سليمان دنيا

وأقصد بأخوات الخمر هنا ، المخدرات من الحشيش والأفيون وأضرابهما ، فهن أخوات فى الشر والإثم والفساد ، يفسدن أحوال الناس وصحتهم وعقولهم .

ولعل القراء قد وقفوا على الخبر الذى نشرته (الأهرام) الصادرة فى التاسع من شوال سنة ١٣٧٩ تحت عنوان (مزارع فى « أبنوب » يذبح أطفاله ويعلق جثثهم على الباب وينادى أهالى البلدة ليشاهدوا مصرعهم) .

ومما جاء تحت هذا العنوان (أن المزارع « محمد الصبحى » عاد إلى منزله فى حالة سكر شديد ، وكانت رائحة الحشيش تفوح من فمه مع رائحة الخمر ، وعاتبته زوجته « بخيته عبد العزيز مصطفى » ، وهى ترضع طفلها الصغير ، فثار الزوج واستل سكينا وأخذ يطعن بها زوجته ، فاستغاثت ثم سقطت على الأرض فاقدة النطق ، وعندئذ أغلق الزوج باب منزله ليرتكب أبشع جريمة يرتكبها إنسان .

لقد سولت له نفسه أن ينتقم من زوجته فى شخص أطفالها وأطفاله ، فحمل ابنه « طرزان » وعمره ثمانى سنوات ، داخل حجرة وذبحه بالسكين ، ولم تنقذه من الموت دموعه وتضرعاته ، لقد استحال هذا الوالد إلى وحش ، وتحول قلبه إلى قطعة من الصخر .

ثم فتح باب الحجرة ليستقبل جريمة ثانية لقد استدرج الوالد القاتل ضحيته الثانية : ابنته « تريزة » وعمرها ست سنوات إلى الحجرة التى اختارها لارتكاب جرائمه ، وإلى جانب جثة « طرزان » ألقى الطفلة « تريزة » ثم انحنى عليها وفصل رأسها من جسدها ، ورمى بالسكين ، وحمل الجثتين ليعلقهما على الباب وأخذ يصيح « تعالوا شوفوا » وسرعان ما تجمع أهل البلدة ليشاهدوا أبشع منظر يمكن أن تقع عليه عينا إنسان) .

هذه واحدة من الجرائم التى تؤدى إليها وتتسبب فيها المسكرات ، فهل رأيت ، أو سمعت عن حادث يقشعر له جلدك ، وتدور من هوله رأسك ، كهذا الحادث ؟ ماذا جنت

هذه الطفولة البريئة ؟ وأين كان حنان الأبوة وعطفها حين أضجع هذا الوالد ولديه ، أحدهما إلى جانب الآخر ، وأجرى السكين على رقبتيهما ، واحدا إثر الآخر ، يجزهما جزاً ، كما يجز القصاب رقاب الماشية ؟ أين غاب قلبه الذى كان إذا سمعهما يبكيان تفطر لبكائهما ؟ أين ذهب قلبه الذى يرضى له بل يحتم عليه أن يجوع ليشبعهما ، وأن يظمأ ليرويهما ، وأن يتعرى ليكسوهما ، وأن يمرض ليوفر لهما الشفاء ، وأن يسهر ليمنحهما النوم ، وأن يشق ليجلب لهما السعادة ؟ كيف تحول قلب هذا الوالد الذى كان مليئا بحب لا ينضب ، فأصبح مليئا بقسوة صارت مثلا فى الحاضرين ، وستبقى مثلا فى اللاحقين ؟ ما سر هذا التحول فى قلب الوالد الأب ؟ .

إنه المخدر الذى ستر العقل ، وواراه ، بل أودى به ... المخدر الذى سلب الأب الإدراك والتمييز ، المخدر الذى سلب الأب الحنان والشفقة والمحبة ، إنه السم القاتل الذى لا يقتل متعاطيه قتلا بطيئاً فحسب ، ولكن يقتل معه الطفولة البريئة الغضة ، التى تشبه الزهر فى نضرته ، والورد فى بهجته . إنه المخدر الذى يهجم علينا من الخارج كما يهجم السيل الذى يجرف كل ما فى طريقه فيتلف ويخرب ، ويأبى المروجون له إلا أن يدخلوه علينا بكل الوسائل ، فهم يخفونه فى بطون الإبل تارة ، وفى أدبارها تارة أخرى ، وإن اقتضى الحال نازلوا رجال الأمن وحفظة الحدود ، واشتبكوا معهم فى معارك دامية لا يخيفهم ما ينال أمثالهم من الأشغال الشاقة المؤبدة .

وأذكر أنى قرأت أخيراً ، أن المشرع العربى أحس بضرورة تشديد العقوبة على هؤلاء المجرمين ، فجعلها أو سيجعلها (الإعدام) بدلا من (الأشغال الشاقة المؤبدة) وهذا إجراء تشكر عليه حكومتنا أعظم الشكر ؛ فإنه يدل على سداد فى الرأى وأصالة فى التفكير ورعاية للصالح العام ؛ فإن العقوبة علاج للجريمة يقصد به القضاء عليها وتطهير المجتمع من أوضارها ، كالعلاج الذى يقصد به الخلاص من المرض ، ولا شك أنه إذا لم يصلح دواء لعلاج مرض ، عدل الطبيب إلى دواء آخر ، وهذا هو نفس ما فعله المشرع العربى مشكورا .

وكما يصارع الدواء المرض ، والمرض الدواء ، تصارع العقوبة الجريمة ، والجريمة مثل العقوبة - أعنى الحكومة والمجتمع - فأيهما قوى كان له الغلب على صاحبه . فحين تظل الجريمة فاشية - رغم أنف العقوبة - يكون معنى ذلك أن العقوبة أضعف من الجريمة ، وأن الجريمة أقوى من العقوبة ، والطمأنينة لا تتوفر للجماعة والأمن

لا يستتب ، إلا إذا كانت العقوبة أقوى من الجريمة ، قادرة على إفنائها ، أو تقليلها .

فعدول المشرع العربى عن عقوبة (الأشغال الشاقة) إلى عقوبة (الإعدام) حين لم تقدر الأولى على التغلب على الجريمة ، ذهاب مع المنطق السديد الذى يتخذ من العقوبة وسيلة للقضاء على الجريمة .

وإنا لنرفع أكف الضراعة إلى الله أن يجعل التوفيق دائما حليف حكومتنا الرشيدة فتجعل من العقوبة بجميع أنواعها ، وسيلة للقضاء على الجريمة بجميع أنواعها ، وكلما لم تجد فى عقوبة ضمانا كافيا للقضاء على الجريمة ، استبدلتها بما يكفل القضاء عليها .

ولعل فى هذه الخطوة الموفقة التى خطتها الحكومة بخصوص تشديد عقوبة الاتجار فى السموم المهلكة المسماة بالمخدرات ، بعد ما ثبت لها أن العقوبة الأولى ، لم تعد كافية للقضاء على الجريمة أو تقليلها .

أقول : لعل فى هذا المبدأ الرشيد ما ينبه إلى خطأ الفئة التى تقوم بين الفينة والفينة تدعو إلى إلغاء (عقوبة الإعدام) فإن الجريمة والعقوبة متكافئتان ككفتى الميزان، بل المفروض أن تكون كفة العقوبة أرجح ، ليتحقق للجماعة أمنها وطمأنينتها . وإلغاء عقوبة الإعدام سوف يجعل كفة بعض الجرائم أقوى وأرجح ، وهذا من شأنه أن يفقد الجماعة أمنها وطمأنينتها ، مع أن توفير الأمن والطمأنينة أول واجبات الحكومة نحو الأمة .

إن التجارب كفيلة بأن تكشف عن خطأ الأفكار الفجة التى يدفع إليها التسرع والغفلة عن العواقب ، وأضع أمام عينى القارئ هذا الخبر الذى نشرته صحيفة الأخبار فى العاشر من شوال سنة ١٣٧٩ تحت عنوان (عصابة سرقة الأطفال بشبين القناطر تخطف تلميذا ، وتطلب مائة جنيه لإعادته ... الشرطة تعثر على التلميذ قبل ذبحه بساعات) .

ومما جاء تحت هذا العنوان (أن حسين دراهم كان مشغولا بتشييع جنازة شقيقه ، ولما عاد لم يجد ابنه فى المنزل . فظل يبحث عنه طول الليلة ، فلم يجده ، ولم ينم الأب ولم تنم الأسرة كلها هذه الليلة ... وفى الصباح حضر إلى منزل حسين: والد الطفل المخطوف، شخصان قالا : إنهما واسطة خير بين الجناة وبين والد الطفل ، وأفهما الوالد أن الجناة يطلبون مائة جنيه ثمنا لإعادة الطفل ، فلم يجد الوالد إلا خمسين فقط ، دفعها ووعد بدفع الباقى عند عودة الطفل ، فأخذ الجناة الخمسين جنيها وامتنعوا عن تسليم الطفل إلا بعد دفع الخمسين الباقية .

ولما علمت الشرطة ، وضيقت على الجناة الخناق ، حمل الطفل أحد الجناة ، وذهب به

إلى الزقازيق ليقتله هناك ، ولما لم يتمكن من قتله تركه فى أحد شوارع الزقازيق وهرب) .

فتأمل أيها القارئ كيف تبلغ الاستهانة بالأرواح عند غلاظ الأكباد من الناس إلى هذا الحد ؟ ! ! .

فلم يكن الغرض من سرقة الطفل وقتله ، الانتقام من والد الطفل ، أو الأخذ بثأر قبله ، ولكنه الحصول على المال ، ولم يكف الجناة أن يأخذوا من المال كل ما يملكه والد الطفل . بل أبوا إلا أن يأخذوا ما يطلبون . ولما لم يستطع الوالد تقديم ما يطلبون ، حملوا الطفل ليذبحوه بعيداً ، كما تذبح الشاة ، بعد أن أخذوا من والده كل ما تملك يده .

فهل مثل هؤلاء يستحقون أن يتقدم منصف فى قلبه ذرة من حب للإنسانية ليشفع لهم بعدم القتل لو كانوا قد تمكنوا من تنفيذ جريمتهم ، وذبحوا الطفل ، ولم يرحموا مصيبة والده فى أخيه ، فانتهزوا فرصة انشغاله بمواراة جثة شقيقه ، وراحوا يبيعون له دم ابنه بثمن لا يملكه .

فماذا إذن يمكن أن يردع عن أمثال هذه الجرائم البشعة ، لو أمن الجناة القصاص العادل ، الذى يردع عن شيوعها وفشوها ؟ . وماذا يؤمن الناس على أرواح أطفالهم ويحمى دماءهم من أيدى السفاحين السفاكين الذين يتجرون بدماء الأطفال وأرواحهم ؟ .

إن الناس لا يستطيعون أن يضربوا على أولادهم أسواراً من حديد ، فإذا لم تكن هناك عقوبة رادعة تحمى الطفولة من العبث بها وخطفها وقتلها ، أصبحت حياة الناس جحيما لا يطاق . فليتق الله أولئك الذين يشجعون على الجريمة بإلغاء العقوبة العادلة المناسبة لها ، الكفيلة بالقضاء عليها ، إن كانوا يؤمنون بالله ! ! فإن لم يكونوا يؤمنون بالله ، فليرعوا حق الوطن وحق أهله ، فإن التهوين من شأن الجريمة إغراء بها ، وفى الإغراء بالجريمة تغرير بالجناة وتضييع للحق عليهم ، ولن تطيب لقوم حياة تفشو بينهم الجريمة ، فهم بين غرجان ومجنى عليه مضيع . فهذه العصابة تستحق أن تلقى عقابا يكون رادعا لها ولأمثالها ، ولعل فى القانون ما يكفل ذلك ، فإن لم يكن فباب التعديل مفتوح .

* * *

وأعود إلى الرجل الذى ذبح طفليه ، فأقول : إن الخمر كانت شريكة المخدرات فى جريمته ، فقد جاء فى الخبر (أن المزارع عاد إلى منزله فى حالة سكر شديد ، وكانت رائحة الحشيش تفوح من فمه ، مع رائحة الخمر) .

ويوم تنال الخمر على يد المشرع العربى ما يليق بها من جزاء كما نالت المخدرات ، نكون قد قضينا على عاملين خطيرين من عوامل الشر والفساد فى مجتمعنا العربى ، وفقنا الله وهدانا إلى سواء السبيل ؟ .

الدكتور سليمان دنيا

شعراء الوحدة :

العماد الأصبهانى

للأستاذ على العمارى

٥١٩ — ٥٩٧ هـ

— ٢ —

واشتهر بالعماد الكاتب ، وهو محمد ابن صفى الدين ، ويرتفع بعض المؤرخين بنسبه إلى قريش ، وإن كانت نشأته بأصبهان ، وهى مدينة فارسية ، ومن رجال أصبهان الذين ينتمون إلى الأصول العربية أبو الفرج صاحب الأغانى ، وأبو العباس أحمد بن محمد الأبيوردى الشاعر المشهور ، وهما أمويان .

نشأ أبو عبدالله عماد الدين فى بيت رياسة ، ونبل ، وكان عمه العزيز من أعمدة الدولة فى عصره حتى لينسب العماد إليه . فيقال : (عماد الدين ابن أخى العزيز) . وقد ذكر العماد فى سبب تأليفه كتاب الخريدة أن الذى بعثه على جمع الكتاب أنه وجد المعاصرين لعمه الصدر الشهيد عزيز الدين الذى ولى المناصب العلية فى الدولة السلجوقية ، ما فيهم إلا من أم قصده ووفد عليه واسترفده وكانت المدائح المجموعة فى عمه مجلدات ، فاحب أن يحيى ذكر هؤلاء المادحين ، وأن يبقى بعض ما قالوا من مدائح نبهها العدو لما نكب العزيز . وقد أشار العماد فى بعض شعره إلى أنه من بيت كريم حين استشفع برئيس الرؤساء عماد الدين بن المظفر عند الخليفة العباسى :

وقل : استجار كريم بيت بى ، وذو الـ
ـبيت الكريم يجد فى أحيائه

وكان من خصائص بيت العماد (التثقف بالثقافتين العربية والفارسية ، ويظهر من استقراء أحوالهم أن العناية بالآداب العربية وبرواية الشعر العربى وقرضه كانت عريقة عند رجال هذا البيت) فكان العماد يجيد الكتابة بالفارسية إجادته بالعربية : وقد ترجم كتابين من الفارسية إلى العربية هما : (فتور زمان الصدور ، وصدور زمان الفتور) تأليف الوزير أنو شروان بن خالد ، وكتاب (كيمياء السعادة) لابى حامد الغزالى .

وقد وفد العماد إلى بغداد مع والده فى

سنة ٥٣٤ هـ وعمره إذ ذاك خمسة عشر عاما ، في أيام المقتفي بالله ، وفي ذلك يقول : « وكان وصولي إلى بغداد في الأيام المقتفوية ، وفي ظلها المنشأ ، وفي فضلها المربى ، وفي جوارها حصل الأمن ، ووصل المن ، وبخدمتها عرفت ، وبنعمتها تعرفت ، وفي جنابها حلا الجنى ، وعلا الثنا »[1] .

واشتغل في صغره بسماع الحديث ، ودراسة الفقه ، وكان قد بدأ يتعلم العربية بأصبهان ، وقد نبغ في فنون كثيرة ، وتصدر للتدريس - فيما بعد - فأقبل الناس على سماع الحديث عنه وتلقي الفقه وغيره عليه ، قال ابن كثير : وكان بارعا في درسه يتزاحم الفضلاء لفوائده وفرائده . وكانت دروسه في دمشق في المدرسة النورية التي عرفت فيما بعد بالمدرسة العمادية لكثرة إقامته بها وتدريسه فيها . وقد فخر العماد بنفسه ، وقلما كان يفعل ذلك . فقال :

ابدا بين همتي وزماني
في اقتراحي وفي اطراحي ملاحم
عظمت همتي وهأنا أستصغر
في المطلب العظيم العظائم
ما نجا من مطاعن العجز راض
بملاه من عيشه ومطاعم

وفي عهد الملك العادل نور الدين محمود في سنة ٥٦٢ هـ بلغ دمشق واتصل بالقاضي كمال الدين الشهرزوري وكان ذا مكانة سامية في حكم نور الدين ، وكان إماما فاضلا فقيها وكان صاحب قلم وسيف ، فنوه بذكر العماد عند نور الدين ، وعدد فضائله ، وأهله لكتابة الإنشاء ، فولاه الإشراف على ديوان الإنشاء في سنة ٥٦٨ هـ . ثم اتصل بعد ذلك بصلاح الدين ، وعلا شأنه في الدولتين النورية والصلاحية ، (ثم لزم الباب - باب صلاح الدين - ينزل لنزول السلطان ، ويرحل لرحيله فاستمر على عطلته مدة مديدة ، وهو يغشى مجالس السلطان ، وينشده في كل وقت مدائح ويعرض بصحبته القديمة ، ولم يزل على ذلك حتى نظمه في سلك جماعته ، واستكتبه واعتمد عليه ، وقرب منه فصار من جملة الصدور المعدودين ، والأماثل المشهورين ، يضاهي الوزراء ، ويجري في مضمارهم ، وكان القاضي الفاضل في أكثر أوقاته ينقطع عن خدمة السلطان ويتوفر على مصالح الديار المصرية والعماد ملازم للباب بالشام وغيره ، وهو صاحب السر المكتوم)[1] وقد زار القاهرة في سنة ٥٨٢ هـ . ولكنه قضى بقية أيامه في الشام إلى أن توفي في دمشق ، ودفن في مقابر الصوفية في سنة ٥٩٧ هـ .

عصره :

كانت الفترة التي عاش فيها العماد من سنة

(١) الخريدة - القسم العراقي ص ٣٦ .

(١) ابن خلكان جـ ٤ ص ٢٣٥ طبعة النهضة .

٥١٩ هـ إلى سنة ٥٩٧ هـ من أكثر الفترات أحداثا فى تاريخ الإسلام، وقد ارتبطت حياة العماد ببعض الخلفاء العباسيين أولا، ثم بنور الدين محمود، ثم بصلاح الدين الأيوبى .

وفى هذا العهد قويت شوكة الفرنج وأكثروا الغارات على البلاد الإسلامية واتسعت بلادهم وكثرت أجنادهم، وعظمت هيبتهم، وزادت صولتهم، وامتدت إلى بلاد المسلمين أيديهم، وضعف أهلها عن كف عاديهم، وتتابعت غزواتهم . وساموا المسلمين سوء العذاب، واستطار فى البلاد شرهم وامتدت مملكتهم من ناحية ماردين إلى عريش مصر لم يتخللها من ولاية المسلمين غير حلب وحماة وحمص ودمشق، وكان أهل الرقة وحران معهم فى ذل وهوان، ثم زاد الأمر وعظم الشر حتى جعلوا على أهل كل بلد جاورهم خراجا يأخذونه منهم ليكفوا أذيتهم عنهم، كما يقول أبو شامة فى الروضتين

وقد أبلى ملوك المسلمين بلاء حسنا فى دفع شر هؤلاء واستئصال شأفتهم، وعاصر العماد وخدم ملكين من أعظم ملوك الإسلام هما كما سبق نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبى .

أما نور الدين فقد عطر التاريخ بسيرته وقد عم عدله، وانتشر بره وفضله، وكان إلى جانب شجاعته، متمسكا بأحكام الشريعة يقف عند حدودها، ويترسم خطى النبى صلى الله عليه وسلم فى كل أقواله وأفعاله . وكان فى أكثر الليالى يصلى ويناجى ربه مقبلا بوجهه عليه ويؤدى الصلوات الخمس فى أوقاتها حتى قال الصليبيون إنه ما ينتصر عليهم بكثرة جنده، وإنما يظفر عليهم بالدعاء وصلاة الليل . وكان يسمع شكوى المظلوم ويتولى كشف حاله بنفسه ولا يكل ذلك إلى حاجب ولا أمير ؛ لأنه كان يكره الظلم أشد الكراهية، حتى أنه كان يرى أن الحسنات وإن كثرت لا تنفى بظلم رجل مسلم، وقد أكثر الغزو والجهاد حتى فتح أكثر من خمسين حصنا، قال ابن الأثير : « قد طالعت سير الملوك المتقدمين فلم أر فيها بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز أحسن من سيرته، ولا أكثر منه تحريا للعدل .

وقد اتسع ملكه فشمل الشام وديار الجزيرة ومصر وخطب له بالحرمين الشريفين وباليمن وقد تضمنت مدائح العماد شمائل هذا السلطان، فمن ذلك قوله :

يا محيى العدل الذى فى ظله
من عدله رعت الأسود مع المها
يا من أطاع الله فى خلواته
متأدبا من خوفه متأوها
مانمت عن خير ولم يك نائما
من لا يزال على الجميل منبها

أخملت ذكر الجاهلين ولم تزل
ملكا بذكر العالمين منوها
وبما به أمر الإله أمرتهم
من طاعة ونهيتهم عما نهى
وأراك تحلم حين تصبح ساخطا
ويكاد غيرك ساخطا أن يسفها

وهى قصيدة طويلة ، قال أبو شامة بعد أن أوردها : « رحم الله العماد فقد نظم أوصاف نور الدين الجليلة بأحسن لفظ وأرقه . وهذا البيت الأخير مؤكد لما قلناه فى أول الكتاب من قول الحافظ أبى القاسم رحمه الله فى وصف نور الدين رحمه الله : إنه لم تسمع منه كلمة فحش فى رضاه ولا فى ضجره ، وقل من الملوك من له حظ من هذه الأوصاف الفاضلة والنعوت الكاملة [1] .

وأما صلاح الدين ، فأمره مشهور ، وفضله معروف ، ولا أظن أن أحدا ممن يشدو قليلا من تاريخ أبطال المسلمين يجهل فضل هذا السلطان .

فن العماد :

سبق أن أشرت إلى أن شهرة العماد كانت (الكاتب) وهذا هو ما استقر فى نفوس الأجيال المتعاقبة ، فإذا جاء ذكر الشعر فإنما ينسب إليه على أنه من شعر الكتاب ، وشتان فى ميدان النقد الأدبى بين شاعر وشاعر من الكتاب ، ذلك أن العبارة الثانية معناها أنه كاتب ، والشعر صناعة إضافية عنده ، كما تقول : إن شوقى من كتاب الشعراء ، فشوقى شاعر ، والكتابة شىء ثانوى فى فنه .

هذا هو ما استقر فى أذهان الدارسين للأدب العربى غير أن صلاح الدين الصفدى يقول : (أرى أن شعره ألطف من نثره) وعلل ذلك بإكثار من الجناس فى نثره ، وقد وافقه على ذلك ناشر القسم العراقى من كتاب الخريدة . وزاد فى الأسباب جودة طبعه الشعرى . وسماحة قريحته وانسياقه فى مذاهب الفصاحة والرقة والسلالة واتساعه فى أفكاره وعباراته فى غير اجتلاب ولا تكلف ، وانكشاف معانيه مع استواء لغته ومتانتها وشدة قوافيه أحيانا .

ويبدو أن هذا الحكم نظر إلى نثر العماد بعامة : النثر العلمى ، والنثر الأدبى ، ولكن الإنصاف يقتضى أن نفرق بين هذين النوعين من النثر ، فلا شك أنه لا تمكن المفاضلة بين النثر الذى دون به التاريخ وبين الشعر ، وإنما الذى يمكن أن نضع نثره الأدبى وشعره فى الميزان وبعد إطالة النظر واستعراض كثير مما كتبه العماد وما نظمه تأكد لى أن العيوب التى هجنت نثره الأدبى من تحميله فوق ما يطيق من ألوان البديع بارزة واضحة فى شعره . وأن الرقة والسلاسة وجودة الطبع

(١) جـ ١ ص ١٥١ .

هذه التى زينت شعره ، واضحة فى نثره الأدبى ، وكل الفرق بين الأثرين أن شعر العماد عبر كثيرا عن عواطفه الذاتية من حب وكره وشكوى فكان ألصق بالقلوب ، أما الشعر الذى قاله فى سرد الحوادث أو فى المديح أو فى السياسة بصفة عامة فلا يعلو أبدا عن نثره الأدبى الذى قيل فى هذه الأغراض .

فمن شعره الذى يذهب ما فيه من البديع بحلم الحليم قوله :

وســـقى الله عيشنا المقتضى
ورعى الله عهـــدنا المتقادم
حين عصر الصبا لحالى حال
وهو فى مره كأحلام حالم
فليالى العراق بيض من البيض
غوان من الغوانى غوانم
وبذاك الجناب أوطان أوطارى
كما أنهـا مغانى المغـانم
ومراد المراد بالعرف زاه
ومراح المراح بالعرف فاغم

وقوله :

ونداه ناد فإن أندية المنى
مخضرة الأكناف من أندائه

ومن نثره الجيد قوله فى خطبة الخريدة : « وكنت منذ شممت بارقة الأدب ، وركبت فى استفادة العلم صهوة الطلب ، ذاك وصبا الصبا فى ريعان الصبوب لها مسرى ومسير ، وشبا الشباب الطرى طرير ، وأنا أحب أن أجمع محاسن من محاسناهم الدهر المسىء ، وأظهر مزاين من غفل عن التحلى بمزاياهم الزمان البذىء صنفت هذا الكتاب وألفته ، ورقمت هـذا الوشى وفـوقته ، وسميته (خريدة القصر وجريدة العصر) لأنها حسناء ذات حلى وحلل ، غانية تغبطها على الحسن أقمار الكلل . فهذا الكتاب كالروض الأنف يجمع أنواع الزهر ، وكالبحر تضمن على نواصع الدرر ، وكالدهر يأتى بعجائب العبر ، يشتمل على فنون وعيون ، وأبكار للمعانى وعون ، وأصناف فوائد ، وأصداف فرائد » .

ومهما يكن من شىء فإن العماد جرى مع جياد عصره فى ميدان البديع غير أنه أكثر منه ، ومع ذلك أصبح له كالطبع ، فهو فى كثير من الأحيان يجىء كأنه غير متكلف ، عفو البديهة ، ذكروا أن القاضى الفاضل والعماد اجتمعا يوما فى موكب السلطان صلاح الدين وقد ثار الغبار لكثرة الفرسان ، وتعجب القاضى من ذلك فقال العماد مرتجلا :

أما الغبـــار فإنه
ممـا أثارته السـنابك (١)
والجـو منـــه مظلم
لكن أنارته السنابك

(١) السنابك الأولى حوافر الخيل والثانية أعلى البيضة التى يلبسها الفارسى .

يا دهر لى عبد الرحـ
ـيم فلست أخشى مس نابك

ومن طبعه على البديع أنه لقى القاضى الفاضل يوما وهو راكب على فرس فقال له : سر فلا كبابك الفرس ، فقال له الفاضل : دام علا العماد . وكلا القولين يقرأ عكساً وطردا . وهذا ضرب من البديع يسمونه القلب ، وهو من المحسنات اللفظية .

والناقد ـ وإن أغضى الطرف ـ عن إكثار العماد من ألوان البديع فإنه لا يستطيع أبداً أن يقره على استخدامها فى الكتب العلمية . والعماد واحد من كتاب قليلين جداً أثقلوا على أنفسهم وعلى القراء فسجعوا حيث لا ينبغى السجع ، ألف أبو النصر العتبى (٤٢٧ هـ) كتابه (اليمينى) الذى أرخ به يمين الدولة السلطان محمود الغزنوى . فجاء به مسجوعا وتبعه العماد فألف كتابين مسجوعين فى التاريخ (الفتح القسى فى الفتح القدسى) و (البرق الشامى) فبالغ فى استخدام ألوان البديع ، مما جعل الذين جاءوا بعده يعيبون عليه هذا النهج فى كتابة التاريخ ، قال أبو شامة فى الروضتين : «وصنف الإمام العالم عماد الدين الكاتب أبو حامد محمد بن محمد بن حامد الأصفهانى كتابين كلاهما مسجوع متقن بالألفاظ الفصيحة والمعانى الصحيحة ، أحدهما الفتح القدسى اقتصر فيه على فتوح صلاح الدين وسيرته فاستفتحه بسنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، والثانى البرق الشامى ذكر فيه الوقائع والحوادث من الغزوات والفتوحات وغيرهما مما وقع من سنة وروده دمشق وهى سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة إلى وفاة صلاح الدين وهى سنة تسع وثمانين فاشتمل على قطعة كبيرة من أخبار أواخر الدولة النورية إلا أن العماد فى كتابيه طويل النفس فى السجع والوصف يمل الناظر فيه ويذهل طالب معرفة الوقائع عما سبق من القول وينسيه » .

والحق أن كثيرا من نثر العماد فى كتابه (الفتح) يغثى النفس ، ويكد الخاطر ، وحسبنا أن نعلم أن كل عناوين الكتاب مسجوعة ، ومنها هذا العنوان (ذكر رأى رائب ، عن النظر فى الغاى الغائب ، أسفر عن داء دائب ، وأبان عن غرارة بغرائب) وربما عمد ـ مضطرا ـ إلى استعمال الكلمات التى ذادها علماء البلاغة عن دائرة الفصاحة ولكن ليس هذا الكتاب ، ولا صنوه البرق الشامى هما كل ما كتب العماد ، بل إن له مؤلفات كثيرة ، وحسبه خريدة القصر وهو فى عشر مجلدات وديوان شعره الذى يقول فيه الصفدى (يدخل فى أربع مجلدات كبار) والذى شبهه ابن السبكى بالبحر الذى لا ساحل له ، ورسائله الكثيرة المنثورة فى كتبه ، ومن هنا قال عنه ابن خلكان أنه أتى فى صناعة

الكتابة بالغرائب ، وقال ياقوت الحموى أنه باشر كتابة الإنشاء وأجاد فيها حتى زاحم القاضى الفاضل بمنكب ضخم ، وكان ينشئ الرسائل بالفارسية فيجيد فيها إجادته بالعربية. وبالغ زكى الدين المنذرى فعده (إمام البلغاء وشمس الشعراء ، وقطب رحى الفضلاء ، فاق الأوائل طرا ، نظما ونثرا ، واستعبدت رسائله المعانى الأبكار ، وأخجلت الرياض عند إشراق الأنوار » .

غير أن هؤلاء قد تحملهم عقيدتهم فى العماد إلى استحسان ما لا يستحق الاستحسان ، فابن خلكان مثلا ـ وهو عندى من أصحاب الأحكام الدقيقة ، والذوق السليم ـ يمتدح هذه القطعة ويعده مبدعا فيها ، وهى ثقيلة متكلفة ، وهذه هى ـ وكان كتبها لماحج القاضى الفاضل ـ : (طوبى للحجر والحجون من ذى الحجر والحجا ، منيل الجدا ومنير الدجى ولندى الكعبة من كعبة الندى ، وللهدايا المشعرات من مشعر الهدى ، وللمقام الكريم من مقام الكريم ، ومن حاطم فقار الفقر للحطيم ، ومتى رؤى هرم فى الحرم ، وحاتم ماتح زمزم ؟ ومتى ركب البحر البحر ، وسلك البر البر ، لقد عاد قس إلى عكاظه ، وعاد قيس لحفاظه ، ويا عجبا لكعبة يقصدها كعبة الفضل والأفضال ، ولقبلة يستقبلها قبلة القبول والإقبال .

فأنت ترى أن ما أودعه فيها من الصناعة ليس بديعا ، وإنما هو إلى لعب الأطفال أقرب .

العماد والوحدة .

علت منزلة العماد عند نور الدين محمود وسار صاحب سره ، ولزمه لزوم ظله يقيم بإقامته ويرحل برحيله ، ويعدد مفاخره ، ويشد أزر جيوشه التى ظلت تعمل دائبة لاسترجاع البلاد العربية من أيدى الفرنج ، كما لزم فيما بعد باب صلاح الدين ، واشترك معه فى كل فتوحاته وغزواته ، وقد اعتمد عليه صلاح الدين كما اعتمد عليه من قبل نور الدين ، فأخذ يتغنى بمناقب هذين البطلين العظيمين ويسجل ما يحرزانه من انتصارات على الفرنج ، فكان القول فى الحروب الصليبية ووصفها ، غرضا من أهم الأغراض التى عالجها العماد نثراً وشعراً ، وقد قال أبو شامة المقدسى فى كتاب (الروضتين) . (ولم يبق بعد موت القيسرانى وابن منير فحل من الشعراء يصف مناقب نور الدين كما ينبغى إلا ابن أسعد الموصلى إلى أن قدم العماد الكاتب الشام فى سنة اثنتين وستين بعد الخمسمائة ، فتسلم هذا الأمر ، وعبر عن أوصاف نور الدين ، ومناقبه وغزواته بأحسن العبارات وأتمها نظما ونثرا) [1] . ومن مدحه فى نور الدين .

(١) ١ ـ ص ٩٤ .

محمد يحمد عيش بلدة
مالكها بعدله محمودها
قد أسبغ الله لنا بعدله
ظلال أمن وارف مديدها
غدا ملوك الروم فى دولته
وهم على رغمهم عبيدها
لما أبت هاماتهم سجودها
لله أضحى للظبي سجودها
إن فارقت سيوفه غمودها
فإن هاماتهم غمودها

وهكذا يمضى يتحدث عن أثر نور الدين وجهاده لأعداء البلاد وفتحه مغالق الحصون وذله الفرنج أمام جيشه المتحمس لإعادة الوطن إلى أصحابه ، وأن البلاد مقبرة ثغورها ، محفوظة حدودها ، ومثل هذا الشعر مما يبعث فى النفوس العزة ، ويدفعها الى أن تحافظ على أوطانها ، وتعمل جاهدة لاسترداد ما فى أيدى الأعداء منها .

وكلما فتحت بلد تهلل وجه العماد وشعره وغنى على قيثارته أهازيج النصر ، فتح نور الدين (منبج) فغاضت شاعرية العماد تهنئ بفتحها وتحث على فتح القدس ، وقد كان هذا الأمل فتح القدس دائما نصب أعين قادة المسلمين ، وشعرائهم وكتابهم ، وكان العماد من أكثرهم تحمساً لهذا الفتح ، قضى شطراً من عمره يحث عليه ، ويستنهض الهمم له ، فلما تم الفتح فى عهد صلاح الدين نثر وشعر ، بل وكتب كتابا وسماه (الفتح) . يقول فى فتح منبج يهنئ نور الدين :

أبشر فبيت القدس يتلو منبجا
وكمنبج لسواه كالأنموذج
فانهض إلى البيت المقدس غازياً
وعلى طرابلس ونابلس عج
قد سرت فى الإسلام أحسن سيرة
مأثورة وسلكت أوضح منهج
وجميع ما استقريت من سنن الهدى
جددت منه كل رسم منهج

كان توحيد البلاد وتخليصها من أيدى الأعداء هدفهم الأكبر ، وغرضهم الأسمى . والقلم كالسيف ، كلاهما يجاهد فى ميدانه . وميدان السيف يتلو ميدان القلم ، وقد كان المحاربون آنذاك فى حاجة إلى من يحمى ظهورهم بسيفه ، ومن يقوى فيهم الروح المعنوية ، فقد كانت شوكة الفرنج قد قويت حتى طمعوا فى مصر ، ووجدوا فيها خائنا اسمه (شاور) يوادهم ويتحبب إليهم ويكاتبهم ولكن نور الدين وجيوشه وعلى رأسها أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين استطاعت أن تنقذ البلاد من أيدى الفرنج ومن خيانة شاور ، فيهب العماد يهنئ شيركوه ويندد بشاور :

فى كل دار من الإفرنج نادبة
بما دهاهم فقد باتوا على ندب

من شرشاور أنقذت البلاد فكم
وكم قضيت لحزب الله من أرب
هو الذى أطمع الإفرنج فى بلد الإسـ
ـلام حتى سعوا للقصد والطلب
فتحت مصر وأرجو أن تصير بها
ميسرا فتح بيت القدس عن كثب
وإن ذلك عنـد الله محتسب
فى الحشر من أفضل الطاعات والقرب

ويستمر العماد مع صلاح الدين يذيع محامده ويحمس جيوشه حتى يكون يوم فتح بيت المقدس فيكتب عنه رسالة إلى الخليفة العباسى ببغداد يقول فيها : « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » ويمضى يتحدث عن الفتح العظيم ، والنجح الكريم ، الذى كان أمنية عند الملوك الماضين ، وفى القرون الخالية والذى تقاصرت عنه طوال الهمم ، وهيأته الأقدار لصلاح الدين (وهذا الفتح قد أقدر الله على افتضاضه بالحرب العوان ، وجعل ملائكته المسومة له من أعز الأنصار وأظهر الأعوان) ويذكر فى الكتاب فصولا عن الوقائع التى تقدمت فتح القدس ، ثم يترك للشعر أن يسجل هذا الفتح المبين ، فيمتدح صلاح الدين بقصيدة يطول فيها نفسه ويوفى بها على الغاية ، ومنها :

رأيت صلاح الدين أفضل من غدا
وأشرف من أضحى وأكرم من أمسى
وقيل لنا فى الأرض سبعة أبحر
ولسنا نرى إلا أناملك الخمسا
جنودك أملاك السماء وظنهم
أعاديك جنا فى المعارك أو إنسا

ويتحدث عن هزيمة الإفرنج فيقول مخاطبا صلاح الدين .

كسرتهم إذ صح عزمك فيهم
ونكستهم من بعد أعلامهم نكسا
بواقعة رجت بها أرض جيشهم
ومارت ، كما بثت جبالهم بسا
بطون ذئاب البرصارت قبورهم
ولم ترض أرض أن تكون لهم رمسا
ومن قبل فتح القدس كنت مقدسا
فلا عدمت أخلاقك الطهر والقدسا
جرى بالذى تهوى القضاء وظاهرت
ملائكة الرحمن أجنادك الخمسا

ويعيد صلاح الدين الخطبة للخليفة العباس وكانت قد قطعت الخطبة لبنى العباس من ديار مصر سنة ٣٥٩ هـ فى خلافة المطيع العباسى حين استولى الفاطميون على مصر أيام المعز إلى سنة ٥٦٧ هـ وذلك مائتا سنة وثمان سنين فيتخذ العماد من هذه الحادثة أنشودة يتغنى بها ؛ لأن ذلك إيذان بجمع كلمة الشعوب

العربية مرة أخرى ، فيهنئ الخليفة المستضيء ويعلن فرحته وابتهاجه بإعادة الخطبة .

قد خطبنا للمستضيء بمصر
وارث المصطفى إمام العصر
وخذ لنا لنصره العضد العاضد
والقاصر الذى فى القصر
وأشعنابها شعار بنى العباس
فاستبشرت وجـــوه النصر
فشكرنا لله إذ تم لنـا النصر
ونرجو مزيد أهل الشكر

هكذا كان العماد داعية قويا من دعاة الوحدة فكل عمل يقرب منها يستثير شاعريته ويحرك قلمه ، فيرتفع صوته ، والكلمة التى كانت تجرى على ألسنتهم ، وتملأ أذهانهم وتشيع فى شعرهم ونثرهم هى كلمة (الإسلام). ولاعجب فى ذلك فقد كانوا يحاربون قوما جاءوا من بلادهم إسافرين غير مقنعين يقاتلون باسم الدين ، فكان من الطبيعى أن يردوا باسم الدين أيضا .

ولم تكن تعنى كلمة الإسلام أن يقاتل غير المسلمين على الإطلاق ؛ ذلك أن من مضمون الإسلام معاملة غير المسلمين الذين يعيشون فى بلاد الإسلام ولا يضرون بالمسلمين معاملة المسلمين ، وتعاليم الإسلام صريحة فى ذلك ، لهم من الحقوق ما للمسلمين ، وعليهم من الواجبات ما عليهم ، ولم نعرف أن أحدا من غير المسلمين — أثناء الحروب الصليبية — فى مصر أو فى الشام أو فى غيرهما من البلاد الإسلامية ناله أذى من قبل المسلمين ؛ بل كان الأذى يلحق الرجل الذى يضر بمصالح البلاد ويعين الأعداء ، ولو كان مسلما ، وحادثة (شاور) مشهورة متعالمة .

والقرآن الكريم واضح كل الوضوح فى هذا الاتجاه ، جاء فى سورة الممتحنة قول الله تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم والله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

وهؤلاء الشعراء الذين عاصروا الحروب الصليبية كانوا مدركين تمام الإدراك لرسالتهم ، وكانوا يعلمون حق العلم تعاليم الإسلام ، والعماد نفسه كان فقيها كبيرا ، والذى كان يهمهم ، إنما هو أن تتخلص البلاد التى كانت وحدة ومزقت ، وملك الفرنج جزءا كبيرا منها ، أن تتخلص من أيدى الأعداء ، وتعود إلى سابق عهدها يرفرف عليها علم واحد ، ينعم تحت ظلاله أهلها الحقيقيون على اختلاف مللهم ، وقد أسهموا بنصيب مشكور فى تحقيق هذه الغاية النبيلة .

على العمارى
المدرس بالأزهر

نشأة النحو العربي

للدكتور تمام حسان

كانت بلاد العرب عشية ظهور الإسلام تخضع لتيارات مختلفة من النواحي السياسية والاجتماعية والفكرية ، فأما من الناحية السياسية فقد كانت أطراف بلاد العرب نهبا مقسما بين الدولتين القويتين في ذلك الوقت وهما فارس وبيزنطة أو كما اشتهرتا على ألسنة العرب بلاد الفرس وبلاد الروم ، كانت فارس تحتل اليمن وتبسط نفوذها على العراق وكان للروم نفوذ سياسي وعسكري في بلاد الشام ، وبين هذه وتلك وقفت قبائل الصحراء في عزلتها المنيعة الفقيرة لا تثير طمع الطامعين من ملوك الدولتين ولا تخضع إلا للنظام القبلي الذي يمنح قدراً من السلطة لشيخ القبيلة ، ويسميه ملكا إذا بسط هيبته على عدد من القبائل ، وكان عرب الصحراء يطمعون دائما فيما تشتمل عليه الأراضي الخصيبة من خيرات فكانوا يغيرون على العراق والشام ومن ثم رأى الفرس والروم على السواء أن يقيموا بينهم وبين الصحراء حاجزاً عربياً فأنشأت كل دولة منهما إيالة عربية على تخومها تحميها من غارات البدو ، فكان من ذلك المناذرة في العراق والغساسنة في الشام .

وأما من الناحية الاجتماعية فإن الحياة البدوية نصف الوحشية في الصحراء لم تخل من المناسبات الاجتماعية التي يجتمع فيها العرب من القبائل المختلفة كالحج والأسواق التجارية والأدبية الشهيرة ، كما كان العرب ينتقلون لأغراض التجارة والميرة من مكان إلى مكان ، ثم كانوا يغشون الحاضرة في طلب البيع والشراء أو بحثا عن أمور دنياهم ومعاشهم ، أما سكان مدن الجزيرة فلم يكونوا أقل حظا من الرفاهية ممن كانوا حولهم من سكان البلاد العريقة في الحضارة ، وقد استعانوا في الوصول إلى هذا المستوى برحلات التجارة التي خلقت لهم صلات قوية بالأمم ذات الحضارة والمدنية ، بل إن القبائل الصحراوية نفسها لم تسلم من التأثر بآثار من جاورها من الأمم كما تأثرت تغلب بالروم وقضاعة بمصر والشام وغسان بالشام وإياد بسكان الجزيرة وبكر بالنبط والفرس ، وعبد القيس بالهند والفرس ،

وأزدعمان بالهند والفرس كذلك ، واليمن بالحبشة . ولعل هذا هو السبب الذى جعل اللغة العربية تقاسى المؤثرات الأجنبية فى العصر الجاهلى وتتقبل بعض الكلمات من اللغات المجاورة ، ثم يظهر فى الجاهلية بين أبنائها من يلحن فى نطقها ، وذلك أمر معروف لمؤرخى الأدب العربى .

أما من الناحية الفكرية فلم يكن لعرب شبه الجزيرة حياة فكرية بالمعنى الصحيح وكل ما ينسب إليهم من علم أو فكر لا يعدو أن يكون تقاليد ورسوما موروثة على مر الأجيال. ولسنا نعرف منهم من طلب العلم حقيقة إلا الحارث بن كلدة الطبيب الذى تلقى العلم فى جنديسابور وأدرك الإسلام وداوى سعدا بأمر النبى . والحارث هذا سيد سمية أم زياد ، وأبو النضر بن الحارث الذى أمر النبى بقتله فرثته أخته بقصيدتها المعروفة التى فيها :

أمحمد ولدتك خير نجيبة
فى قومها والفحل فحل معرق

ولكن البيئات التجارية فى الصحراء كانت تعرف القراءة والكتابة وقد تعلمها هؤلاء الصحراويون من رهبان النساطرة الذين كانوا يجوسون خلال بلاد العرب للتبشير بمذهبهم وإليهم يشير امرؤ القيس بقوله :

أصاح ترى برقا أريك وميضه
كلمح اليدين فى حبى مكلل
يضىء سناه أو مصابيح راهب
أمال السليط بالذبال المفتل

ذلك هو مبلغ سكان شبه الجزيرة من العلم . أما فى الشام والعراق فقد كان الأمر مختلفا عن ذلك تماما . فأكثر قبائل هذين الإقليمين كانوا من النصارى . كذلك كانت قضاعة وإياد وتغلب وكلب . ولقد انتهى الاختلاف على مسائل اللاهوت المسيحى إلى انشقاق مذهبين هامين عن كنيسة القسطنطينية هما المذهب النسطورى والمذهب اليعقوبى . ولقد اتجه اليعاقبة فى التبشير بدينهم إلى رعايا الامبراطورية فى الداخل ولكن النساطرة اتجهوا إلى الشرق والجنوب فى سبيل كسب الأتباع وكانوا وثيق الصلة بعرب الجاهلية . وحين اتجه النساطرة إلى الشرق وجد مذهبهم أتباعا فى دولة الفرس وفى قبضتها العراق فى ذلك الحين فغلب العنصر النسطورى على نصارى العراق كما انتشر العنصر اليعقوبى فى الشام ومصر . وكان السريان يقيمون فى الشام والعراق على السواء ؛ فأهل العراق منهم تسود فيهم النسطورية وأهل الشام تنتشر فيهم اليعقوبية . وعندما اشتد العداء بين السريان المنشقين وبين كنيسة الدولة صمم السريان على قصم كل عروة تربطهم بالكنيسة الرسمية فأطرحوا لغتها وهى الإغريقية وبدأوا يترجمون تراثها الفكرى

إلى لغتهم السريانية وازدهرت لغتهم فكان لها أدب وكان لها نحو وكان لها تراث فكرى خالد. فأما النحو فنحن نعرف أن أحد قدمائهم ويسمى يوسف الأهوازى قد وضع نحوا للسريانية على غرار النحو الإغريقى الذى وضعه أرسطو فانتفع من هذا النحو الأخير بطريقة التقسيم والتبويب والتعريف والتعبير وتعرف كذلك أن حنين بن إسحق كان من مشاهير النحاة باللغة السريانية فى العصر العباسى.

أما من الناحية اللغوية فقد كان العرب فى شبه الجزيرة يتكلمون لهجات قبلية مختلفة ويلتقون جميعا فى لغة واحدة أدبية مشتركة هى اللغة الفصحى. وكان المجتمع اللخمى والمجتمع الغسانى يستخدمان عددا من اللغات فكانت اللغة الإغريقية لغة الدواوين فى الشام وكانت البهلوية لغة الدواوين بالعراق وكانت الإغريقية لغة الصلاة عند الملكانيين أتباع كنيسة القسطنطينية كما كانت السريانية لغة الكنيسة عند اليعاقبة فى الشام والنساطرة فى العراق بل كانت لغة الثقافة عند هؤلاء وأولئك. وكان العرب المسيحيون الحاكمون والمحكومون على السواء يتكلمون العربية ويصلون بالسريانية أو الإغريقية على حسب المذهب الذى يتبعونه. وكان السريان فى الشام والعراق يتقربون بمعرفة العربية إلى الحاكمين من الغساسنة والمناذرة فكانوا يعرفونها كلاما وكتابة على نحو ما ذكرنا عند الكلام على رهبان النساطرة.

وفى هذا الجو اللغوى المعقد فى الشام والعراق كان مشاهير الشعراء من أبناء شبه الجزيرة يقصدون دمشق والحيرة بقصائدهم كما كان رؤساء العشائر يقدمون على ملوك الغسانيين واللخميين ويقيمون بينهم وبينهم الصلات القوية. كلنا يعرف طرفة والنابغة وعمرو بن كلثوم وصلتهم بالحيرة، وكلنا يعرف حسانا وصلاته بدمشق بل إن زعيم شعراء الجاهلية أوغل فيما وراء دمشق حتى طرق أبواب الامبراطور البيزنطى فالصلات بين العرب فى شبه الجزيرة وبين أهل الشام والعراق حينئذ صلات متعددة ما فى ذلك شك.

وكان خلطاء السريان من عرب الشام والعراق يعرفون أن اللغة السريانية قد وضع لها نحو يضبط استعمالها ويعين على تعلمها، ولا شك أن العرب فى ذلك الزمان والمكان كانوا يحسون إحساسا قويا بأنهم غير الأمم التى يخالطونها وهم كانوا يحسون كذلك بالروابط التى تربط بعض العرب إلى بعض. ولا شك أن اللغة كانت أقوى هذه الروابط فى فطرهم، وإذا صح أن نسمى الإحساس بروابط العروبة فى ذلك الوقت باسم القومية العربية فلربما كان العرب يدافع هذه القومية

يحسدون السريان لتمكنهم من دراسة لغتهم بهذه الطريقة التى جعلتها لغة علم وأدب وفن ودين . بل إنهم ربما تمنوا أن يأتى اليوم الذى يستطيع العرب فيه أن يضعوا للغتهم أداة كهذه الأداة التى تمكن أبناء عمومتهم من السريان من وضعها . أقول إنه ربما جاشت هذه الأمانى فى صدور عرب الشام والعراق فى العصر الجاهلى ولم يكن يخطر لهم أن هذا اليوم الذى كانوا يرونه بعيدا كان فى الحقيقة أقرب مما يظنون وأنه قد قدر للغتهم العربية التى كانت محصورة فى إقليمها الضيق أن تصبح لغة عالمية للعلم والثقافة بعد ظهور الإسلام .

وجاء الإسلام ونشأت دراسة النحو العربى . فكيف بدأت هذه الدراسة ؟ للإجابة على هذا السؤال يحسن بنا أن نورد الروايات المختلفة التى تروى قصة هذه النشأة .

١ — يقول أبو البركات الأنبارى فى نزهة الألباء إن أول من وضع علم النحو وأسس قواعده وحدد حدوده أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام وأخذ عنه أبو الأسود الدؤلى ، ويروى الأنبارى عن أبى الأسود أن سبب وضع على عليه السلام لهذا العلم أن أبا الأسود دخل على على أمير المؤمنين فوجد فى يده رقعة فقال لعلى ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال على : إنى تأملت كلام العرب فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء (يعنى الأعاجم) ، فأردت أن أضع شيئا يرجعون إليه ويعتمدون عليه إلخ

٢ — ويروى صاحب النزهة أيضا أن أعرابيا قدم المدينة فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فقال : من يقرئنى شيئا مما أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فأقرأه رجل سورة براءة فقال : « إن الله برىء من المشركين ورسوله (بالجر) فقال الأعرابى : أوقد برئ الله من رسوله ؟ إن يكن الله تعالى برئ من رسوله فأنا ابرأ منه فبلغ عمر عليه السلام مقالة الأعرابى فدعاه . فقال يا أعرابى تبرأ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ! فقال يا أمير المؤمنين إنى قدمت المدينة ولا علم لى بالقرآن فسألت من يقرئنى فأقرأنى هذا الرجل سورة براءة ... (إلى آخر القصة) فقال عمر ليس هكذا يا أعرابى . فقال كيف هى يا أمير المؤمنين فقال إن الله برئ من المشركين ورسوله فقال الأعرابى وأنا والله أبرأ ممن برئ الله ورسوله منهم . فأمر عمر رضى الله عنه ألا يقرئ القرآن إلا عالم باللغة وأمر أبا الأسود أن يضع النحو

٣ — ويروى كذلك أن زياد بن أبيه بعث إلى أبى الاسود الدؤلى وقال يا أبا الأسود إن هذه الحمراء قد كثرت وأفسدت من ألسن العرب فلو وضعت لهم شيئا يقيمون به كلامهم

فأبى عليه فبعث زياد رجلا وقال له اقعد على طريق أبي الأسود فلما مر به رفع صوته وقرأ « إن الله برىء من المشركين ورسوله » (بكسر اللام) فاستعظم أبو الأسود ذلك وقال عز وجه الله أن يبرأ من رسوله ، ورجع من فوره إلى زياد فقال يا هذا قد أجبتك إلى ماسألت ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن . ثم جاءه زياد برجال اختار منهم رجلا من عبد القيس أعانه على وضع نقط لدى الحروف تدل على الحركات.

٤ - وفى رواية له عن عاصم قال جاء أبو الأسود إلى زياد وهو أمير البصره فقال إنى أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم وفسدت ألسنتها أفتأذن لى أن أضع للعرب ما يعرفون به كلامهم فقال له زياد لا تفعل . قال فجاء رجل إلى زياد فقال أصلح الله الأمير. فقال له زياد : توفى أبانا وترك بنونا؟! أدع لى أبا الأسود فلما جاءه قال له ضع للناس ما كنت نهيتك عنه ففعل.

٥ - وعن عاصم أيضا أن أبا الأسود قالت له ابنته ما أحسن السماء ، فقال لها نجومها فقالت إنى لم أرد هذا وإنما تعجبت من حسنها فقال لها إذن فقولى ما أحسن السماء فحينئذ وضع النحو وأول ما رسم منه باب التعجب.

٦ - وعن أبى هاشم السجستانى قال ولد أبو الأسود الدؤلى فى الجاهلية وأخذ النحو عن على بن طالب رضى الله عنه .

عندنا إذن روايات مختلفة تقول أولاها وآخرتها إن غيرة على على لغة العرب دفعته إلى أن يكلف أبا الأسود وضع النحو وتقول الأخرى إن عمر بن الخطاب هو الذى طلب إلى أبى الأسود أن يضع النحو وتروى الثالثة أن زياداً هو الذى أمر بذلك وتنسب الرابعة والخامسة الفكرة إلى أبى الأسود نفسه وتقولان إنه أحس بسبب خطأ ابنته أو تفشى الخطأ فى الناس إن الوقت قد حان للقيام بعمل ما فى سبيل حفظ اللغة بواسطة دراستها دراسة نحوية .

والذى تجمع عليه هذه الروايات المذكورة أن أبا الأسود هو الذى وضع النحو . ولست أجد سببا واحدا هنا يدعونى إلى الشك فى أن أبا الأسود من أول من وضع هذا العلم وأنه أحق الأسماء التى وردت فى قصة النحو بأن يكون أبا لهذه الدراسة فعلا . غير أننى ألمح الخلاف السياسى الذى كان بين الأمويين والعلويين يطل برأسه من هذه الروايات حين تعمد هذه الروايات إلى أمير بعينه فتجعله هو الذى نصح أبا الأسود أن يضع النحو . والذى نعلمه أن الخلاف السياسى بين الشيعة والأمويين لم يكن قاصرا على مسألة حق الخلافة فحسب وإنما أضافت الأيام إلى نار هذا الخلاف وقودا حتى رأينا كل فريق منهما يسخر التاريخ والفكر

فى خدمته . والمعروف أن أهل العراق وفارس كانوا من أشياع على ، بل المعروف كذلك أن الغالبية العظمى من الشيعة كانت من غير العرب . ومن الثابت أن أبا الأسود الدؤلى نفسه كان مشايعا لعلى حتى لينسب إليه شعر ينم عن هذا التشيع :

يقول الأرذلون بنو قشير
طوال الدهر لا تنفى عليا ؟ !
فقلت لهم فكيف يكون تركى
من الأشياء ما يحصى عليا
أحب محمداً حباً شديداً
وعباسا وحمزة والوصيا
فإن يك حبهم رشدا أصبه
وفيهم أسوة إن كان غيا
فكم رشدا أصبت وحزت مجدا
تقاصر دونه هام الثريا

وبالرغم من وضوح الصنعة فى هذا الشعر وأنه قد وضعه قوم يتقربون به إلى بنى العباس ويجعلون به أبا الأسود هاشميا لا علويا ، أقول بالرغم من ذلك فالمعروف أن أبا الأسود كان من الشيعة ، وكم تنافس الأمويون والشيعة فى اختلاق الأخبار والروايات بل والأحاديث المنسوبة إلى النبى حتى إن إحدى الفرقتين حين قالت بحاكم منتظر من أبطالها لم تسلم لها الأخرى بالانفراد بهذا الشرف وإنما شركتها فيه وأرادت الإنفراد به دونها . قالت الشيعة بالمهدى المنتظر وقال الأمويون بالسفيانى المنتظر .

كانت الكوفة شيعية وكانت البصرة أموية عثمانية وليس من البعيد أن يكون الشيعة الكوفية قد رأوا قصة نشأة النحو أمرا يستحق الفخر وغاظهم أن تكون هذه النشأة فى البصرة وأرادوا أن يسلبوا البصرة هذا الشرف فتلمسوا السبيل إلى ذلك حتى وجدوه . إن واضع النحو أبا الأسود إن كان بصريا فهو شيعى كذلك وهو إذا كان شيعيا فما أحراه أن يكون قد تلقى علم هذا النحو من الإمام المعصوم ومن ثم وضع الكوفيون أغلب الظن هذه الرواية . ليتسببوا الفضل إلى إمامهم وليكيدوا للبصرة . ولقد كان مالك بن أنس على أى حال يسمى الكوفة « دار الضرب » أى دار صنعة الرواية . وما ظنك بالبصرة الأموية العثمانية حين ترى الكوفة قد طلعت على الناس بهذه الرواية أفلا يكون من المنطق أن يردوا على الرواية بمثلها وأن يتلمسوا لأنفسهم أمويا لم يكن بعيداً عن مدينتهم أيام وضع النحو ؟

نعم لقد وجد البصريون ضالتهم فى زياد بن أبيه أولا حين كانت الدولة أموية حتى إذا ما ارتقى العباسيون كرسى الخلافة وأشاعوا فى الناس كراهية الأمويين ولعنهم جهرة بحث البصريون عن زعيم آخر غير مغضوب عليه عند العباسيين ويراه الشيعة رأيا آخر . ذلك هو عمر بن الخطاب وقد اقتضاهم ذلك

أن ينقلوا قصة اللحن إلى المدينة . وإذا تذكرنا أن المدينة كانت ثالثة المدن العلمية المتنافسة وكانت زبيرية النزعة فى ذلك الوقت لم نستبعد احتمال أن تكون الرواية التى تدور حول عمر قد وضعت فى المدينة فى العصر الأموى وبذلك يكون البصريون مسئولين عن قصة زياد فقط .

بقى شىء آخر أحب أن أناقشه قبل أن أزعم الطريقة التى وضع بها النحو وذلك هو الادعاء أن على بن أبى طالب قد اخترع هذا التقسيم النحوى للكلام إلى اسم وفعل وحرف ولا شك أن فى ثنايا ذلك دعوى ضمنية بنسبة قدر من المران العلمى والممارسة للبحث والتدرب عليه إلى على بن أبى طالب وتلك أمور تقتضى تفرغا وعدم انشغال وتلق دراسة منظمة ، والمعروف أن عليا لم تتح له فرصة الدراسة ولا التدريب ولا الفراغ فهو رجل لم يتلق دراسة فى أى فرع من فروع العلم وقد نشأ مشغولا بالدعوة إلى الإسلام شغلا أخذ عليه فكره وجهده ثم اقتضاه نصر النبى أن يقاسى الاضطهاد فى مكة حتى إذا ما خرج منها اضطر إلى خوض معارك الإسلام الأولى واحدة بعد الأخرى وأظهر فى كلها بطولة وحماسة لم تكن تدع له من الوقت ما يصرفه فى التفكير فى أمر غير الدعوة ، وعند ما لحق النبى صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى وولى أبو بكر الخلافة ومن بعده عمر وعثمان بدأ على يحس شيئا من الظلم فى تخطى شخصه إلى غيره وقد انعكس هذا الشعور فى تقاعسه عن نصر عثمان ابن عفان حين أحاط به الثائرون عليه . ولا شك أن مثل هذا الشعور بالظلم يصرف التفكير عن القضايا العامة إلى التفكير فى الأمور الشخصية بل يجعل المرء سلبيا فى الشئون العامة كما كان على سلبيا فى نصرة عثمان ولا شك أن انتشار اللحن قضية عامة لا تتوقع من على أن يهتم بها فى غمرة السلبية التى ألمت به حتى إذا ما ولى الخلافة شغله معاوية عن الأمور كلها فيما عدا الرغبة فى استتباب الأمن الداخلى وجمع كلمة المسلمين . فمتى فكر على فى النحو ؟ ومتى حصل على الدربة التى تمكنه من مثل هذا التقسيم للكلام ؟ لا شك أن عليا وعمر وزياداً مقحمون جميعا على قصة نشأة النحو بسبب التنافس بين الميول السياسية والمدن الإسلامية . فكيف نشأ النحو إذن ؟

روى أبو سلمة موسى بن اسماعيل عن أبيه قال : كان أبو الأسود أول من وضع النحو بالبصرة ، وزعم قوم أن أول من وضع النحو عبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، وزعم آخرون أن أول من وضع النحو نصر ابن عاصم ، وهنا نجد النقاش محتدما لا حول

الأمراء فقط وإنما يتعداهم إلى من وضع النحو كذلك . فلا تسلم الرواية إذن تسليما تاما بأن أبا الأسود الدؤلى هو الذى وضع النحو وإنما تورد أسماء غير اسمه تنافسه .

ولقد كان هؤلاء جميعا أبناء عصر واحد وإقليم واحد هو العراق ، وكان العراق من قبل أيامهم ولم يزل فى تلك الأيام مسرحا الثقافة السريانية التى كانت تجد دافعها الحقيقى فى المذهب النسطورى ، ولقد ظلت هذه الثقافة النسطورية بعد ذلك تحيا جنبا إلى جنب مع الثقافة العربية فى العراق والشام واستعان الخلفاء من أمويين وعباسيين برجال من السريان فى الشئون المختلفة فاتخذ معاوية وزيرا له من السريان هو سرجون بن منصور . وكان يحيى بن سرجون أو كما يسمونه القديس يحيى الدمشقى ممن يغشى البلاط الأموى ويجادل المسلمين فى الأمور الدينية كما كانت أسرة بختيشوع تمد العباسيين بالأطباء المهرة وكانت أسرة بنى إسحق من أفاضل المترجمين فى أيام المأمون وظلت اللغة السريانية لغة علم وأدب إلى أن كان آخر كاتب عظيم من كتابها هو المؤرخ أبو الفرج بن العبرى أو عزيغوريوس برهبرايوس الذى عاش فى القرن الثالث عشر الميلادى .

٧ — كان أبو الأسود وعبد الرحمن بن هرمز ونصر بن عاصم وميمون الأقرن وغيرهم من الأسماء التى ارتبطت بنشأة النحو من أبناء العراق يعيشون جنباً إلى جنب مع علماء السريان ويخالطونهم مخالطة المواطن للمواطن وكان هؤلاء العلماء السريانيون يتكلمون العربية والسريانية كما ذكرنا من قبل . ولقد قلت إن اللغة السريانية كانت ذات نحو مكتمل الدراسة له علماؤه والمهتمون به . وقد افترضنا كذلك أن العرب عشية ظهور الإسلام كانوا يحسدون السريان على أن تكون لغتهم لغة مدروسة متقدمة يمكن لها أن تكون وعاء علم وأدب وفن ودين ، وأن العرب بدافع من إحساسهم بقوميتهم كانوا يتمنون لو أتى اليوم الذى يستطيعون فيه أن ينشئوا اللغة العربية مثل هذا البناء النحوى المكتمل . فلما جاء الإسلام كان من شأنه أن وحد العرب ونفخ فيهم من روحه وأقام لهم دولة وفتح بهم البلاد وأخضع العباد فقوى من شعورهم القومى حتى رأينا شاعرهم يقول :

إنا من النفر الذين جيادهم
طلعت على عاد بريح صرصر
وسلبن تاجى ملك كسرى بالقنا
واجتزن باب الدرب لابن الأصفر

وجاءهم الإسلام بكتاب هو فى حقيقته نص لغوى معجز فبرزت به اللغة والتفكير فيها حتى احتلت المقام الأول من الأهمية والخطورة ولا سيما حين اتخذت لغة دين

ودنيا يقرأ العرب بها فى صلاتهم ويقيمون بها أمر حياتهم . ولا شك أن العرب فى العراق والشام قد فكروا فى تحويل الكتابة الديوانية إلى العربية قبل عبد الملك والحجاج بزمن لأن مثل هذه الأمور لا تتم عند سنوح الفكرة العارضة وإنما يسبقها التفكير والتدبير الذى قد تذهب جذوره إلى أيام الخلفاء الأوائل . ولا شك أن التفكير فى أمور اللغة كان شاملا بحيث أصبح من المرغوب فيه بل من المتوقع أن تقوم للغة دراسة اقتضتها طبيعة الأشياء ونضوج المجتمع وحاجات الحياة ثم أن تكون هذه الدراسة حفظاً للغة التى أصبحت أداة الدين والدنيا معا . فأصبح الجو كله مشحونا باحتمالات ظهور هذه الدراسة فمن هم المرشحون الطبيعيون للقيام بهذا المشروع ؟ .

كان لا بد أن ينسج العرب على منوال ما يعرفون من تجارب غيرهم وكان أهل العراق من العرب يعلمون من أمر النحو السريانى دون ريب وقد مال بعض الباحثين إلى دعوى أن أبا الأسود كان يعرف اللغة السريانية ويغلب على الظن أن كثيرين غيره قد كانوا على معرفة بهذه اللغة أيضا فلا غرو أن تكون البدايات الأولى لهذا النحو قد تمت على أيدى أهل العراق . والظن عندى أن واضعى النحو قد أخذوا التقسيمات السريانية أو قلدوها فجعلوا كلامهم إسما وفعلا وحرفا كما جعله السريان من قبلهم . ولا شك أن أبا الأسود الدؤلى من أول من وضع النحو ولكنه قد لا يكون أول واضع له على الإطلاق . والراجح عندى أن عبد الرحمن ابن هرمز ونصر بن عاصم وميمون الأقرن لم يكونوا مجرد تلاميذ لأبى الأسود وإنما كانوا شركاء له فى القيام بهذا الجهد سواء أكان ذلك عن طريق الشركة بين الجميع أم أن كل واحد منهم قد استقل بجهده الخاص حتى تكاملت هذه الجهود على يد تلاميذهم من بعدهم وأصبحت على الصورة التى دوّنها عيسى بن عمر فى كتابيه الجامع والإكمال ، ونماها من بعده واستكملها سيبويه فى كتابه .

قد يكون أبو الأسود سمع من ابنته خطأ نحويا ، وقد يكون سمع من يلحن فى القرآن وقد يكون الفرس فى ذلك الوقت من الكثرة فى بلاد العرب بدرجة جعلتهم يؤثرون حقا فى ألسنة العرب وفى عاداتهم النطقية ولكن ذلك كله ما كان ليوحى وحده إلى العرب بالقيام بعمل من هذا النوع لو لم يكونوا على علم بأمر جيرانهم السريان ولغتهم وما لها من نحو ، ولو لم يكونوا قد أحسوا الرغبة فى إنشاء ثقافة بلغتهم كالثقافة التى فى أيدى

السريان ، ولم تكن دوافع الغيرة القومية والرغبة فى استكمال النضج الثقافى للمجتمع والأبهة والعظمة للدولة موجودة ومتصلة بفكرة اللغة . فالمسألة فى نظرى لم تكن وليدة تفشى اللحن فقط ، وإنما اتصلت بنفوس العرب فى العراق والشام منذ العصر الجاهلى وارتبطت فى نفوسهم بالنزعات القومية حتى إذا ما سنحت الفرصة بعد ظهور الإسلام حقق العرب أحلامهم السياسية ووحدتهم القومية ولم يبق لهم إلا أن ينشئوا لأنفسهم حياة ثقافية على مثال ما عرفوا فى أيدى الناس ، وهكذا نشأ النحو العربى فى بدايته مهتديا بتجربة السريان ؟

دكتور تمام حسان
أستاذ مساعد بكلية دار العلوم
جامعة القاهرة

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

أما هذه فنعم

قال حفص بن محمد الأردبيلى : فاجلس سعيد بن حجر البردعى فى منزله وأغلق بابه وقال : ما أحدث الناس فإنهم قد تغيروا . فاستعان عليه أصحاب الحديث بمحمد بن سلم بن دارة الرازى فدخل عليه وسأله أن يحدثهم فقال : ما أفعل . فقال بحق عليك إلا حدثتهم فقال : وأى حق لك على ؟ قال أخذت يوما بركابك . قال : قضيت حقا لله عليك . وليس لك حق على . فقال : إن قوما اغتابوك فرددت عنك . قال : هذا أيضا يلزمك لجماعة المسلمين ، فقال عبرت بك يوما فى ضيعتك فتعلقت بى إلى طعامك فأدخلت على قلبك سرورا . قال : أما هذه فنعم .

دراسات فى التصوف

للدكتور محمد غلاب

الحركة التنسكية فى القرنين الأول والثانى للهجرة

لا يرتاب باحث متعمق فى التراث الإسلامى المجيد فى أن الحركة التنسكية الإسلامية التى بهرت القدماء وفتنت المحدثين قد انبثقت بقضها وقضيضها من الكتاب الكريم والأحاديث القدسية والنبوية ، واتهلها أربابها من الحياة المحمدية ظاهرها وباطنها ؛ وقد بدأها النبى صلى الله عليه وسلم باعتزاله فى غار حراء قبل البعثة ، وباعتكافه فى المسجد بعدها ، وسار الصحابة رضوان الله عليهم على نهجه السامى واقتبسوا من أنواره السماوية المتلألئة دون أن يشوه جمال ذلك أجنبى أو يدنس نقاءه دخيل كما يزعم السطحيون الذين يتخرصون بأن عناصر التصوف الإسلامى أجنبية .

توالت هذه الحركة عند التابعين فى كثير من البساطة بحيث كانت مقوماتها الذاتية هى التأمل فى آيات القرآن ، ومحاولة استكشاف أسرارها العميقة ، واقتناص مراميها البعيدة ، والزهادة وكبح جماح النفس ، والاعتكاف والتنفل والتهجد . وكان هؤلاء الزهاد أو العباد فى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة ودمشق . وقد وصلت إلينا أسماء الأولين منهم عن طريق القوائم التى سجلها الجاحظ وابن الجوزى ومن إليهما . ومن مشاهيرهم فى القرن الأول الربيع بن الخيثم المتوفى فى سنة ٦٧ هـ . وعلقمة الكوفى ، ومجاهد ابن جبير المخزومى المكى المتوفى فى سنة ١٠٤هـ وكان تلميذا لابن عباس قد نشر تفسيره للقرآن ، ولكن أعظم هذه الطبقة على الإطلاق هو الحسن البصرى الذى عده بعض أدقاء المؤرخين القدماء بين أقوى الشخصيات الإسلامية فى عصره ، وسواء فى باب الزهادة بعمر بن الخطاب فى باب سياسة الدولة .

ولد الحسن البصرى بالمدينة فى السنة الحادية والعشرين من الهجرة ، وربى بالبصرة وكان فى الرابعة عشرة حين قتل عثمان فهاله - وهو لا يزال فى زهرة شبابه - ذلك الحادث المفزع وما أحاط به من فرقة بين صفوف المسلمين ، أثر فى قلبه البرىء وعقله الساذج تأثيرا شديدا دفعه إلى الامتعاض من تلك الحركة السياسية التى بلبلت العقول ،

وزعزعت القلوب ، ولم يسعه إلا أن يقف من تلك الفتنة موقف المحايد الفار بدينه من الشبه واختلاط الآراء . وقد كان من طلائع أولئك الذين حملهم هذا الأخطبوط على أن يلقوا بأنفسهم فى بحر التأمل والتنسك لينجوا بعقيدتهم من هذا الجحيم . وبعد أن استقرت الأمور السياسية ، نفر إلى الجهاد مع المقاتلين فى سبيل الله فيما بين سنتى خمسين وثلاث وخمسين ، ثم عاد إلى البصرة ،وهناك أسس مدرسته . وحوالى سنة ٦٥ هـ أزهرت مدرسته ، وسطع اسمه كخطيب مفوه ، ومجادل متفوق ، وظل يتلألأ فى سماء العالم الإسلامى إلى سنة ٨٥ هـ . وفى سنة ٩٩ عين قاضيا . وأخيرا توفى فى سنة ١١٠ هـ .

وقد ترك مؤلفات قيمة فى المواعظ والتفسير والحديث ،وعددا ضخما من الآراء الثاقبة والنظريات الممتازة فى المبادئ الإسلامية التى كانت قد نشأت من نتائج الفتنة السياسية ، ودار حولها ذلك الجدل العنيف الذى سجله التاريخ بين فرق المسلمين ، ولكن الذى يعنينا هنا من إنتاجه الواسع هو مذهبه التنسكى فحسب . وقد صدر فى هذا المذهب عن أساس واضح هو احتقاره هذه الحياة التى نهايتها الهلكة ومصيرها الفناء ، والتى احتقرها الله فسماها بالدنيا ، ووصفها بأنها لعب ولهو ، والتى قال عنها النبى صلى الله عليه وسلم . إنها لا تساوى جناح بعوضة . وكان الحسن يدعو للحزن والورع الذى هو أصل الدين،وللخوف والاستماع إلى كلام الله. وعندما وصل إلى هذه المنزلة كان قد أسس ما سماه « علم القلوب والخواطر » أو ما يدعوه الباحثون المحدثون « السيكولوجية التنسكية ».

ومما يلفت النظر فى مذهب الحسن البصرى، أنه كان يؤسسه على التدخل الدائم للفكر فى حياة المؤمنين المتأملين . وكان يأمر مستمعيه بالالتجاء إلى العقل فى تحليل عظاته ، ليكون تأثيرها فى إرادتهم عن اقتناع وإيمان . ولقد كان لمواعظه رنين أخذ يجلجل فى أنحاء البلاد الإسلامية ويكون عقائد شبابها ويمتن أخلاقهم ، ويطهر سرائرهم ، ويدفعهم إلى الاستقامة ولقد كانت غايته الأولى والأخيرة هى العثور على المنزلة التنسكية الكاملة ، وهى الفوز بالرضى . وقد أحنق عليه ذلك بعض الطوائف واستكثروا عليه هذه الميزة التى سما بها عليهم فجعلوا يكيدون له ويعلنون عليه العداء الصريح ؛ ولكن كافة الأمة والمخلصين من خاصتها وصفوتها ، لم ينسوا له هذا الجهاد النفسى الأكبر ، بل إن بعض مؤسسى الطرق الصوفية فيما بعد قد أرجعوا إليه — عن طريق الإسناد — أسس طرقهم ، وأعلنوا رجوعها إلى مبادئه التنسكية الرفيعة، وصرحوا بأنه كان قطب الغوث فى زمانه . وسنرى أهم مميزات مدرسة هذا التقى الورع العظيم فيما بعد .

أما فى القرن الثانى فإن التنسك الإسلامى ، قد صار أقوى منه فى القرن الأول أثراً ، وأبعد انتشاراً ، وأصبح طابعه المميز له هو أنه لا ينفصل من الحياة العامة ، فكل زاهد قد انتهى إلى إدراك أن واجبه يقضى عليه بالخروج من عزلته ، ومداومة النصح المخلص لكل من يتصلون به أو يتصل بهم من أعضاء الجماعة الإسلامية . ولا ريب أن النتيجة الأولى لهذه الجهود المبذولة من جانب الشيوخ المتنسكين لإرشاد الأفراد والجماعات هى الترابط الوثيق بينهم وبين الشعب ، ذلك الترابط الذى لا نزال نشاهده اليوم بين شيوخ الصوفية ومريديهم من المؤمنين . وسنلمع إلى هذه الحركة التنسكية فى القرن الثانى إلماعة عاجلة بادئين بالبصريين ، مثنين بالكوفيين . ولكننا نرى من الحق علينا قبل التعرض لهذين الفريقين ، أن نشير إلى الخصائص الذاتية لكليهما .

كان البصريون من التميميين المنعطفين بفطرتهم إلى الواقعية والنقد الجاف ، ووضع القواعد التى ينسدر فيها الاستثناء وتحديد قواعد اللغة العربية ، وكبح جماح الشعر وحصره فى دائرة الحقيقة بقدر الإمكان ، وكانت آراؤهم سنية مع النزعة إلى حرية الفرد من آراء القدرية . وكانوا يقولون بوجوب استكناه بواطن الأحاديث ورفض الأخذ بظواهرها . ولهذا كان من الطبيعى أن يحتفظ نساك البصرة بشئ من هذه الصفات ، وهذا هو الذى حدث ، فكان رئيس نساكها حسن البصرى زاهداً من الطراز الأول ، وناقداً عميقاً ، ومنطقياً سليم العقل ، وقوى الحجة بهيئة تسترعى الانتباه . وسنياً معقولا من أنصار حرية الفرد كما أسلفنا .

أما الكوفيون فقد كانوا بطونا يمنية تنزع نحو المثالية العليا فى كل شئ : كان شعرهم أفلاطونياً دون أن يعرفوا أفلاطون ، وخيالهم متطلعاً نحو الكواكب . وكانوا يقولون بوجوب الأخذ بظاهر الحديث ، ويتشيعون للإمام على كرم الله وجهه ، ويدينون بمبادئ المرجئة . وقد ظهرت هذه النزعات كلها فى نساكهم ، فكانوا مثلا رائعة فى التدليل على ما نقرره من الفروق الواضحة بين البصريين والكوفيين . ومهما يكن من الأمر ، فإليك هذه الإلماعة العاجلة عنهم :

استمرت هذه الحركة بعد وفاة الحسن البصرى فى أول القرن الثانى ، فأخذت تنمو وتعظم بفضل تلاميذه من البصريين كمحمد ابن واسع الذى توفى فى إحدى حروب الجهاد فى سبيل الله فى سنة ١٢٠ هـ . ومالك ابن دينار المتوفى فى سنة ١٢٨ هـ ، والذى اسس بدوره مدرسة تنسكية ضمت عدداً من التلاميذ كان لهم فى نشر التقوى والورع أثر بعيد الغور . وحسبنا أن نذكر من هؤلاء

التلاميذ رباح بن عمر القيسى . وعلى الأخص عبد الواحد بن زيد المتوفى فى سنة ١٧٧ هـ ، والذى أسس جماعة النساك الشهيرة فى مدينة عبدان ، والذى قام تلميذه أبو سليمان عبد الرحمن الدارانى المتوفى فى سنة ٢١٥ هـ بتأسيس المدرسة البكرية فيما بعد . ومما هو جدير بالعناية عند الدارانى أنه هو الذى رسم الخطوط الأولى لهيكل فكرة الأحوال والمقامات الصوفية التى كان لها على التوالى كل هذا الرنين الذى صك الأسماع ، وبهر الأبصار فى الشرق والغرب على مر الحقب وكر الأزمان . ومن أصدقاء الدارانى ، أحمد ابن عاصم الأنطاكى المتوفى فى سنة ٢٣٠ هـ ، والذى كان الدارانى يلقبه بجاسوس القلوب لفرط تحليلاته السيكولوجية للأفئدة والخواطر ، وتغلغلاته إلى أعماق النفوس ، وكشفه خفايا الضمائر . ولا جرم أن هذه الشخصية العظيمة تعتبر فى مقدمة الشخصيات التى شرفت البيئة الإسلامية . وكانت مؤلفاته التى نشرها تلاميذه منبعاً لتعريف العلماء والباحثين بتفاصيل النماذج الأولى للزهادة الإسلامية قبل المحاسبى .

ومن أعلام مؤسسى المدارس التنسكية فى البصرة ، فضل بن عيسى بن أبان منشئ المدرسة الفضلية التى حكم عليها المتعصبون من خصومها بأنها قدرية . ومنهم أيضاً أبو بشر صالح المرى المتوفى فى سنة ١٧٢ هـ والذى اشتهر - إلى جانب ورعه وزهده - بالفصاحة والبلاغة والمقدرة الفائقة على الخطابه .

أما نساك الكوفة السنيون فمنهم أبو هاشم عثمان الكوفى المتوفى فى سنة ١٦٠ ، وأبو ذر عمر المتوفى فى سنة ١٥٠ هـ والذى كون عدداً عظيما من التلاميذ كان لهم أثر لا يجحده أحد من المؤرخين .

وأما صوفية الشيعة من الكوفيين فهم كثيرون . ولكننا نكتفى منهم بذكر عابدك النباتى مؤسس النحلة النباتية التى كانت تدعى بالعابدكية .

وأما صوفية أهل الحديث فمن أعلامهم سفيان الثورى ، وهو أبو عبد الله سفيان ابن سعيد بن مسروق الكوفى . وقد ولد فيما بين سنتى ٩٥ - ٩٧ . ولما نشأ تلقى الحديث عن والده الذى كان أحد مشاهير علماء الكوفة والذى توفى حوالى سنة ١٢٦ هـ . ولما تم الأمر لبنى العباس كان سفيان أحد الذين أرادوا أن يعلنوا كراهتهم للحكم الجديد برفضهم مناصب الدولة التى عرضتها عليهم السلطات الجديدة . وفى سنة ١٥٠ هـ عرض أبو جعفر على سفيان منصب القضاء فرفض وفر إلى اليمن ، ولكن حكومة بغداد جعلت تتعقبه ، فأحس بذلك فارتحل إلى مكة . غير أن أمير مكة محمد بن إبراهيم تلقى أوامر الخليفة بتعقبه . ويقول بعض المؤرخين إنه

أمر بقتله . ولعل هـذه شائعة ، منشؤها أن الشعب فى ذلك العهد كان يتندر فى الخفاء بأوامر العباسيين قائلا: إذا عثرت عليه فاصلبه، ومن شككت فيه فاقتله . إلا أن النووى ، وابن حجر يؤكدان أنه كان أمراً جديا .

ومهما يكن من شيء : فإن سفيان قد تنبه إلى ذلك قبل فوات الفرصة ، ففر إلى البصرة وفيها اختبأ فى منزل أحمد بن سعيد . وهناك نصح له بعض أصدقائه أن يحسن علاقته بالقصر . وبالفعل بدئ فى المفاوضات بينه وبين بغداد ، ولـكنه مرض قبل تمامها وتوفى فى شعبان من سنة ١٦١ هـ .

هذا هو مايحدثنا به التاريخ عن ذلك الصوفى ، ولـكن حياته قد أحيطت بسياج من الخرافات آثرنا أن نغضى عنه .

ومن غرائب الأمور أن بعض المؤرخين يضعونه فى الصف الأول ويقدمونه على مالك ابن أنس ،وأن الذهبى يدعوه بالحجة والثبت.

وسواء أصحت نسبة هذه المنزلة العلية إليه أم لم تصح، فإن الذى لا ريب فيه ، وهو الذى يعنينا هنا . أنه كان يباشر الزهادة العملية بين جماعة من رفاته المتنسكين ، منهم السيدة رابعة العدوية المتوفاة بالبصرة فى سنة ١٣٥ هـ .

كان هناك فى القرن الثانى مركز ثالث للتنسك ، وهو خراسان . فلم تكد تلك الأصقاع تهتدى إلى الإسـلام ، وتنشر فيهـا تعاليمه الرفيعة ويمضى على ذلك عشرون عاما حتى ظهرت فيها طلائع المتنسكين . وأجدرهم بالعناية هو ابراهيم بن أدهم المتوفى فى سنة ١٦٠ هـ ، وهو عربى الأرومة والأصـل وقد ولد ببلخ . ولا يعرف ما بين أيدينا من تاريخ الحركة التنسكية الأولى عن مبدأ حياته شيئاً ذا بال ، إذ هو يحدثنا أنه حين رغب فى الزهد ، اتخذ نموذجه العلى من بين زهاد البصرة كابن دينار ، ثم تلقى تعاليم المتنسكين بالعراق ومكة حيث أقام بينهم ردحا من حياته . ولما خاب أمله بسبب فشله فى استماع الناس إلى مواعظه اعتزل المجتمعات واتجـه إلى سورية مع عدد من تلاميذه . وهناك انزوى فى أحد أرجائها واقتصر على هداية أولئك التلاميذ وإرشادهم.

ومما هو خليق بالعناية أن أولئك التلاميذ بعد وفاته ارتحلوا إلى خراسان وجعلوا ينشرون مذهبه فظفروا فى ذلك بنجاح عظيم لم يرهو فى حياته بصيصاً منه ولو ضئيلا .

أما مذهبه المقتبس من مدرسة الحسن البصرى مثل فكرة « الخلة » ومعناها الصداقة الإلهية الثابتة و « المراقبة » التى هى أعمق من الفكر . والكمد الذى هو أشد من الحزن . والمعرفة وهى إذ ذاك فكرة جديدة ناشئة فى محيط التنسك الإسلامى .

ويقال إن ابراهيم بن أدهم قد ظفر بمائة وعشرين شهوداً إلهيا عرض فيها سبعين مسألة

لم يشرح منها سوى أربع مسائل ، ثم توقف عن الشرح عندما رأى أن الناس يسيئون فهمه ومعرفته .

« غزلت لهم غزلا رقيقا فلم أجد
لغزلى نساجا فكسرت مغزلى »

هذا هو ما يحدثنا به التاريخ الصحيح . أما الخرافات التى نسجت حول حياته ، فمنها أنه كان أحد أمراء بلخ ، وأنه كان فى أحد الأيام يصطاد الظباء فى جمع من أفراد حاشيته ، فطاردظبية حتى ابتعد عن أتباعه ، فلما اختلت به الظبية سألته فى لغة فصيحة رشيقة قائلة : أمثل هذا أنت خلقت فى هذا العالم؟ ومن الذى أمرك أن تعيش على هذا النحو ؟ فلم يكد يسمع هذه العبارات حتى ندم واعتزل الناس وعاش عيشة الفقراء يأكل من عمل يده . وأخيراً ترك العمل وتغلغل فى الصحراء ، فجعل الطعام يأتيه من طريق غير طبيعى ، وأخذ يستقبل الخضر الذى كان يزوره كثيراً ويلقى عليه دروساً فى العلم والتنسك .

وتذكر رواية أخرى أنه وهو أمير فى بلخ كان نائما فى غرفته ذات ليلة ، وكان الحارس نائما فوق سطح هذه الغرفة ، فسمع ضجيجا ووقع أقدام فوق السقف ، فسأل عن مصدر هذه الجلبة ، فأطلت كائنات من نوافذ الغرفة وأجابته قائلة : إننا نبحث عن إبل . فسأل ابراهيم قائلا : وهل يبحث عن إبل فوق السقف ؟ فأجابته الأشباح قائلة : وأنت كيف تحاول الاتصال بالله وأنت جالس فوق العرش ؟ فأثرت هذه العبارات فى نفسه تأثيراً دفعه إلى مغادرة قصره وهجران ثروته . ومنذ ذلك العهد انقطع عن العالم وتفرغ للعبادة والتأمل فى مصنوعات الله حتى صار من أجلاء المتنسكين ، وأصبحت الوحوش والطيور تأتمر بأمره .

هذه هى الصورة التى قدمتها إلينا الأساطير عن إبراهيم بن أدهم ، وهى فى رأينا تشبه الصورة التى نسجها خيال الهنود عن بوذا وتخليه عن الإمارة والجاه والسلطان وإلقائه بنفسه فى بحار التنسك ، بل لعل أسطورة ابن أدهم منقولة عن أسطورة بوذا .

بقى ـ بعد الذى قدمناه عن القرنين الأول والثانى ـ أن نعلن أن نساكهما كانوا إلى ذلك العهد الذى تحدثنا عنه لا يزالون مختلطين بالفقراء والمساكين وأبناء السبيل ونزلاء المساجد الذين ليس لهم مأوى خاصة ، وقد عصمتهم هذه الحالة من حملات الفقهاء ورجال الكلام إلى ذلك الحين ، أما فى القرن الثالث فإن عظم شأنهم وارتفاع مكانتهم ، وتلألؤ أسمائهم ، وبروز منتجاتهم ، كل ذلك سيثير سخط رجال الشريعة الظاهرية كما سنرى ذلك حين نعرض لمدارس القرن الثالث وما بعده وللطرق الصوفية ونتائجها .

الدكتور محمد غلاب

الإسلام دين المحبة والسلام

للأستاذ حمودة عبد العاطى

الإسلام هو بحق دين المحبة والسلام. والمحبة والسلام من المبادىء الرئيسية ومن الدعائم المتينة التى قام عليها الاسلام وشيدت عليها تعاليمه السماوية الحكيمة. ولكى نفهم هذه القضية فهما واضحا ومستقيما يجب علينا أن نبحث معا مصدر الاسلام، ومن أين جاءت تعاليمه، وعلى من نزلت تلك التعاليم، ولماذا نزلت من السماء.

الاسلام هو رسالة الله إلى البشر أوحى به إلى عباده عن طريق أنبياء ورسل كرام، اختارهم سبحانه ليكونوا معلمين للبشر وهداة للناس. والله سبحانه وتعالى أوحى برسالة الاسلام ليبصر الناس بحقيقته وذاته وصفاته، وليوجه الناس إلى معرفة ربهم ومعرفة أنفسهم لأنهم متى عرفوا الله أحبوه، وإذا عرفوا أنفسهم عاشوا فى ظله وتمتعوا بحبه، وعاشوا فى سلام مع أنفسهم. إذ المعرفة الحقة هى سبيل المحبة وهى طريق السلام.

جاء الاسلام من الله ليعلم الناس أن من أهم صفات الله سبحانه وتعالى الرحمة والحب، والغفران. جاء الاسلام يعلم البشرية أن الله لطيف بعباده محب لهم، وأنه سبحانه (بناء على هذا الحب) لم يتركهم يتخبطون فى دياجير الظلمة والجهل، وإنما أراد بهم الخير وأحب لهم الهداية ودعاهم إلى معرفته والتقرب منه والعمل على كسب محبته ورضاه. والقرآن الكريم كتاب الإسلام يؤكد فى أكثر من موضع وفى أكثر من آية وفى أكثر من سورة أن الله سبحانه وتعالى يحب عباده ويحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب الذين يتبعون تعاليمه ويسيرون على هداه. ويحب الذين يتقربون إليه بالتقوى والعمل الصالح «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله».

المحبة فى الإسلام ليست فقط رمزاً ولا معنى مجرداً، وإنما هى صفة إيجابية بناءة، ومبدأ أصيل فى تعاليم الإسلام. هى صفة من صفات الله عز وجل، وهى خلق فرضه على عباده. لأنه جعلهم خلفاءه وأمرهم أن يتخلقوا بخلقه. «وهو الذى جعلكم خلفاء الأرض»، «وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة». وغاية الإنسان الكامل فى نظر الإسلام هى أن يكون الله فى صفاته وكماله هو مثله الأعلى يحتذيه ويتقرب إليه بالمحاكاة والطاعة التى مبعثها حب الله وحب طاعته وحب تعاليمه حباً يظهر فى الاعتقاد ويتجلى فى القول ويتمثل فى العمل. المحبة

فى الإسلام ليست مجرد شعور وليست محض فكرة . وإنما هى شعور قوى خلاق ينبعث من قلب عامر بحب الله ويتبعه تصرف سليم مهذب وسلوك قويم يفيض الخير والمحبة على صاحبه وعلى الناس أجمعين .

من تعاليم القرآن الحكيم أن الجن والإنس خلقوا فقط لعبادة الله « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق ، وما أريد أن يطعمون . إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين » . والإسلام حين يحدد الغرض من خلق الجن والإنس بعبادة الله لا يريدها عبادة فيها إكراه إذ « لا إكراه فى الدين فقد تبين الرشد من الغى » ، ولا يريدها عبادة صورية ظاهرة . وإنما يريدها عبادة صادرة عن حب عميق لله وإيمان برسالته وتعاليمه ، ورغبة صادقة فى كسب رضائه ومحبته . والعبادة التى مصدرها حب الله والتى هى الغاية من خلق الجن والإنس ليست فقط فى الفرائض البدنية والمالية وإنما هى أيضاً فى المعاملات مع الناس وفى سلوك الإنسان مع نفسه وفى موقفه من الوجود كله . فإذا كيف الإنسان علاقته مع ربه ومع نفسه ومع الناس فى إطار من الحب والإخلاص والتفانى والإيثار فهو العابد الحق ، وهو الإنسان الذى فهم مبدأ المحبة فى الإسلام وطبقه على خير صورة وأحسن مثال .

٢ ــ هدف الإسلام :

والهدف من رسالة الإسلام هدف إنسانى عام شامل . فرسالة الإسلام لم تأت فقط لتدعو الناس إلى عبادة الله فالله غنى عن عباده « إن الله لغنى عن العالمين » . إنما جاءت رسالة الإسلام لتعلم الناس وتعرفهم برب الكون وخالقه وتدعوهم إلى حبه حتى تتربى فيهم ملكة الحب وتتجمع لديهم طاقات المحبة فيما رسوها فيما بينهم وتصبح شعاراً لهم وخلقاً فيهم وفطرة سليمة فى نفوسهم . وإذا بدأ الإنسان من نقطة حب الله استطاع أن ينمى عاطفة المحبة هذه واستطاع أن يمارسها فى صلاته الاجتماعية وفى علاقاته العامة .

جاءت رسالة الإسلام لتقضى على عوامل الانانية وأسباب الإثرة ، وتغرس فى النفس الإنسانية خلق الايثار وحب الغير ولأن المسلمين أحبوا الله . وأحبوا رسوله ، وأحبوا رسالته ، وأحبوا الإنسانية بوجه عام ، استطاعوا أن يخلقوا أمة ذات مبادىء ، وأن يكونوا شعباً ذا حضارة إنسانية ، وأن يبنوا ثقافة ذات قيم عالمية ، وأن يؤسسوا حضارة ثابتة الأركان أفاءت عليهم وعلى العالم الخير وأشاعت فى الدنيا المحبة والسلام .

وبذلك كانوا بحق ـ كما قال القرآن الكريم ـ خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

إن رسالة الإسلام جاءت تعلم البشرية أن الله جل وعلا هو مصدر الكون والحياة ،

وهو المثل الأعلى فى الوجود يظله بحبه ويسيره برحمته ورعايته ، فإن الإنسان لبنة قوية فى بناء الوجود كله ودعامة يستند إليها الكون فى حركته وعنصر فعال من العناصر التى يستمد منها الحياة والبقاء . والإنسان بحكم طبيعته هذه وبحكم هذا المركز الذى يشغله لابد أن يكون منسجما مع العناصر الأخرى فى الكون . وهذا الانسجام لا يتحقق إلا إذا كان هناك حب عميق بين الإنسان وخالقه من جهة ثم بين الإنسان وأخيه الإنسان من جهة ثانية ، ثم بينه وبين بقية المخلوقات من جهة ثالثة . وهذا الانسجام المطلوب لا يحقق الغرض منه إلا إذا كان مستمراً دائما . واستمراره متوقف بالتالى على أن يكون الإنسان فى سلام مع ربه ، ومع نفسه ، ومع أخيه الإنسان .

إن الإسلام يؤكد معنى من المعانى الإنسانية النبيلة ، ويعلن حقيقة إنسانية خالدة حين يقرر أن البشرية كلها تنتمى إلى أصل واحد وتنحدر من مصدر واحد وأن التفاضل والامتياز بين الناس لا يرجع إلى الجنس ولا إلى الحب ، ولا إلى اللون ، ولا إلى اللغة وإنما يرجع أولا وأخيراً إلى التقوى والعمل الصالح ورعاية حقوق الله وحقوق الناس . إن القرآن يعلنها صريحة واضحة أن الإنسانية كلها عبارة عن أسرة واحدة ، أبوها واحد ، وربها واحد ، وغايتها واحدة وطريقها واحد ، « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم . إن الله عليم خبير » ، « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيراً ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا » . والقرآن حين يقرر هذه المبادئ الخالدة يوضح للبشرية معالم السعادة ويضع يدها على مفاتيح الخير والاستقرار والسلام . إنه يعلن بذلك مبدأ الحرية والإخاء والمساواة ، إذ يقول القرآن الكريم « إنما المؤمنون إخوة » ، ويقول الحديث الشريف « كلكم لآدم ، وآدم من تراب » ، « والناس سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » .

إن الإسلام جاء يغرس فى النفس البشرية معانى الحب والسلام عن طريق هذه المبادئ الإنسانية الرفيعة . لأن الإسلام يريد أن يعلم الناس كيف يمارسون عاطفة الحب عن اقتناع ووعى ومنطق إنسانى سليم . وكيف ينشرون السلام ويدعون إليه على مبادئ إنسانية عامة وثابتة أساسها الوحى ومصدرها رب السماء حتى يكون هذا الحب إيجابياً صادقا ، وحتى يكون ذلك السلام عاما ودائما .

جاءت رسالة الإسلام تحمل إلى الأرض السلام وتنشر المحبة بين الناس ، فلفظ الإسلام

مشتق من السلام . وتحية المسلمين حين يلتقى بعضهم ببعض هى تحية السلام . وتحية الملائكة للمسلمين هى السلام . والسلام اسم من أسماء الله عز وجل فالله هو السلام المؤمن .

والله أوحى برسالته ليبصر الناس ويعلمهم فيعرفوه ويعيشوا فى ظل رحمته فى سلام معه ، وفى سلام مع أنفسهم ومع غيرهم . إن الإسلام يدعو بقوة إلى سلام دائم مبنى على دعائم قوية فى علاقة الإنسان بالله وفى علاقته مع نفسه فى شعوره وضميره ووجدانه ، ثم فى علاقته بأخيه الإنسان . وإذا كان الإسلام قد فرض على الإنسان حقوقا وخصص له واجبات ، فذلك كله ليحقق أسمى معانى المحبة وأعظم مبادئ السلام ومعنى الإسلام ومعنى الإيمان لا يتحقق إلا إذا كان هناك حب إنسانى نبيل ، إذ يقول الرسول محمد عليه الصلاة والسلام : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

إن المحبة والسلام من الأهداف الرئيسية فى الإسلام . بل إننا لا نغالى إذا قلنا أنها من أهم أهداف الرسالة الإسلامية

إن اختلاف الرأى أو العقيدة . أو اللون أو الجنس ، أو الدين ، لا يدعو إلى الكراهية فى الإسلام . ولا يبرر البغضاء والشحناء . ولا يبرر الحرب والعدوان .

إن الكون كله وحدة كاملة . الله فيه هو الخالق والمدبر ، والإنسان هو مركز الثقل وأساس العلاقة بين عناصر هذه الوحدة هو الحب والسلام . والإسلام يقرر أن الإيمان له حلاوة ، وأن الإنسان لا يشعر بهذه الحلاوة إلا إذا أحب ، وكان حبه صادقا وعميقا . يقول الرسول محمد عليه السلام : ثلاث (خصال) من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : « أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار » .

الإسلام يقرر وحدة الإنسانية كما سبق ، ويقرر وحدة الدين . يقول القرآن الكريم « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » . « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » .

وعلى هذا الأساس من وحدة الله ووحدة الدين ووحدة البشرية أرسى الإسلام دعائم المحبة ، وإقام مبادئ السلام

محمودة مير العالمى
إدارة الثقافة الإسلامية

الزّواج فى الإسلام

للأستاذ محمد سلام مدكور

أستاذ الشريعة بكلية الحقوق

جامعة القاهرة

١ ـ الزواج أساس العلاقات بين الرجل والمرأة فى الإسلام ، والطفل الذى يعيش فى أسرة من نسب شرعى يكون أقوى عاطفة ونمواً ، وأسرع نطقا من الطفل الذى ينشأ فى ملجأ ، لأن طفل الأسرة يعيش فى جو ملىء بالحب والرحمة والحنان ، فيتأثر بذلك وتتهذب غرائزه ، أما الطفل الذى يتربى فى غير جو الأسرة فإن غرائزه تجمحها السيطرة ، وإن وجدت مع السيطرة رحمة فإنها مشوبة بالعطف لا بالاندماج .

٢ ـ والعلاقة الناتجة عن الزواج روحية أكثر منها حسية ، ومعنوية أكثر منها مادية يقول الله تعالى : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » ولا شك فى أن الزواج تتبعه تبعيات والتزامات لكنها ضريبة وجود الإنسان وبقائه ، على أن كل شىء حتى اللذات والمتع لا بد لمنالها من مشاق . فالتربص ومضغ الطعام ، والاستقامة والمجد لا يكون شىء من ذلك إلا مع المشقة .

٣ ـ والإسلام يوجه نظر الزوجين إلى ملاحظة النواحى المعنوية لا الحسية إذ هى باقية مع الزمن والإعجاب بها يتجدد مع تجدد الزمن يقول الرسول عليه السلام « لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يردين . ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغين ، ولكن تزوجوهن على الدين ، ولأمة سوداء ذات دين أفضل » . ويقول : « تنكح المرأة لأربع : لمالها وحسبها وجمالها . ودينها . فاظفر بذات الدين تربت يداك » أى التصقت بالتراب .

٤ ـ والزواج حجر الأساس والدعامة الكبرى التى يقوم عليها بناء الأسرة التى هى الخلية الأولى فى بناء المجتمع الإنسانى ، ولها دور أساسى فى بناء المجتمع إذ يتكون فيها الفرد ويخرج للمجتمع بالصورة التى اكتسبها من الأسرة ، فإن صلحت الأسرة صلح المجتمع كله وإن تفككت وتقطعت روابطها انهار البناء وفسد المجتمع .

ومن هنا نفهم أهمية تنظيم الأسرة فى كل

المجتمعات أهمية جعلتها محل العناية والرعاية فى جميع الأديان والقوانين ، وتنظيم الأسرة يكاد أن يتركز فى تنظيم الزواج ، والدين هو أكثر العوامل الاجتماعية أثراً فى قواعد تنظيم الزواج .

وأثره فى ذلك لا يقف عند وضع القواعد العامة لهذا التنظيم ، وإنما يضع القواعد التفصيلية المنظمة لأحكامها تنظيما كاملا لأن نظام الأسرة هو نظام الحياة الإنسانية العالية إذ الهزات التى تضطرب بها الأسرة هى هزات للمجتمع ذاته . من أجل هذا نجد التشريع الإسلامى عنى بهذه الرابطة أتم العناية وقدر أسبابها وأحكامها وكل ما يتصل بها فى تفصيل وإفاضة .

• — والروابط التى تربط الناس بعضهم ببعض عرفتها الإنسانية منذ البداية ، وأصل هذه الروابط رابطة الزواج ، وهى رابطة مقدسة مباركة توجد علاقة روحية بين الزوجين ، ويسموا بها عن أن يكون الرابط بينهما الشهوة البهيمية ، فيطمئن كل من الزوجين للآخر فى بدنه وماله وتهدأ إليه نفسه ويفضى إليه بما عنده . يقول الله تعالى « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها » ولهذه المعانى حث الإسلام على الزواج ودعى إليه . يقول الرسول (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج) .

٦ — وإعراض الشباب عن الزواج مع القدرة عليه وعلى تبعاته يضر بهم وبالمجتمع ضرراً بليغا وإن من هذا الضرب من الشباب من يتعلل بما يراه من عدم نجاح كثير من الزوجات ، ولكن هذه العلة لا تبرر إعراضهم عن تكوين أسرة ، فإن ذلك مرجعه إلى سوء فهم حقيقة الزواج ومقاصده ، وإساءة استعمال هذا النظام الإلهى الذى لا بد منه للمجتمع . فالعيب فى الأفراد الذين تفشل عقود زواجهم لا فى نفس التشريع ويمكن القضاء عليها أو تقليلها إذا فهم كل من الزوجين ماله من حقوق وما عليه من واجبات ، وكانت رغبة كل منهما فى الآخر صادقة خالصة .

* * *

٧ — وقد كانت للأمم قبل الإسلام طرائق مختلفة فى تنظيم الصلة الجنسية فمنها من كان يعيش أفرادها فى إباحة تامة ، ومنها من عرف الزواج وأباح تزوج الأمهات والبنات ، ومنها من ألف تعدد الأزواج لامرأة واحدة ومنها من ألف تعدد الزوجات لرجل واحد دون تقيد بعدد معين.

فتعدد الزوجات كان معروفا فى الصين واليابان والهند والصقالبة والفرس والعرب

وبعض الشعوب السكسونية وكان حقا لرؤساء قبائل الهنود فى أمريكا الجنوبية ، وقد كان لبعض النبلاء فى الشعوب الجرمانية حق تعدد الزوجات ، كما جمع بعض ملوك أسبرطة أكثر من زوجة ، كذلك فإن الامبراطور قسطنطين وابنه كان لكل منها عدة زوجات ولم يكن على الناس من حرج فى الاقتداء بهم وعم انتشار المسيحية وشيوعها حتى منع جستنيان التعدد ، كما عرفت بروسيا التعدد وأخذت به حتى القرن الثالث عشر . وقدماء المصريين وإن عرفوا تعدد الزوجات إلا أنهم كانوا أول أمة عرفت الاقتصار على الزوجة الواحدة .

٨ — والتوراة لم تمنع التعدد ، بل فيها ما يدل على بقائه . وفى التشريعات اليهودية المتأخرة نجد التلمود ينص على أن الحكماء ينصحون الرجل أن لا يتزوج بأكثر من أربع زوجات ، بل بقى تعدد الزوجات ذائعا عند اليهود الأوربيين حتى العصور الوسطى

والمسيحية لم يرد فيها ما يدل على منع التعدد إلا ما جاء على لسان القديس بولس خاصا برجال الدين على أن الثائر (مارتن لوثر) يقول : إن تعدد الزوجات لم يمنعه الله . وإذا كانت أوربا والدول المسيحية انتهت إلى منع التعدد فإن هذا المنع لا يستمد مصدره من المسيحية بقدر ما يستمده من العرف الخالص ، أما الإسلام فحد من فوضى الزواج التى كان عليها العرب خاصة وجعله واحدة للرجل إلا إذا كانت به حاجة للتعدد .

٩ — وفى الحق أن الإسلام وإن أباح التعدد فإنه لا يبيحه إلا مع قدرة الزوج على تحقيق العدالة والقدرة على الإنفاق والمعاشرة ، أما إذا لم تتحقق هذه القيود فليس له إلا واحدة وإلا فهو آثم يقول الله تعالى « ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن » ، ويقول : « .. فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة » ، ولم يرد نص فى القرآن يفيد إباحة تعدد الزوجات إلا ما جاء ضمن التكلم عن اليتامى وخوف الأوصياء من مخالطتهم مخافة النفس والهوى ... « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ... » . وبذا يكون الشرع قد اعتبر حالة مخالطة اليتامى لرعايتهم وإصلاح شأنهم ضرورة تبيح التعدد إذا وقع فى نفس القائم على شئونهم تعلق بالأيم أو بإحدى اليتيمات ، كما أن التدرج فى تشريع الأحكام الذى هو أحد دعائم التشريع الإسلامى اقتضى الحد من حرية الرجال فى الجمع بين الزوجات دون أن يشق عليهم بالوقوف عند الواحدة ، بالإضافة إلى العامل السياسى الذى استحث الرسول من أجله الناس على التناسل « تناكحوا تناسلوا فإنى مباه بكم الأمم يوم القيامة »

وقد كانت الدعوة جديدة والمسلمون قلة . هذا فوق ما كانت تنتجه الحروب عامة من ترمل النساء وكثرتهن وقلة الرجال .

١٠ — فالإسلام وإن أباح التعدد عند توافر القيود التي وضعها فإنه لم يوجب التعدد ، ولم يحب إليه بل ولم يجعله أصلا وإنما جاء بحكميه على أنه استثناء بدليل سياق النص الفريد الذي جاء بحكم التعدد ، ولا ينقض هذا تعدد زوجات الرسول والكثير من أصحابه وتابعيهم .

لأن زيجات الرسول لم يكن الباعث لها الغرض والهوى والدوافع الجنسية وإنما كانت لمثل عليا سامية ودوافع سياسية تتطلبها تكوين الدولة وانتشار الدعوة ، وإلا لما تزوج بعد وفاة زوجته الأولى التي بقيت معه بمفردها ثماني عشرة سنة — صبية لم تتم سن السابعة وقد نيف على الأربعين ، ولما جمع معها الأرامل ولا ذوات الأولاد ، فقد كانت زوجاته كلهن غير الصبية عائشة أرامل وثيبات خلعن ثوب الشباب . وطمس الترمل ونكبات الحياة فيهن معالم الجمال ، وكان غرضه من وراء زواجه بهن الربط بين القبائل المتشاحنة ، وإيواء الأرامل المسلمات اللاتي لم يدخل أهلهن في الإسلام ، والتحريض على إعتاق الأسرى بغضاً في الاسترقاق وتحبيبا للأسرى وقومهم في الإسلام إلى غير ذلك من الدوافع السياسية والإنسانية التي تدل على أن الرسول إنما كان يضحي من ذات نفسه . على أن ذلك كله كان قبل تحديد الزواج بأربع ، وما كان له أن يطلق منهن ، وإلا لكان ذلك منافيا للحكمة التي من أجلها تزوج بهن .

أما زواج الكثير من الصحابة والتابعين بأكثر من واحدة فإنه لا ينقض ما نراه من أن التعدد استثناء يباح عند وجود المقتضي ، وقد كانت الرغبة في التكاثر ، وكثرة الحروب والقتلى من الرجال ، والترابط بين القبائل من العوامل التي اقتضت ذلك عند تحقق العدالة وعدم الجور والقدرة على القيام بشئون الزوجية .

١١ — ويدل على أن الأصل الزواج بواحدة أن الشارع لم يرث ميراثا للزوجات يختلف عن ميراث الواحدة فالله تعالى يقول : « ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن . . . » وأساليب التعبير في اللغة العربية تقضي أن مقابلة الجمع بالجمع تقتضي القسمة آحاداً ، وهنا قبل الجمع الذي هو الأزواج بالجمع الذي هو الزوجات . فدل على أن الأصل أن يكون لكل زوج زوجة وأن يكون لكل زوجة زوج .

على أن الفقهاء مجمعون على حرمة التعدد عند خوف الجور ، وهذه الحرمة الناتجة من خوف الجور بينهن مفسدة لعقد الزواج نفسه على ما يراه البعض تخريجا على أصل مذهب مالك وإحدى الروايتين عن أحمد .

* * *

١٢ — وإباحة التعدد فى الإسلام على هذا الوجه قد تتطلبه الطبيعة ويدفع تشريعه ضررا أكبر وفسادا أخطر . فالطبيعة اختصت المرأة بدورة شهرية وبالحمل والوضع والرضاع ، وكثيرا ما تكون منحرفة المزاج فى هذه الفترات فضلا عن تحريم مخالطتها فى أيام الطمث والنفاس ، وقد تمرض الزوجة مرضا يمنعها من الاختلاط بالزوج والقيام بشئون البيت ، وقد تكون عاقرا لا تنجب ، والرجل مع كل هذا قد لا يستطيع بطبيعته الاستغناء عن النساء ، ولا يمكن أن نميت فيه حب التناسل حبا فى البقاء . ولو غلق على الذين تتحكم فيهم شهواتهم باب التعدد لطرقوا باب الحرام وتوغلوا فيه وليس من العدالة والمروءة أن نجعل زواجه حينئذ مشروطا بطلاق زوجته المريضة أو العاقر . فقد يكون لها منه أولاد ترعاهم فى كنفه ، وقد تكون لا عائل لها ولا رغبة فيها للزواج .

كما أن الحروب على ما أشرنا وأخطار المعامل والمصانع قد تفتك بالكثير من الرجال مما يتزايد معه تعداد النساء . وهن يحتجن إلى رجولة الزوج كما يحتجن إلى الطعام والشراب . وهذه بعض دول أوربا التى أفقدتها الحرب السابقة الكثير من رجالها وشبانها وخلفت الأيامى والعوانس . وقد جأرت أصواتهن بالشكوى مما هن فيه من حرمان وعذاب نفس . ولا علاج لهذا إلا بإباحة تعدد الزوجات والإبقاء على نسب المولود أو الإباحية والانهيار الخلقى وتزايد الأبناء غير الشرعيين .

١٣ — فالإسلام يواجه الحقيقة والواقع ويجعل التعدد مشروعاً فى مثل هذا مخافة ضياع نسب الأطفال . بينما القوانين المتحضرة تعترف بالولد غير الشرعى وترتب له بعض الحقوق . وتأبى أن تعمل على تصحيح نسبه . كما أن نظام الخليلات قائم فيها معروف . والخليلة بالنسبة للزوج فى حكم الزوجة الأخرى والفرق أنه فى الإسلام تعدد واضح وعندهم تعدد فى الظلة والخفاء . والواضح البين أشرف وأفضل من العمل فى الخفاء بما يترتب عليه إفساد الأزواج على زوجاتهم وأولادهم بل وعلى مسلكهم فى الحياة ونظرة الناس لهم . والقاعدة أن الضرر الأكبر يدفع بالضرر الأدنى .

* * *

١٤ — والنتيجة أن الزواج فى الإسلام عقد مقدس وأن الأصل فى مشروعيته الزواج بواحدة . وأن التعدد استثناء يباح عند توافر العدالة والقدرة وهى أمور وجدانية وتقديرية تتفاوت فيها الأنظار والتشريع الإسلامى ليس فيه ما يمنع من أن يسند تقدير هذه الأمور والأسباب التى تدفع الرجل إلى تعدد زوجاته إلى هيئة من الهيئات تنظره وتوصى فيه برأى معين . إذ تقدير الضرورة مرجعه إلى جماعة الأمة ممثلة فى السلطة التى تلى أمر التشريع . بل هو أيضا من باب ما لولى الأمر من الإشراف على تحقيق ما شرطه الشرع أو ما له من تقييد المباح لأن فى هذا ما يحقق المصلحة ويدرأ المفسدة وليس فيه ما يمس أصل الحكم الشرعى ويرفعه .

١٥ — ومع هذا فإن الناس إذا أساءوا فهم حقيقة تشريع التعدد أو انحرفوا فيه فإن هذا لا يعيب التشريع وإنما يعيب الأفراد . وعلاجه فى أن يشرف إولى الأمر على تنفيذ هذا الحق ليتأكد من تحقق القيود . وأن يضع من القواعد ما يمنع الوقوع فى الخطأ . ويضع من الجزاء ما يوقف المستهترين . وقد كتبنا فى ذلك من قبل فى جريدة الأهرام سنة ١٩٥٢ تحت عنوان كيف نعالج فوضى تعدد الزوجات . وقد استجابت الحكومة إلى ذلك وأعدت مشروعا بقانونين . غير أننا نود أن يعرض على المشتغلين بهذه الأمور لإبداء الرأى فيه قبل أن يصبح قانونا نافذا — حتى يخرج قانونا ناضجا خاليا من المآخذ ؟

محمد سلام مدكور
أستاذ الشريعة بكلية حقوق القاهرة

صن لسانك

قال عبد الله بن المقفع : اعلم أن لسانك أداة مسلطة يتغالب عليه عقلك وغضبك وهواك وجهلك ، فكل غالب عليه ، مستمتع به ، وصارفه فى محبته ، فإذا غلب عليه عقلك فهو لك ، وإن غلب عليه شىء من أشباه ما سميت لك فهو لعدوك ، فإن استطعت أن تحتفظ به وتصونه فلا يكون إلا لك ، ولا يستولى عليه أو يشاركك فيه عدوك فافعل .

من مشاهد الهجرة :

إنه عربي ...

للسيدة سميرة المغربي

اخترت هذا العنوان من بين عدة عناوين تصلح لهذه القصة التي ملكت على إعجابي حين خلوت إلى تراث العرب وأمجاد الإسلام ، أغذي نفسي بالمثل الحية . وألتقي بالبطولة في صورتها الرائعة الأصيلة بعد أن سئمت قراءة الروايات الأجنبية ، ومللت أخبار غوانى باريس في بلاط الملوك ، التي لا تسلم إلى مثل حي من الأمثلة الإنسانية الرفيعة ، ولا تبعث في النفس إعجابا بخلق يتصل بحياتنا الشرقية الإسلامية .

خلوت ليلة — وكانت من أحلى ليالي العمر — إلى كتب السيرة النبوية وآثار السلف الصالح ، وقصدت إلى المظان التي تتحدث عن المرأة العربية المسلمة لا كما يتحدث عنها الشعراء حين يتغزلون ، ولكن أردت أن أراها في أدوارها الجدية . وأنظر موقفها من الإسلام الذي حدد معالم الطريق المستقيم للبشر ، بتهذيب الغرائز والعواطف والاتجاه بها إلى الآفاق السامية والمكانة الرفيعة .

قرأت عن عربية من بني مخزوم عاشت زمن الرسول في صحبته ثم في بيته وكنفه ، ثم بعد وفاته ، وعشت مع قصتها ساعات طويلة كنت أتنقل فيها على مهل ، مأخوذة بما أصادف من معان ، يكاد كل معنى يقف في عنده .

وفي الوقت الذي أقارب فيه إتمام الإطار الجميل لهذه الصورة الرائعة لشخصية المرأة العربية المسلمة . في هذا الوقت ترتفع الستارة عن مشهد آخر من مشاهد الرواية ، لا أكذبك أيها القارئ — إذا حدثتك أنه كاد ينسيني ما شاهدت من قبل ، ولم يكن هذا المشهد الجديد عن امرأة ، ولكن عن رجل . نعم عن رجل ، ورجل عربي ، وعربي وكفى .

لقد تكشف لي الآن سر اختيار الله لأن تشرق شمس الإسلام من جزيرة العرب ، ويحمل أشعتها الهادية عرب ، وينقذ بها الإنسانية عرب ، ويضع أصول الحضارة والمدنية عرب .

وبينما أنا فى هذه النشوة الحالمة ، ظهر لى مشهد آخر فى صفحات أخرى ، رائعة ، وليست روعته لذاته ولكن لصلتها بموضوعى الأول ، تلك الصلة التى زادتنى إيمانا وإعجابا بالعرب ، وأرتنى بوضوح خسة أخلاق اليهود ونذالتهم المتأصلة ، امرأة عربية أخرى تسوقها ظروف مشابهة لظروف أختها الأولى إلى أن تلتقى فى طريقها المتقطع بيهودى ، فيتجلى الفرق الواسع بين أصالة العربى ونذالة اليهودى ، اليهودى الذى يعيش آمناً بين العرب الذين آووه وأكرموه حين طردته الدول ولم ترض به مواطناً يعيش فيها ، ومع هذا لم يعترف بالجميل حتى بالتظاهر ، ولكن هذا طبعه الملازم له : كفران النعمة وعداء للرحمة ، وعدم تحمله عيش السلام ، فحياته دائما قائمة على الفتن والقلق والاضطراب .

أروى لك أيها القارئ تلك القصة التى ملكت على إعجابى ، ولعلك إذا انتهيت منها أحسست بما أحس به أو أشد ، ورأيت أن تعجلى للحكم عليها لم يكن إغراء لك بقراءتها .

عندما اشتد أذى الكفار للنبى وصحبه فى مكة ، وعرض دعوته على القبائل فى مواسم الحج ، ودخل الإسلام بعض بيوت المدينة أذن الله للمسلمين بالهجرة إليها ، وكان أبو سلمة عبدالله المخزومى قد هاجر إلى الحبشة ثم قدم على رسول الله بمكة . فلما آذنه قريش وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار خرج إلى المدينة مهاجراً قبل بيعة العقبة بسنة .

وأراد أن يصحب معه زوجته أم سلمة هند بنت سهيل ، فأعد البعير وحملها عليه ، وجعلت ابنها سلمة فى حجرها ، ثم خرج بها يقود البعير ، فلما رآه بنو المغيرة أقارب زوجته قاموا إليه معترضين سفرها معه ، وقالوا : هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها فى البلاد ، ثم نزعوا خطام البعير من يده وأخذوا منه أم سلمة ، وهنا بلغ بنى عبد الأسد رهط أبى سلمة ، أن بنى المغيرة أخذوا أم سلمة وابنها ، فثار فى نفوسهم ما يثور عند العربى يرى ولدا من صلب عشيرته يربى فى بيت غير بيت أهله ، مع ما للولد عند العرب من منزلة ، فهو قوة وكسب لا ينبغى أن يعتز به غير قومه . فأقسموا ألا يتركوا ابنهم سلمة عند أمه وأهلها ، وهناك اشتد النزاع وتجاذب البيتان الولد حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبد الأسد عشيرة أبيه ، وهنا أصبحت أم سلمة وحيدة ، هاجر زوجها وانتزع منها ابنها ، وتصور أيها القارئ كيف تتحمل أعصاب المرأة هذه

الصدمة ، كيف تعيش بغير زوج وولد وهما حيان ، ولكن لاسبيل إلى اللقاء ، فمثلها كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه كانت المسكينة تعزى نفسها بالخروج صباح كل يوم إلى الأبطح تتعلل بالنظر إلى حيث سافر زوجها ، وتتنسم أخبارا تخفف من لوعتها ، وما تزال تبكى حتى يأتى المساء فتعود لا لتنام ولكن لتظل ساهرة تفكر فيمن يبعث إلى عينها النوم من زوج يحميها ويقاسمها هموم الحياة ، ومن ولد هو فلذة كبدها الذى فقد صدرها الحنون وفقدت فى جواره القرار .

وبينما هى على عادتها بالأبطح تبكى إذ مر بها رجل من بنى عمها ، فرق لها وتوسط فى حل مشكلتها ، فسمح لها أهلها بالسفر إلى زوجها ، وأعطاها بنو عبد الأسد ولدها . ولكن كيف تستطيع السفر وأهلها أعداؤها؟ من الذى يصحبها فى طريقها الموحش الطويل ؟ ومن الذى يزودها بما تتبلغ به الأيام الطوال ؟ لم يكن عندها إلا بعيرها فارتحلته وجعلت ابنها أمامها ، وخرجت متوجهة إلى المدينة ليس معها إلا الله ، ولا زاد لها إلا ما يسوقه لها القدر فى الطريق ، ولكن الله سخر لها من يرعاها ويحميها . وكانت الحماية والرعاية من رجل ، ومن رجل ليس على دينها ، إذ قابلها فى الطريق وهى عند حدود الحرم بالتنعيم قريبا من مكة ، قابلها عثمان بن طلحة وهو يومئذ على دين قومه ، فسألها إلى أين ؟ فقالت أريد زوجى بالمدينه ، فقال وهل معك أحد ؟ فقالت لا والله ، إلا الله وابنى هذا . فماذا يفعل الرجل المشرك ، وكان من اليسير أن يردها إلى مكة ، أو يسلبها بعيرها ويتركها وحيدة ، أو يطمعه جمالها الذى اشتهرت به فى أن يعمل شيئا آخر ، حيث الجو مهيأ والظروف مواتية ، ولكن الرجل عربى ، وكما قلت من قبل : عربى وكفى ، أخذته الغيرة والحمية والنخوة العربية فقال لها : والله مالك من متترك ، أى لا ينبغى أن تتركى وحدك . وهنا أترك السيدة الطاهرة الوفيـــة البارة تروى لك بأسلوبها كيف كانت معاملته لها فى الطريق وهو الذى كانت له مندوحة أن يتخلى عنها ولا يتحمل مشقة السفر الطويل الذى لا حاجة له به ، وكانت هى تتوقع منه ألا يقربها بسوء وأن يدعها تواصل سيرها إلى حيث تريد ، ولكنه كان على العهد بالعربى الأصيل ، تقول السيدة أم سلمة :

فأخذ بخطام البعير ، فانطلق معه يهوى بى ، فوالله ما صحبت رجلا من بنى العرب قط أرى أنه كان أكرم منه ، وكان إذا بلغ المنزل أناخ بى ثم استأخر عنى ، حتى إذا نزلت عنه استأخر ببعيرى فحط عنه ثم قيده فى الشجر

ثم تنحى الى الشجرة فاضطجع تحتها ، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيرى فقدمه فرحله ثم استأخر عنى فقال : اركبى ، فإذا ركبت فاستويت على بعيرى أتى فأخذ بخطامه فقاد بى حتى ينزل بى ، فلم يزل يصنع ذلك بى حتى أقدمنى المدينة ، فلما نظر إلى قرية عمرو بن عوف بقباء ، قال زوجك فى هذه القرية ، وكان أبو سلمة نازلا بها ، فادخليها على بركة الله . ثم انصرف راجعا الى مكة . الى هنا تنتهى القصة التى كانت كلما ذكرتها أم سلمة قالت : والله ما أعلم أهل بيت فى الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبى سلمة ، وما رأيت صاحبا قط أكرم من عثمان بن طلحة .

ولقد أكرم الله أم سلمة بعد ذلك فتزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاة زوجها فى السنة الرابعة من الهجرة ، وكانت صاحبة رأى سديد حلت به أزمات ، وأكرم الله عثمان بن طلحة فأسلم عام الحديبية على ما أسلف من خير وهاجر الى المدينة مع خالد ابن الوليد قبل الفتح .

قابل هذه الصورة الرائعة الناطقة بعراقة العربى فى النبل والشهامة والمروءة والنجدة وبين خسة اليهودى التى تصورها هذه الحادثة كما ذكرها ابن اسحق فى رواية غير ابن هشام: فقد كانت أم شريك الدوسية فى سفر فعطشت ، فمرت برجال فى الطريق فعرجت عليهم تسأل ماء كعادة العرب ، فإذا بهم يهود ، ولم تتحرك فيهم معانى الانسانية ، فينقذوا امرأة كاد يقتلها الظمأ فى الصحراء ، ولكنهم لا يرون لغيرهم حقاً فى الحياة ، فسألوها أولاعن دينها ، فقالت مسلمة . فعرضوا عليها الرجوع عن دينها ليسقوها فأبت وأصرت ، وقد كان لها من الرخصة وهى مشرفة على الهلاك . أن تنطق بكلمة الكفر وقلبها مطمئن بالإيمان ، ولكنها مؤمنة مخلصة تأبى العار فى أدنى صوره ، فكافأها الله بأن صرف عنها ألم العطش بأن خيل لها أن دلواً تدلى من السماء فشربت وارويت .

وسواء أصح هذا المخرج من المأزق على هذه الصورة أم لم يصح ، فقد استبان الفرق البعيد بين العربى واليهودى . وأيقنت حقا أن أمة لها مثل هذه المقومات الأدبية الرفيعة لن تذل ولن تهون . وأن شرذمة من اليهود ورثت الخسة فى أحط مداركها لن يكون لها شأن فى الوجود . ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ؟

سميرة المغربى

من رجالات الإسلام :

عامر بن شراحيل الشعبى

للأستاذ محمد ابرهيم الجيوشى

كلما رددت الطرف من قديم فى كتب التاريخ والأدب يسترعى انتباهى ، وتستوقفنى أخبار منثورة هنا وهناك عن عامر بن شراحيل الشعبى .

ذلك النموذج الفذ للفقيه الإسلامى فى القرن الأول من الهجرة .

فقد ولد عامر الشعبى سنة ١٩ على خلاف فى ذلك ، وأنهى رحلة الحياة فى عام ١٠٣ من الهجرة ، وبين بدء رحلة الحياة ونهايتها ترك الشعبى من الأخبار والأحداث ما استعصى على الموت أن يطويه مع صفحة العمر التى طواها .

ولئن كان الشعبى قد ودع الحياة فى أول القرن الثانى للهجرة فإن أخباره وسيرته لاتزال تتراءى أضواؤها على مشارف الزمن كما تتلألأ النجوم الهادية للسائر فى خضم المحيط .

يستوقف الناظر فى سيرة الشعبى تلك الجوانب الخصبة المتعددة لهذه الشخصية الفذة . فهو فقيه ، ومحدث ، وراوية ، وساخر بارع النكتة حلو المكاهة ، ورجل سياسة من الطراز الأول .

شهد له أعلام عصره بالعلم الغزير والمعرفة الواسعة ، والبيان القوى فقد مر به ابن عمر رضى الله عنه ، وهو يحدث القوم عن المغازى . فقال : شهدت القوم ، وإنه لأعلم بها منى .

وقال الزهرى : العلماء أربعة : ابن المسيب بالمدينة ، والشعبى بالكوفة ، والحسن البصرى بالبصرة ، ومكحول بالشام .

وقد ساعد الشعبى على الوصول إلى هذه المكانة التى استرعت انتباه الأعلام من رجال عصره ، ودفعتهم إلى الإشادة بفضله حافظة قوية وذهن وقاد لم يمر به شىء إلا سجله ووعاه حتى ليقول هو عن نفسه فى ذلك ـ رداً على من سأله عن مبلغ حفظه ـ : ما كتبت سوداء فى بيضاء ، ولا حدثنى رجل بحديث إلا حفظته .

وهذه العبقرية الفذة ، وهذا العقل الراجح ، والفكر اللماح والبيان الطلق استوقفت رجلا مثل الحجاج ، وأثارت دهشته ، فقد أتى بالشعبى فى قوم خرجوا عليه ، فقال الحجاج : خرجت علينا يا شعبى ؟

قال الشعبي : أجدب بنا الجناب ، وأحزن بنا المنزل ، واستملسنا الخوف ، واكتحلنا السهر ، وأصابتنا خزية لم نكن فيها بررة أتقياء ، ولا فجرة أقوياء .

فلم ينمالك الحجاج إزاء هذا البيان المحكم ، والفكر المشع إلا أن يرسله ضناً به على الموت ، وهو يقول : لله أبوك !

وقد أهلته هذه المواهب إلى أن يكون محل عناية رجال الدولة وتقديرهم . ولهذا لم يتردد الحجاج حينما بعث إليه عبد الملك بن مروان يسأله أن يختار له رجلا يصلح للدين والدنيا يتخذه محدثا وسميراً ، أن يبعث له بالشعبي .

مع عبد الملك :

ولما دخل الشعبي على عبد الملك وجده قد أطرق مهتما ، فقال : مابال أمير المؤمنين ؟ قال عبد الملك : ذكرت قول زهير .

كأني وقد جاوزت سبعين حجة
خلعت بها عني عذار لجامي
رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى
فكيف بمن يرمى ، وليس برامي
فلو أنني أرمى بنبل رأيتها
ولكنني أرمى بغير سهام
على الراحتين تارة ، وعلى العصا
أنوء ثلاثاً بعدهن قيامي

قال له الشعبي : ليس كذلك يا أمير المؤمنين؟ ولكن كما قال لبيد بن ربيعة وقد بلغ سبعين حجة .

كأني وقد جاوزت سبعين حجة
خلعت بها عن منكبيّ ردائيا

ولما بلغ سبعا وسبعين سنة قال :

باتت تشكّ إلى النفس موهنة
وقد حملتك سبعا بعد سبعينا
فإن تزادي ثلاثاً تبلغي أملا
وفي الثلاث وفاء للثمانينا

ولما بلغ تسعين سنة قال :

ولقد سئمت من الحياة وطولها
وسؤال هذا الناس : كيف لبيد ؟

ولما بلغ عشراً ومائة قال :

أليس ورائي أن تراخت منيتي
لزوم العصا تحنى عليها الأصابع
أخبر أخبار القرون التي خلت
أنوء كأني كلما قمت راكع

ولما بلغ ثلاثين ومائه وحضرته الوفاة قال :

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما
وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر
فقوما فقولا بالذي تعلمانه
ولا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر
وقولا : هو المرء الذي لا صديقه
أضاع ، ولا خان الخليل ولا غدر
إلى سنة ثم السلام عليكما
ومن يبكِ حولا كاملا فقد اعتذر

فسر عبد الملك وتهللت أساريره حتى قال الشعبي : فلقد رأيت السرور في وجه عبدالملك طمعاً أن يعيشها .

رأى عبد الملك نموذجا فريداً من الرجال ، وخشي أن يبدر منه ما يغيره عليه فيحرم من حديثه ومنادمته فقال له :

يا شعبي، لاتساعدني على ماقبح ، ولا تردعلى الخطأ في مجلس . ولا تخلفني جواب التشميت والتهنئة ، ولاجواب السؤال والتعزية ، ودع عنك . كيف أصبح الأمير . وكيف أمسى ، واجعل بدل المدح لي صواب الاستماع مني ، واعلم أن صواب الاستماع أكثر من صواب القول . وإذا سمعتني أحدث فلا يفوتنك منه شيء ، وأرني فهمك من طرفك وسمعك ، ولا تجهد نفسك في تطرية صوابي . ولا تستدع بذلك الزيادة في كلامي ، فإن أسوأ الناس حالا منهم من استخف بحقهم . واعلم يا شعبي أن اقل من هذا يذهب بسالف الإحسان . ويسقط حق الحرمة ، فإن الصمت في موضعه ربما كان أبلغ من المنطق في موضعه وعند إصابته وغرضه .

وكانت روح الشعبي المرحة ، وفكاهته الحلوة ، ودعابته العذبة مما قربه إلى نفس عبد الملك ، وجعل الأمر يصل بينهما إلى حد المزاح والمداعبة . وزاد في إعجابه به وقد سأله ذات يوم عن ذكرياته ونوادره في القضاء . فقال الشعبي : اختصم إلى امرأة وبعلها ، وكانت حسنة المظهر جميلة الوجه ؟ وعلي حق في دعواها ، فقضيت لها واتهمني زوجها بالتحيز لها ، وكتب إلي رقعة فيها :

فتن الشعبي لما
رفع الطرف إليها
فتنته بقوام
وبخطي حاجبيها
ومشت مشيا رويدا
ثم مزت منكبيها
قال للجلواز قربـ
ـها وأحضر شاهديها
وقضى جورا على الخصـ
ـم ولم يقض عليها
كيف لو أبصر منها
نحرها أو ساعديها
لصبا حتى تراه
ساجدا بين يديها

فسأله الخيزمة : وماذا فعلت عندئذ ؟ فأجابه . أمرت بضربه حتى أوجعت ظهره . ثم أخذ الشعبي في إلقاء نوادره على الخليفة وهو في غاية السرور والبهجة ولما احتاج الأمر إلى سفارة بين الدولة الأموية وامبراطور بيزنطة على أثر ضرب الدينار الإسلامي في عهد عبد الملك لم يجد عبد الملك

أجدر من الشعبي بالقيام بهذه المهمة الخطيرة ، ولكنه أراد أن يطمئن قلبه ، فعقد امتحانا للشعبي أشبه بما نسميه اختبارات الذكاء اليوم ، وجرى بينهما الحوار التالي .

الخليفة : يا شعبي ، ما العلم ؟

الشعبي : هو ما يقربك من الجنة ، ويباعدك من النار .

الخليفة : يا شعبي . ما العقل ؟

الشعبي : ما يعرفك عواقب رشدك ، ومواقع غيك .

الخليفة : متى يعرف الرجل كمال عقله .

الشعبي : إذا كان حافظا للسانه ، مداريا لأهل زمانه . مقبلا على شانه .

الخليفة : يا شعبي أنشدني أحكم ما قالته العرب وأوجزه .

الشعبي : يا أمير المؤمنين قول زهير .

ومن يجعل المعروف من دون عرضه
يفره ومن لا يتّق الشتم يشتم

وقول النابغة :

ولست بمستبق أخا لا تلمّه
على شعث أي الرجال المهذب

وقول عدي بن زيد :

عن المرء لا تسأل ، وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدى

وقول طرفة :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا
ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وقول الحطيئة :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه
لا يذهب العرف بين الله والناس

عند ذلك لم يخالج الخليفة أدنى شك في أن الشعبي سيقوم بسفارته في نجاح ، وعلى خير وجه . وأخذ الشعبي يتأهب للسفر إلى بلاد الروم .

الشعبي في بلاط الامبراطور :

وفي بلاد الروم التقى الشعبي بالأمبراطور ، وكان شديد الحرص على أن يمثل الدولة الإسلامية خير تمثيل ، ويوفر لها كرامتها ومكانتها . وأراد الأمبراطور أن يعرف مقدار ولاء السفراء المسلمين لدولتهم . فقال له : أنت أحق بموضع صاحبك منه ، فأجابه الشعبي على الفور إجابة رائعة مفحمة « على بابه عشرة آلاف كلهم خير مني . . فقال الأمبراطور : « هذا من عقلك » .

وقال الأمبراطور للشعبي : أريد أن أسألك عن ثلاث خلال ، فإن أجبتني عنهن فأنت أعلم الناس ، فقال الشعبي : فليسألني الملك عما أحب » .

قال الأمبراطور : يا شعبي ، هل للعرب من الأمثال مثل أمثال العجم ؟

قال الشعبي : نعم . وعندنا مثل ليس لأهل الأرض مثله .

قال الأمبراطور : وما هو ؟

قال الشعبي : يا ابن آدم إذا لم تستح فاصنع ما شئت

فقال الأمبراطور : ما سمعت بهذا المثل قط إنه لا يشبهه مثل .

وكان الشعبي قد خضب لحيته باللون الأصفر تجملا منه وحرصا على التقاليد الإسلامية ، إذ كان الخضاب الأصفر يعتبر سنة عن النبي فقال الأمبراطور : يا شعبي لم غيرت لحيتك بصفرة ، ألا صبرت على البياض كما ابتليت أو رددتها إلى نسجها الأول فخضبت بالسواد

فأجاب الشعبي : هذى سنة نبينا .

فقال الأمبراطور : ما جاء به النبيون فليس فيه حيلة ، ثم قال أخبرنى يا شعبي أنت خير أم أبوك ؟

فقال الشعبي : أبى خير منى .

فقال الأمبراطور : وأنت خير من ابنك.

فقال الشعبي : نعم ؟

فقال الأمبراطور : الحمد لله الذى أظفرنى بك يا شعبي . آخركم قردة إذا كنتم تزدادون فى قرن شرا .

غير أن الشعبي أخذ يبين للأمبراطور وجهة نظره من حديث النبي الذى يفيد أن الموازين ستنعكس آخر الزمان ، ويغلب على الناس الهوى والنزعات النفسية .

وقد أعجب الأمبراطور بمواهب الشعبي ، وحسد الدولة الإسلامية على ظفرها بمثله فبعث برسالة إلى عبد الملك يحاول فيها أن يغرى الخليفة بالشعبي . ولكن عبد الملك تنبه إلى غرضه ، وأضاع عليه تدبيره .

طرف من أقواله :

والشعبي رجل خبر الحياة وفهم حقائقها ، وكان ذا بصر بأخلاق الناس وطبائعهم . وله أقوال تدل على عمق النظرة وسبر غور الحياة ، ومن ذلك قوله : تعايش الناس زمانا بالدين والتقوى ، ثم رفع ذلك فتعايشوا بالحياء والتذمم ، ثم رفع ذلك فما يتعايش الناس إلا بالرغبة والرهبة ، وأظنه سيجىء ما هو أشد من هذا .

وقد أورثه ذلك حلما وسعة صدر أسمعه رجل كلاما يكرهه فلم يكن جوابه إلا أن قال. إن كنت صادقا فغفر الله لى . وإن كنت كاذبا فغفر الله لك ، وكثيرا ما كان يتمثل بقوله مسكين الدارمى .

ليست الأحلام فى حال الرضا
إنما الأحلام فى حال الغضب

وللشعبي ردود تفيض بالسخرية ولتهكم ، وكثيرا ما يكون ذلك حينما يلتقى به بعض الثقلاء . وكثيرماهم فى حياة الشعبي. فقد مر به حمال على ظهره دن خل ، فلما رآه وضع الدن وأقبل عليه يسأله : ما كان اسم امرأة إبليس؟

فقال الشعبي : ذاك نكاح ما شهدناه .

(البقية على صفحة ٨٩)

ولهؤلا. نفوذ كبيرة فى مدينة لامو فى المنطقة التى يسكنها الباجون شماليها .

وأراد حبيب صالح فى عام ١٨٨٥ م تقريبا إنشاء مدرسة دينية فى لامو ، فأقام كوخا من القش ، ومن ثم أنشأ معهده الدينى : « المدرسة الجامع » الذى أطلق عليه اسم رباط الرياضة ، لتعليم العلوم الدينية والرياضية ، وجانب من علم السحر والملك. وتقوم العلوم الدينية أساسا على التصوف ـ ولا يعلم بالضبط التاريخ الذى أنشىء فيه هذا المعهد . وقد توفى العلامة ، حبيب صالح ، فى ٦ إبريل من عام ١٩٣٥ عن عمر زاد على الثمانين عاما ويتمتع هذا المعهد الدينى بالسمعة الطيبة والاحترام ، ويحضر إليه سنويا فى ذكرى مولد النبى صلى الله عليه وسلم جماعات كثيرة من الباجون والصومال والجالا . والعرب والسواحلية والهنود المسلمين من ممباسة وزنجبار دار السلام ، وبمبا وغيرها من المناطق المجاورة .

ولهذا المعهد نشاط فى نشر الرسالة الإسلامية بين المذاهب الأخرى كالأباضية التى استطاع أن يعيد مجموعة منها إلى السنة المحمدية .

ويتولى التعليم فى المعهد ابن حبيب صالح ويدعى حبيب أحمد بدوى. وهناك مشكلات كثيرة تواجه هذا المعهد فى تأدية رسالته الدينية، فهناك الاسماعيلية والقاديانية. ولهذه أساليبها الخاصة فى نشر دعايتها الشيشيرية . وهنالك محاولات لإنشاء معاهد دينية أخرى فى كينيا وتنجانيقا. وكل هذه المحاولات جديرة بالأخذ مبين الاعتبار والدراسة لتقوية الدعاية الإسلامية فى ذلك المحيط .

بن سليم

« بقية المنشور على صفحة ٨١ »

وسأله آخر عن لحم الشيطان فقال : نحن نرضى منه بالكفاف .

وكثيرا ما كانت تغلب عليه روح الفكاهة فيداعب من يلقاه فقد مر به خياط . فقال له : عندنا حب مكسور تخيطه ؟ فقال الخياط: إذا كان عندك خيوط من ريح .

ودخل عليه رجل مرة البيت ومعه امرأة. فقال : أيكما الشعبى فقال الشعبى : هذه .

هذا هو الشعبى مثال رائع للمثقف الإسلامى فى القرن الأول من الهجرة ، كان رجل دين ودنيا فى الوقت نفسه ، وكان يعالج أمر السياسة كما يعالج القضاء بين الناس ، ويشارك فى الحياة مشاركة الخبير بها العالم بدروبها ومسالكها .

فلعل فى حياته من الجوانب ما يحفز هممنا ناشئتنا ، ويدفعهم إلى الأخذ بأسباب الحياة حتى يكونوا مثلا تحتذى ومنارات هادية للأجيال من بعدهم .

محمد ابراهيم الجيوشى

الدين للضرورة أم للكمال؟

للأستاذ محمد فتحي عثمان

هل كان الدين وقاء للإنسان البدائي - فحسب - يستحثه جهوده - ويعالج مخاوفه ، فإذا استطاع الإنسان أن يقضي حاجاته المعيشية عن طريق التعامل مباشرة مع سنن الكون وكشوف العلم ونظم الاجتماع والاقتصاد والحكم فقد صار الدين (غير ذي موضوع) !

كثير ممن يتظاهرون بالإنصاف يقولون هذا . . . ويجعلون الدين (ذا فضل تاريخي) قد مضى زمنه ، واستنفد أغراضه . وغدت الإنسانية نستطيع أن تحقق بوسائلها الحاضرة من رغد العيش وسعادة النفس ما لا تحتاج معه إلى دين يتحدث عن المغيب المجهول !

والحق أن الدين لا يستهدف الحفاظ على قوى الفرد ونوع الإنسان فحسب ، بل السمو بها وترقيتهما أيضا . . . ولنتناول الإسلام مثالا على تحقيق هذه المهمة بشطريها .

إن الدين يقضي ضرورات العيش . . يحفظ (للإنسان) كنوع مستوى يليق به « لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم » ، « ولقد كرمنا بني آدم ، وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » . وهو يقرر لكل إنسان حقه في العيش الكريم . مؤمنا كان أو كافرا ، مخلصا أو جاحدا ، « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم لا يبخسون » ، « من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد . ومن كان يريد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا . كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا » .

وعلى هذا الأساس الفلسفي الاعتقادي قررت شريعة الإسلام حقوق غير المسلمين المعاشية في دولة الإسلام ، وفرض عمر بن الخطاب من بيت المال ليهودي رآه يسأل : الجزية والحاجة والسن ، وضمن خالد بن الوليد في عهده لأهل الأقاليم المفتوحة : أيما شيخ عجز عن العمل ، أو أصابته آفة من الآفات ، أو كان غنيا فافتقر ، وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته ، وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله .

وهذا الميدان من ميادين الدين ، يشترك فيه دعاة الدين مع دعاة الإصلاح من كل لون . قد تكون الدعوة إلى إصلاح الدنيا عن طريق

الدين أعمق جذوراً ـ لأسباب سنتناولها بعد وقد عرضنا لبعضها فى مقالات سابقة ـ ولكن موضوع الدعوة نفسها : وهو تحقيق ضرورات المعاش من مأكل وملبس ومأمن يشترك فيه الدين مع كل داع إلى الخير والمعروف والإصلاح « واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض ، تخافون أن يتخطفكم الناس . فآواكم ، وأيدكم بنصره ، ورزقكم من الطيبات » ، « فليعبدوا رب هذا البيت ، الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » .

لكن الدين يرقى بالحياة ويسمو بالانسان إلى الكمال . . إنه لا تستغرقه معركة القوت والأمن ، بل يتولى تعميق الجذور وتوسيع الآفاق .

وبراءة الانسان من ضغوط الضرورات والحاجات لا تغنى عن الدين ، بل تزيد التشوق إليه . إن الانسان حين يأكل ويأمن يستطيع أن يفكر فى هدوء . وقد تخلص من شغب المسغبة وإلحاح الحاجة .

وقضية الدين قضية فكر ونظر ، وتأمل وتبصر « أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا » . . « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون » ، « أم خلقوا من غير شىء . أم هم الخالقون » ، « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » ، « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ، فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك ، إنما يخشى الله من عباده العلماء » ، « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » !

وأنى لمن تستهلكه مطالب القوت ، وهو يعيش من يده لفمه ، تهدده قرقرة البطن ومتربة العيال ، وأنى لمن تفزعه سياط الجلادين ومقارع الطغاة ... أنى لهذا أو ذاك أن يجد فسحة وقت وهدوء بال وحصافة عقل وحصيلة علم ليفكر فى الديانات والمذاهب والآراء ؟

يقولون إن هؤلاء الجياع العراة هم طليعة المتحمسين للدين ، المضحين من أجله ، المستشهدين فى سبيله ... ويقولون إن هؤلاء (الشهداء) آمنوا فى يسر بالآخرة لأنهم لم يجدوا ما يخسرونه فى الدنيا . . .

والحق أن شهداء العقائد والديانات جموع لا نستبين كل أفرادهم ، وقد يكون فيهم كثير أو قليل من الضائقين بحياتهم ، ولكن الذى لاشك فيه أن بين هؤلاء الأتباع أصحاب نظر وفكر ، وجاه وثراء ، وصدق وشجاعة ، آمنوا بالدين إيمانا لم يكونوا يفرون به من واقع مهيض إلى خيال عريض !!

إن بولس فى تاريخ المسيحية علم خفاق ... كان موظفا رومانيا قد ضمن عيشه وكره المسيحية حتى كان أداة فى حملة اضطهادها ... وبولس هذا آمن بالمسيحية فكان إيمانه عجيبا رائعا . وتردد (أعمال الرسل) التى تلى الأناجيل الأربعة رحلاته وكلماته ومجادلاته ، فترى فيها قوة العارضة وبراعة المناقشة ... وما أروعه وهو يجادل الموظفين الرومان الذين يتصدون لحركته ويحاولون أن يحولوا بينه وبين الجماهير ! وما أبلغه وهو يطالب بحقوقه كاملة كمواطن رومانى !

هذا رجل حققت له وظيفته فى دولة الرومان ضرورات العيش والأمن ... ورأى فى المسيحية ما هو أبعد وأعمق وأجل من مجرد العيش والأمن !

وجيوش الإسلام المظفرة قد يكون فيها طلاب الغنائم أو الضائقون بحسرات حياتهم الدنيا ... ولكن لم تلمع أسماؤهم مثلما لمعت أسماء أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وعبد الله ابن عباس ، ومعاوية وعمرو بن العاص وابنه عبد الله ... هؤلاء الذين لم يؤمنوا بإيحاء الوعود البراقة واستهواء التهرب من شقاوة العيش ... وكم تسعد الإنسانية حين يكون المؤمنون أمثال هؤلاء الصادقين ... ولا يكونون من أتباع كل ناعق الذين يتطلعون لأى تغيير !

ودعاة الدين لا يضيقون بالمدنية والحضارة التى خففت عنهم أعباء معركة العيش والأمن ، إنهم يعتقدون أن هذه المدنية والحضارة قد أسدت إليهم خدمة كبرى ... إنها نعمة من نعم الله السابغة التى سخر بها للإنسان ما يسد حوائجه لكى يجد الجهد والوقت اللذين يستخدمهما فى إعمال فكره واستخدام عقله وتحقيق إنسانيته .

* * *

مهمة الدين إذن مزدوجة ... وهى تحقق للناس الضرورات لكى يجدوا الفرص ليفكروا فى الكمال ... إن دولة الإسلام دولة العدالة والرخاء حتى يرتقى مستوى البشر عن أن يكون صراعا من أجل اللقمة أو فرارا من الأذى والضيق لا غير ! !

والدين يهيب بالعلماء أن يكتشفوا ويخترعوا ، لتسخير الطبيعة بقواها فتوفر من جهد الإنسان ، ويهيب بالحكام أن يعدلوا ليأمن الناس المظالم والمغارم فيفرغوا للإنتاج والإبداع ويهيب بالناس جميعا أن يتناصفوا لتخف ضغوط الحاجة وشرور التنازع والخصام وإن هذا الحد لا ينفرد الدين بالعمل ، ولا بأنى الوحى للاقتصار على هذا المجال . فالإنسان قد سعى طويلا وكسب طويلا فى هذا السبيل . والدين لا يخاصم ثمار الجهود الإنسانية فى العلم والتنظيم التى يسرت

الحياة أيما تيسير ، ولا يعتبرها انتزعت منه ميدانا ـ بل إنها وفرت عبئا لم يكن من مهمته الأصيلة ، ولا ينظر إليها أنها أقفلت أمامه القلوب ـ بل إنها فتحتها أمامه على مصاريعها بما وفرت عليها من الشواغل والهواجس والهموم .

يقول تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ... يعبدوننى لا يشركون بى شيئا » ...

وهذه الآية كما توحى بأن المؤمنين إذا عبدوا الله مخلصين له الدين استخلفهم فى الأرض ومكن لهم الدين ورزقهم الأمن بعد الخوف ... توحى كذلك بأن استخلاف المؤمنين والتمكين لهم تحقيق للحرية والسلام والسعادة ومن هنا يعبد الله فى الأرض دون فتنة ولا صد بإغراء أو رهبة ، كأنه قيل : ما لهم يستخلفون ويؤمنون ؟ فقال يعبدوننى موحدين ، كما ورد فى تفسير النسفى .. وعلى هذا يمهد الاستقرار الاجتماعى والاقتصادى والسياسى الطريق أمام حرية الفكر والضمير فى عبادة الله ، ويأمن الناس من فزع الناس فلا يعبد فى الأرض غير الله ، ولا يستعلى على خلقه إلا العزيز الجبار المتكبر ، وهو الواحد القهار .

« والمقصد العام للشارع من تشريعه الأحكام هو تحقيق مصالح الناس بكفالة ضرورياتهم ، وتوفير حاجياتهم وتحسيناتهم ... وكل فرد أو مجتمع تتكون مصلحته من أمور ضرورية ، وأمور حاجية . وأمور كمالية ، مثلا الضرورى لسكنى الإنسان مأوى يقيه حر الشمس وزمهرير البرد ، والحاجى أن يكون المسكن مما تسهل فيه السكنى بأن تكون له نوافذ وأبواب ، والتحسينى أن يجمل ويؤثث وتوفر فيه وسائل الراحة ، وهكذا طعام الإنسان ولباسه وكل شأن من شئون حياته . والبرهان على أن كل حكم فى الإسلام إنما شرع لإيجاد ، وحفظ واحد من هذه الأمور الثلاثة هو استقراء الأحكام الشرعية الكلية والجزئية ...» (خلاف : أصول الفقه)

ولكن ماذا بعد هذا ؟

ما الذى يريد أن يحققه الدين فوق كفالة الضرورات ؟ ؟

« يريد إطلاق الفكر الإنسانى ...

إن الاعتقاد تفكير ، وطريق الإيمان هو التبصر فى آيات الله فى الآفاق ، وقد خاطب الله الذين يعقلون ويتفكرون ويتدبرون ... ولن يوجد هؤلاء إلا إذا تحققت خصائص الانسانية التى تتفرد بها فى مستواها الرفيع . وكم يسخر القرآن من الذين حجروا على عقولهم ، وغللوا

تفكيرهم ، وقنعوا بأن يكونوا أسرى الهوى أو السلطان (١) .

ويريد الدين تحقيق راحة النفس الإنسانية ... عن طريق إحكام الرابطة بين الفكر والوجدان ، بين المنطق والعاطفة ، بين العقل والروح ... فتنمو النفس بسياحة العقل فى محاولة كشف العلاقات ، والتعمق إلى ما وراء الجزئيات ، وتهتدى إلى موضع الإنسان من الأرض ، وموضع الأرض من الكون ، وموضع الكون فى قصة الوجود والفناء ...

« وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم معرضون » .

« قل هذه سبيلى أدعو إلى الله ... على بصيرة ... أنا ومن اتبعنى » .

« أفلم يسيروا فى الأرض ... فتكون لهم قلوب يعقلون بها . أو آذان يسمعون بها ... فإنها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » .

« وتلك الأمثال نضربها للناس ... وما يعقلها إلا العالمون . خلق الله السموات والأرض بالحق . إن فى ذلك لآية للمؤمنين » .

« أو لم يسيروا فى الأرض ، فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ... كانوا أشد منهم قوة . وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها ... » . « كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا فى الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون » .

وهكذا يستريح الإنسان فى السراء والضراء حين يعلم سنن الكون وحكمة الخلق « إن تكونوا تألمون ، فإنهم يألمون كما تألمون ، وترجون من الله ما لا يرجون » .

وحتى فى باب تحقيق الضرورات للدين خصائصه ومميزاته التى تعمق الإفادة من آثار العلم والتنظيم:

فهو يجعل مطالب الحياة الكريمة من فرائض الدين ويوكل الكفاح من أجلها وصيانة ثمارها إذا الكفاح إلى حراسة العقيدة ... فلا يكون هناك تعارض بين الدين والدنيا . ولا تناقض بين احتياجات المعاش وقضايا الفكر والوجدان . والدين يرحب بكل جهود مثمرة تيسر المعاش للناس ولا يريد أن تستغنى البشرية بالوحى والدين عن العقل والاجتهاد .

وهو إذ يضع الإنسان فى مستواه الرفيع فيقرن بين تحقيق ضرورات الحياة المادية والاستجابة لأشواق النفس الإنسانية ... يسوى بين كل أفراد النوع الإنسانى فى تقرير هذه الحقوق وتحصيلها لأن الجميع عباد الله .

فذلكم الله ربكم الحق ...

فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟

فأنى تصرفون !

فتحى عثمان

(١) مقال : أصول الحرية فى منهج التفكير الإسلامى ـ مجلة الأزهر صفر ١٣٧٧ هـ .

جزيرة لامو

مركز الثقافة الإسلامية فى شرق إفريقية

بقلم : ابن سليم

١ — تعريف :

جاء العرب إلى شرق أفريقا — ما بين بوغاز باب المندب شمالا وسوفاله جنوبا — كما سبقت إليه هجرات كثيرة من آسيا وخاصة من الهند منذ عهود مغرقة فى القدم ، كما كانت مصر ترسل سفنها التجارية إلى هذه المنطقة التى كانت تعرف ببلاد (بنت) للحصول على العطور المختلفة وغيرها . وكان سكان جنوبى غرب وجنوبى شرق الجزيرة العربية وسكان الخليج الفارسى يتنقلون إلى شرق إفريقية ، وأخذت هذه الهجرات تتزايد وتشترك فيها مجموعات من التجار من الصين والهند وبلاد الشرق الأقصى . وعمل العرب على احتكار وساطة التجارة بين الشرق والغرب وذلك بنقلها إلى البحر المتوسط ، الأمر الذى خلق مشكلات أخذت فى التطور مع التقدم الحضارى الذى أكسبها ألواناً من الصراع .

وبدأت تجارة العرب بقيام «مدن الولايات» التى كانت تقوم فى الجزائر الواقعة على الساحل الإفريقى وذلك لتأمينها من غزوات الإفريقيين ، وتطور وضع هذه الولايات نتيجة للحروب التى كانت تقوم بين المدن فسيطر القوى منها على الولايات الضعيفة . فنشأت سلطنة أسرة المخزومى فى شرق «شوا» فى أثيوبيا . وسلطنة المظفر فى مقدشيو الخ . الخ .

ويتكون أرخبيل «لامو» أو — أم — كما يسميها أهلها من مجموعة من الجزائر المرجانية القريبة من الساحل الإفريقى الذى تقوم عليه سلطنة ويتو . وتقع جنوبى كسايو مركز الباجونى الذين يسكنون الجزائر الساحلية ، ويسكن جزء منهم على الساحل . ولهؤلاء الباجونى صلات وثيقة مع مصر ، لا محل للتعرض لها الآن . وتقع لامو شمالى ملندى . ويخرج من الشاطىء المقابل لجزيرة لامو طريق القوافل التجارية الذى يدخل البلاد فى حذاء نهر التانا . وتميزت منطقة لامو بموقعها على الطريق البحرى الموسمى للتجارة .

وقد تعرضت لامو لأحداث تاريخية

بسبب الأمراض الفتاكة وبسبب الحروب التى كانت تؤثر فى وضع مدن الولايات . ولامو اليوم مدينة بنشأتها إلى سلطان زنجبار وكانت مدينة لامو غنية تضرب بها الأمثال فى الثراء ، وبخاصة مدينة ولاية جزيرة بتى التى كان عظماؤها يستخدمون السلم المصنوع من الفضة المعمود عليه إلى أسرتهم المصنوعة من سن الفيل . وقد أسهمت لامو بنصيب وافر فى تزويد لهجات اللغة السواحلية القديمة بما أدخلته عليها من كلمات كما أخذت هذه اللغة من لهجة القصر فى بتى . وتطورت فى لامو صناعاتها الخاصة ومنها الحفر على الخشب والمنسوجات الملونة وذلك فى القرن الثامن عشر الميلادى .

٢ — الثقافة الدينية :

اهتم الوافدون من العرب بإنشاء المدارس للتعليم ولنشر الرسالة الإسلامية واتخذ الفقهاء الذين أسندت إليهم مهمة القيام بهذا العمل مدارسهم أو بمعنى أدق كتاتيبهم فى أكواخ من القش أو فى المساجد الكثيرة العدد فقد وجد بلامو تسعة عشر مسجداً . وتقام صلاة الجمعة فى مسجد واحد يقوم فى القسم الشمالى من المدينة . والمدينة مقسمة قسمين أولهما شمالى ويعرف بالمكامونى ، والثانى جنوبى ويعرف بالأنتونى . وتسكن القسم الشمالى العائلات القديمة العريقة ومن بينها بيت الأمويين الذى جاءوا إلى هذه المنطقة بأمر من الخليفة عبد الملك بن مروان الذى يقال إن ابنه حمزة قد قام بنشر الديانة الإسلامية

ويقوم من البيت الأموى هذا فقهاء يتولون صلاة الجمعة ، وصلاة الاستسقاء عندما يتأخر المطر . وقبل اليوم المحدد لصلاة الاستسقاء يخرج مناد إلى البلد ومعه مزمار يطلب من الأهالى المساهمة فى شراء ثور وإعطاء الخبز لإعداده للأكل ، وفى اليوم الثانى يسحب الثور من أمام مسجد (موانا لالو) فى القسم الشمالى ؟ وبعد أن يؤخذ إلى الجانب الشمالى من المدينة يذبح بعد الصلاة ، ويكون ذلك تحت ظلال شجرة معينة من نوع البوباب — (العبارة بلغة السودان) ويدفن العظم ومالا يؤكل من الأحشاء ملفوفين فى الجلد بالقرب من الشجرة . وفى الماضى كان أخذ أى جزء من اللحم إلى المدينة يعتبر كارثة كبرى .

ويعرف هؤلاء الأمويون الذين يمارسون سدانة مسجد الجمعة وصلاة الاستسقاء باسم « الماخطيب » — من كلمة خطيب — أى المبشر برسالة الإسلام .

وتطورت شئون الدراسة الدينية ، كما تطورت قراءات المولد النبى الشريف ، فكانت قراءة مولد البرزنجى ، ثم انتقل إلى قراءة المولد الذى كتبه حبيب على الحبشى . — وكلمة حبيب عنده معناها السيد أو الشريف —

ولهؤلا. نفوذ كبيرة فى مدينة لامو فى المنطقة التى يسكنها الباجون شماليها .

وأراد حبيب صالح فى عام ١٨٨٥ م تقريبا إنشاء مدرسة دينية فى لامو ، فأقام كوخا من القش ، ومن ثم أنشأ معهده الدينى : « المدرسة الجامع » الذى أطلق عليه اسم رباط الرياضة ، لتعليم العلوم الدينية والرياضية ، وجانب من علم السحر والملك. وتقوم العلوم الدينية أساسا على التصوف ـ ولا يعلم بالضبط التاريخ الذى أنشىء فيه هذا المعهد . وقد توفى العلامة ، حبيب صالح ، فى ٦ إبريل من عام ١٩٣٥ عن عمر زاد على الثمانين عاما ويتمتع هذا المعهد الدينى بالسمعة الطيبة والاحترام ، ويحضر إليه سنويا فى ذكرى مولد النبى صلى الله عليه وسلم جماعات كثيرة من الباجون والصومال والجالا . والعرب والسواحلية والهنود المسلمين من ممباسة وزنجبار دار السلام ، وبمبا وغيرها من المناطق المجاورة .

ولهذا المعهد نشاط فى نشر الرسالة الإسلامية بين المذاهب الأخرى كالأباضية التى استطاع أن يعيد مجموعة منها إلى السنة المحمدية .

ويتولى التعليم فى المعهد ابن حبيب صالح ويدعى حبيب أحمد بدوى. وهناك مشكلات كثيرة تواجه هذا المعهد فى تأدية رسالته الدينية، فهناك الاسماعيلية والقاديانية. ولهذه أساليبها الخاصة فى نشر دعايتها الشيشيرية . وهنالك محاولات لإنشاء معاهد دينية أخرى فى كينيا وتنجانيقا. وكل هذه المحاولات جديرة بالأخذ مبين الاعتبار والدراسة لتقوية الدعاية الإسلامية فى ذلك المحيط .

بن سليم

« بقية المنشور على صفحة ٨١ »

وسأله آخر عن لحم الشيطان فقال : نحن نرضى منه بالكفاف .

وكثيرا ما كانت تغلب عليه روح الفكاهة فيداعب من يلقاه فقد مر به خياط . فقال له : عندنا حب مكسور تخيطه ؟ فقال الخياط: إذا كان عندك خيوط من ريح .

ودخل عليه رجل مرة البيت ومعه امرأة. فقال : أيكما الشعبى فقال الشعبى : هذه .

هذا هو الشعبى مثال رائع للمثقف الإسلامى فى القرن الأول من الهجرة ، كان رجل دين ودنيا فى الوقت نفسه ، وكان يعالج أمر السياسة كما يعالج القضاء بين الناس ، ويشارك فى الحياة مشاركة الخبير بها العالم بدروبها ومسالكها .

فلعل فى حياته من الجوانب ما يحفز هممنا ناشئتنا ، ويدفعهم إلى الأخذ بأسباب الحياة حتى يكونوا مثلا تحتذى ومنارات هادية للأجيال من بعدهم .

محمد ابراهيم الجيوشى

العبادة فى الإسلام لا يجوز أن تصحبها الموسيقى

للأستاذ مصطفى أحمد الزرقا

نقل إلى أستاذ فى جامعة دمشق سؤالا من أحد الموسيقيين الأجانب الذين اعتنقوا الإسلام حديثا : « إنه لمزيد إعجابه بتلاوة القرآن العظيم وتأثره بترتيله يريد أن يصوغ بعض سور القرآن فى مقطوعات من الموسيقى المجردة الصامتة على طريقة السمفونيات ، بحيث تكون القطعة الموسيقية الواحدة معبرة بألحانها عن السورة الفلانية وتخلدها فى لحن فنى » وذلك لأن الرجل من الموسيقيين البارعين ، فيريد أن يخدم القرآن من ناحية اختصاصه الفنى ، فهل هذا العمل مستحسن من الناحية الإسلامية ؟ » .

وقد أجبته بأن هذا العمل لا يجوز شرعا ؛ فالقرآن خالد بإعجازه القائم على بلاغته وصياغته وحقائقه العليا وحكمته وإحكامه . وليس خلوده قائما على الألحان والأنغام .

قال الأستاذ : وما حكمة هذا الحظر ؟ وبماذا نقنع مثل هذا الرجل بأن الموسيقى لا يجوز أن تدخل فى العبادة الإسلامية ؟ فقد يقول لنا : أليس القرآن يرتل ترتيلا فى الصلاة ، وهذا الترتيل فيه من الموسيقى ما يزيد القرآن روعة وتأثيرا . فإذا دعنا موسيقى التلاوة بموسيقى خارجية تصاحبها وتقويها لا تكون قد أدخلنا شيئا غريبا ليس له أصل فى نظام عبادتنا . فما هى حجتنا المقنعة فى الموضوع ؟

قلت لصاحبى : إن الحجة نجدها فى الرجوع والنظر إلى نظام العبادة فى الإسلام .

فنظام العبادة فى الإسلام قد بنى على أساسين :

الأساس الأول يتعلق بغاية العبادة ، والثانى بطبيعتها :

(ا) فأما الأساس الأول فإننا نجد أن الإسلام قد بنى عباداته على أساس يكفل قيادة المكلف إلى غاية روحية يتحقق له فيها إصلاح نفسه لتكون عنصرا طيبا نافعا فى هذا المجتمع البشرى ينفع بالخير والنصح ، ويتوقى الشر والضر ، وذلك عن طريق محاسبة النفس ومراقبة الله واليوم الآخر .

ولذلك جعل الإسلام بعض عباداته يجب مرة فى العمر كالحج ، وبعضها مرة فى السنة كالصيام والزكاة . وبعضها يتكرر كل يوم عدة

مرات كالصلاة . والأصل فى العبادة التكرر لأن الغاية منها التذكر للواجبات بمراقبة النفس والتوجه إلى الله تعالى كى يسمو الانسان سموا ووحيا يتغلب فيه جانب الخير على جانب الشر .

ولذا كان فى الاسلام عبادات ذات غاية سياسية واجتماعية كالحج والزكاة ، لأن غاية العبادة تمحيض المكلف لخير نفسه وخير المجتمع عن طريق التصفية الروحية ومحاسبة النفس ومراقبة الله والتحذير من المصير الأخير

وبحسب المشقة الطبيعية فى العبادة يكون التكرر فيهما :

فالحج مرة فى العمر لما فيه من سفر ونفقة ووقت .

والزكاة سنوية لتعلقها بنماء المال ، وهذا النماء دورته الطبيعية سنوية .

وصيام الشهر دورة سنوية أيضا لأنه لو كان مستمرا لأصبح طبيعة عادية ، فيزول الاحساس به ولا تتحقق وظيفته الروحية والصحية والاجتماعية . أما الصلاة فهى الأخف عبئا من حيث المشقة ، وهى الأكثر ذكرا ومناجاة لله تعالى وتوجها إليه ، ولذا كانت متكررة فى اليوم الواحد مرات

وقد جعلت لهذه العبادات مراحل أساسية هى الفرائض فى دوراتها العمرية أو السنوية أو اليومية ، وترك ما يزيد عنها للتطوع بصورة يحفظ فيها حق النفس فى الحياة ودواعيها ولوازمها كما يحفظ حق الله ، وحق الأسرة ، وحق المجتمع ، دون أن يطغى فيها جانب على جانب . فإن جار المكلف على أحد هذه الجوانب لأجل الآخر أصبحت عبادته معصية ، كما لو أهمل نفسه فى سبيل العبادة . أو أهمل زوجه أو ولده ، وفقا لقول الرسول عليه السلام لمن انقطع للعبادة : « إن لنفسك عليك حقا ، ولزوجك عليك حقا ، ولربك عليك حقا . فأعط كل ذى حق حقه »

وبما أن دواعى الأهواء والشهوات والأطماع والمغريات وسائر أسباب الغفلة عن الله كثيرة متكررة فإن الصلوات الخمس إذا أديت بخشوع وتدبر كفيلة بأن ترد الإنسان الى الجادة ، وتذكره أو تنبهه كلما حدثت له غفلة ، ليبقى دائما مع الله تعالى : وفى الوقت نفسه وسع الاسلام مفهوم العبادة فجعل الاستمتاع واستيفاء الحظوظ من مطعم ومشرب وزواج وراحة ونزهة وغير ذلك من المتع الحلال كلها تصبح عبادات إذا استوفاها الانسان بنية الطاعة ، أى على أساس أن الله أباحها وأنها وسيلة لتقوية نفسه على القيام بالواجبات .

وبذلك تكون جميع المتع اللذيذة المباحة هى من المؤمن المتذكر عملا إنسانيا ملحقا بالعبادات . وتكون من غير المؤمن عملا

حيوانيا ، كما يقول الله تعالى: « والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام » وذلك بحسب الفكرة النبيلة أو الوضيعة التى تصاحب الاستمتاع .

فالمهم أن يكون المؤمن دائما مع الله غير غافل عنه .

(ب) وأما الأساس الثانى المتعلق بطبيعة العبادة فإن الإسلام أراد أن يجعل العبادة عملا عقلياً وتفكيراً بعد ما أصبحت فى كثير من المذاهب الوثنية وغيرها مراسم شكلية أو أنغاما موسيقية .

فقد انتشرت قبل الإسلام وبعده إلى اليوم طرائق التعبد بالموسيقى ، فاختلطت الأحاسيس والمشاعر الفنية الجميلة وما ينشأ عنها من نشوة وطرب ، وامتزجت بالعبادة ومناجاة الله ، بينما أن الاحاسيس الفنية والعبادة هما أمران متباينان .

فإذا أصبحت العبادة موسيقى وأنغاما حق للفاسق فى الملاهى أن يعد نفسه متعبداً بالنشوة والإحساس الفنى من الموسيقى التى يسمعها فى الملهى كمن يسمعها فى المعبد .

وهكذا ربأ الإسلام بالعبادة عن مستوى المراسم العمياء والطقوس الشكلية المحضة التى يقصد بها السيطرة على أوهام الناس دون معنى عقلى . كما ربأ بالعبادة عن النشوة والطرب الناشئين من العمل الفنى كالموسيقى ، وهذا سمو بالعبادة إلى مستوى رفيع يليق بالإنسان العاقل المتميز بعقله وتفكيره عن سائر المخلوقات .

ولذا نجد العبادات فى الاسلام تشتمل كلها على عنصرى التفكير والعزيمة الانشائية . فالتفكير والعزيمة هما من أركان العبادة فى الاسلام ، كما يتضح من الملاحظات التالية :

أولا : أن العبادات كلها أعمال إرادية تنشأ بها العبادة بعزيمة إنشائية ، وتنعقد انعقاداً فى نظر الشرع كما تنعقد العقود ، وتشترط لها شرائط ، وتخضع للصحة والبطلان كما تخضع العقود .

ثانيا : أن العبادات فى الاسلام تشترط فيها جميعها النية . والنية عمل عقلى باطنى وعزيمة فكرية .

ثالثا : أن هذه النية العقلية هى كل شئ فيما أسميناه « العبادات المحققة » وهى الأفعال الحيوية والمتع المباحة من مأكل ومشرب وزواج ومتنزه ، فتنقلها النية كما أشرنا ، من استمتاع حيوانى إلى عبادة عقلية . ولذلك يقول علماء الاسلام : « إن النية هى المميز الفارق بين العادة والعبادة » .

وتتجلى هذه الناحية التفكيرية فى جميع العبادات الاسلامية الاربع الأساسية : فالحج يقوم فيه المسلم بعمل فيه تفكير روحى واجتماعى وسياسى .

والزكاة والصيام تتجلى فيهما أجلى صور التفكير الروحى والاجتماعى .

والصلاة تبرز فيها وتتجلى هذه الصورة من العمل العقلى السامى أكثر من سواها . فهى كلها أدعية ، وأذكار ، وقرآن . ومناجاة ، وتضرع ، وتوجه إلى الله .

والأعمال والحركات فيها مناسبة للمعانى التى يرددها المصلى .

وأما الموسيقى التى تتجلى فى ترتيل القرآن فإنها التوقيع الطبيعى الذى يتجلى فى حسن القراءة وجودة النطق الصحيح والأداء المحكم فهى كالجمال الطبيعى والنظافة وحسن التجمل بالحدود الطبيعية ، فكل كلام حسن الأداء توجد فيه موسيقى طبيعية ذاتية . وهذا غير الموسيقى الخارجية الصناعية التى هى عمل فنى مستقل

وعلى هذا الأساس لا يقبل الاسلام أن تصاغ سور من القرآن قطعاً موسيقية ، كما لا يقبل أن تصحب العبادة موسيقى خارجية ؛ لأن العمل العقلى فى العبادة عندئذ يغيب تحت رداء النشوة الفنية ، فنخرج من حيز العبادة والفكر السامى إلى حيز الطرب الذى يكون حظ الحس فيه أكبر من حظ العقل ، كما قد يكون حظ غير المتعبد فيه أوفى من المتعبد ، فيضيع معنى العبادة .

ولذا نعى القرآن على الجاهليين أن صلاتهم عند البيت لم تكن إلا مكاء وتصدية ، أى مراسم من تصويت وتصفيق .

والخلاصة : أن الاسلام ميز بين الأحاسيس الفنية التى هى مشاعر نفسية غريزية لا صلة لها بالعقل والتفكير ، وبين العبادة المزكية للأنفس البشرية ويجب أن تكون تأملا وتفكيرا .

ولما رقى الاسلام بالعقيدة جعلها عقلية محررة من الأوهام والخرافات ، رقى أيضا بالعبادة فجعلها عملا عقليا ساميا وتأملا وتفكيراً ، وعزيمة ونية وتعبيرا .

مصطفى احمد الزرقا
أستاذ القانون المدنى والشريعة الاسلامية
فى كلية الحقوق من جامعة دمشق

ما يقال عن الإسلام

أديان الدعوة

للأستاذ عباس محمود العقاد

من التقسيمات المتواترة عند علماء المقارنة بين الملل والعقائد تقسيم الأديان فى العالم إلى أديان دعوة ، وأديان «مقفلة» أو محصورة فى بيئة خاصة ، وأكبر أديان الدعوة عندهم فى العصر الحاضر ثلاثة : البوذية والمسيحية والإسلام ، وأولها تحصر الدعوة اليه فى التلمذة ، ومصاحبة المريدين للأئمة والرؤساء فى الهياكل والصوامع ودور العبادة.

ظهرت فى العهد الأخير طبعة جديدة من كتاب « المطالعات فى الأديان العالمية » وجعلها أحد عشر دينا هى الهندوكية والشنتية واليهودية ، والزردشتية أو المجوسية والطاوية ، والكنفوشية . والجاينية . والبوذية ، والمسيحية والإسلام . والسيخية . ويقول الكتاب فى التمهيد للديانة الشنتية . Shintocsnr وهى ديانة أهل اليابان : « إننا رأينا فى ختام الفصل السابق إن الهندوكية هى الديانة القومية العنصرية للهنود . وانها تخصهم وحدهم وتخص بلادهم وحدها ، وليس لها مؤسس معين معروف ، بل ترجع نشأتها إلى ما قبل التاريخ ، فلنعلم إن الشنتية هى من هذا القبيل ديانة أهل اليابان ، فهى مقصورة على اليابانيين لا يعرف لها مؤسس معين منذ نشأتها قبل التاريخ ، وكلتا الديانتين لا عناية لها بالدعوة إلى الدخول فيها ، فكل منهما تعبير طبيعى لشعب خاص ، وجزء من ثقافة اجتماعية لا تتقبل الغرباء » .

ويعود الكتاب فيقول تمهيداً للكتابة عن الديانة اليهودية : « إن ديانة اليهود أيضا ذات ارتباط بشعب معين كما يؤخذ من تسميتها باليهودية أو العبرية ، وهى لهذا تشبه الهندوكية والشنتية فى أنها ديانة مقفلة أى ليست من ديانات الدعوة ، وإنما تختلف بأن الهندوكية والشنتية كلتاهما ديانة شعب

---

(١) كتاب مطالعات من كتب الديانات العالمية

مستقر فى وطنه منذ عهد بعيد . وأن اليهود تعرضوا للشتات غير مرة ، فوقعوا فى أسر مصر وبابل وفقدوا وطنهم بعد أن استولى العاهل الرومانى (تيتوس) على أورشليم سنة سبعين للميلاد . . . .

ولما عرض الكتاب للدين الإسلامى قال إنه دين دعوة وإنه لا يزال ينتشر فى القارة الإفريقية وبين الشعوب المتأخرة . ولكنه لم يحاول أن يبحث عن حقيقة الفارق بين أديان الدعوة والأديان ، المقفلة التى لا تعنى بإدخال الغرباء فى ملتها » . . إلا فارقا واحداً ذكره غير مرة وهو الفارق بين الدين الذى يعبر عن بيئة محدودة والدين لذى يسرى الإيمان به إلى أقطار لا تحدها المواضع الجغرافية أو الروابط العنصرية .

على أن الفارق الأصيل ظاهر ، بل مفرط فى الظهور . حتى ليكفى فى تلخيصه بضعة سطور ، غنية عن الإفاضة فى الشروح والإكثار من الأسانيد .

إن ديانات الدعوة مفهومة فى حالة واحدة وهى حالة الإيمان بالضمير الإنسانى واستعداد الإنسان فى مختلف البلدان والأجناس للإيمان بالتوحيد ، ولا يتأتى أن ينتشر دين دعوة يعم الناس جميعاً قبل أن يفهم الناس أن الدين هداية يتقبلها كل من له عقل يعى وضمير يميز بين الخير والشر وبين العمل الصالح والعمل الطالح بمعزل عن الحدود الجغرافية وحدود العنصر والنسب وأصول الأسلاف .

فالدين عند أصحاب الملل التى تدعو إليه عقيدة إنسانية تقوم على التوحيد وليس بصبغة محلية محدودة ، ولا بفريضة سياسية تمليها السلطة الحاكمة ، ويخضع لها الرعايا المحكومون .

هذا الفارق فى تطور الإنسانية واضح جدا لو شاء علماء المقارنة بين الأديان أن يستوضحوه . ولكنهم لا يشاءون ولا يحبون أن يشاءوا مختارين . لأن النتيجة المحتومة لو نظروا إلى هذا الفارق أن يرفعوا الإسلام إلى القمة العليا بين العقائد الدينية ، وأن يمتنع عليهم تعليل انتشاره بموافقته للشعوب المتأخرة كما يقولون كلما عرضوا لمسألة الدعوة والشيوع .

فالإسلام قد جاء للناس بعد أن بلغوا من التطور فى فهم الدين حد التمييز بين هداية الضمير وبين فواصل الأمكنة والأنساب ، فعرفوا أن « الحق الإلهى » محصول روحانى وليس بالمحصول الأرضى الذى يرتبط بالتربة كما ترتبط محاصيل الزروع والضروع .

وآية الإعجاز فى هذا « التطور » أن يطلع على العالم من بلاد العصبيات والأنساب ، وأن تكون له آيات بينات فى الإيمان بالعقيدة

الإلهية ، والإيمان بالنبوة ، والإيمان بضمير الإنسان .

فالله فى الإسلام هـــو « رب العـالمين » يتساوى عنده الناس ولا يتفاضلون بغير العمل الصالح .

والنبى فى الإسلام هو المبشر بالهدى والمنذر بالضلال ، وليس هـو بالمنجم الذى يكشف الطوالع والأسرار ولا بصاحب الخوارق ، والأعاجيب التى تشل العقول وتهول الضمائر وتخاطب الناس من حيث يخافون ويعجزون ولا تخاطبهم من حيث يعقلون ويتأملون ويقدرون على التمييز .

والإنسان فى الإسلام مخلوق عاقل ذوضمير مسئول يحاسب على عمله ولا تلحق به جريرة قبل مولده ، وبعد انقضاء حياته .

ولا حاجة إلى الإطالة فى المقابلة بين الأديان ليعلم المطلع عليها من قريب أن هدف العقيدة فى الله وفى النبوة وفى الضمير الإنسانى هى غايه التقـدم الذى ارتقى إليه الناس ، بعـد الديانات الجغرافية . والديانات العنصرية ، والديانات التى تنحصر فى بيئة ضيقة ، أو واسعـة ، ولكنها لا تحيط بجميع بنى الإنسان .

ولم يتهيأ بنو آدم وحواء لهذه المرتبة من مراتب الإيمان إلا بعد أطوار بعيدة يعجب لها العقـل الإنسانى كلما نظر إليها اليوم . كما يعجب لـكل ماض درج عليه الأولون وطال بهم عهده . وهو فى رأيهم الآن لم يكن ليحتمل البقاء بضع سنين لو حـكموا عليه يومئذ كما يحكمون عليه الآن .

فقد خطر لبعض بنى آدم قديماً أنهم وحدهم أصحاب الحظوة عند الله وأن أضعاف أضعافهم من بنى آدم الآخرين ملعونون محرومون !

وقـد خطر لبعض بنى آدم قـديماً أنهم ضائعون صالحين أو غير صالحين ، وأنهم كتب عليهم الموت لأنهم هالـكون ولأنهم يولدون .

وقد كانت الأديان يومئذ لاتحتمل الدعوة ولا معنى للدعوة عند أصحابها لأن الدعوة إنما تـكون للهداية الممكنة وللضمير الذى يقدر عليها ولا تـكون مع « الاحتكار » والاستئثار ، فى حدود ترسمها الجبال والبحار ، أو ترسمها سجلات الأنساب والآثار .

وها هنا مفترق الطريق التى سلـكها الاسلام بالعالم الانسانى . وكان من أجل هذا دين دعوة تهدى إلى ذلك الطريق .

* * *

ويتصل بأمر الدعوة كل مبحث يتناول عند المسلمين فى العـالم وتاريخ الدعوة إلى الاسلام فى الأزمنه الماضية وفى الزمن الحاضر ، كما يتصل بأمر الدعوة كل مبحث يتناول صلاح الاسلام للشيوع والاقناع وما ينتظر

من زيادة عدد المسلمين فى المستقبل بمختلف الوسائل التى تنتشر بها الأديان فى سائر الأزمان .

ولا يخفى على قارئ يطلع على هذه المباحث أن يلاحظ نفور أصحاب الاحصاءات من زيادة عدد المسلمين وإسراعهم إلى قبول التقديرات التى يزيد فى عدد أبناء الملل من غير المسلمين مع تحفظهم الشديد فى قبول التقديرات التى تكثر من عدد الداخلين فى الاسلام قديماً وحديثاً . ولا يشذون عن هذه القاعدة إلا إذا تعمدوا التهويل والتنبيه إلى خطر انتشار الإسلام فى المستقبل وضرورة المبادرة إلى اتخاذ الحيطة لهذا الخطر بوسائل التبشير والضغط السياسى أو الاقتصادى حيث يستطاع الاعتماد على هذه الوسائل بغير التجاء إلى المجاهرة بالعدوان .

وقد قرأنا فى مطلع القرن العشرين أن عدة المسلمين فى العالم مائة مليون ، وقيل فى بعض الاحصاءات المتأخرة أن عدد المسلمين فى الصين لا يزيد على عشرة ملايين ، ويقول الكتاب الذى نحن بصدده أن عددهم اليوم نحو ثلثمائة مليون ، ولكنه لا ينزل بعدد البوذيين عن خمسمائة وعشرين مليونا مع صعوبة التفرقة فى الاحصاءات العامة بين الطوائف البرهمية وبين البوذية فى الصين والتبت واليابان وبين البوذية على تعدد فروعها فى الهند الشمالية والهند الجنوبية .

ومن لاحظ تلك الأخطاء المعتمدة فى إحصاء المسلمين الأمير شكيب أرسلان صاحب التعليقات على كتاب حاضر العالم الإسلامى فقال فى باب إحصاء المسلمين : « . أما مسلمو الصين فلا تزال الأقوال متضاربة فى عددهم . فمن الجغرافيين من يحزرهم بعشرين مليونا ومنهم من يحزرهم بأكثر من ذلك بكثير ، وفى هذه الأيام لما وقعت الفتنة بين الصين واليابان من أجل منشورية أبرقت الجمعية الإسلامية فى الصين إلى أوربا بتلغراف احتجاج قالوا فيه إنهم يتكلمون باسم خمسين مليونا من مسلمى الصين ، ثم ورد تلغراف من طوكيو يرد على مسلمى الصين زاعما أنهم خمسة عشر مليونا لا خمسون مليونا ، وفيه أن فى منشورية مليونين من المسلمين ينزعون إلى تحرير منشورية ، ومما لا شك فيه أن التلغراف اليابانى بخس مسلمى الصين عددهم بما رأى من شدتهم على اليابان » .

ثم قال : « ولقد حزرنا عدد المسلمين فى العالم فى مجلتنا الأمة العربية التى نصدرها أنا وسعادة أخى إحسان بك الجابرى فى جنيف . . . وذلك بنحو من ثلثمائة وثلاثين مليونا . هذا على تقديرات مسلمى الصين عشرون مليونا فقط . أما إذا ثبت أنهم خمسون مليونا فيكون المسلمون ٣٦٣ مليون نسمة . وتفصيلها هكذا : الجزيرة العربية ١٢ مليونا ، سورية ٣ ملايين ، وفلسطين

وشرق الأردن مليون، والعراق ثلاثة ملايين ونصف، وتركيا أربعة عشر مليونا، وإيران عشرة ملايين، وأفغانستان تسعة ملايين، والهند الانجليزية ثمانية وسبعون مليونا والصين عشرون مليونا وسيام نصف مليون والروسية الآسيوية خمسة وعشرون مليونا. فهذه ٢٧٦ مليونا فى آسيا، والروسية الأوربية قازان والقريم أربعة ملايين ولتوانيا وبولونيا عشرون ألف نسمة ويوغسلافيا مليون ومائتان وخمسون ألفا، والمجر ثلاثة آلاف، ورومانيا مائتان وخمسون ألفا وبلغاريا نصف مليون، وبلاد اليونان مائة ألف، وألبانيا تسعمائة ألف، فهذه سبعة ملايين وثلاثة وعشرون ألفا.

ومصر مع سودانها ١٨ مليونا، وطرابلس سبعمائة ألف، وتونس مليونان، والجزائر خمسة ملايين، ومراكش ثمانية ملايين، والصحراء الكبرى ثلاثة ملايين، والحبشة ثلاثة ملايين، والغالا والصومال ستة ملايين، وشرقى افريقيا - زنجبار وسواحلها ودار السلام - ستة ملايين، والكونغو والأوغندة مليون، والإداموا والكمرون مليونان، وغينيا ونوتاجلون مليون، والسنغال مليون، وسلطنة سوكوتو خمسة ملايين. وبرنو خمسة ملايين ووادى خمسة ملايين، وكانم مائة ألف فهذه ثلاثة وثمانون مليونا فى أفريقية، والمستعمرات الهولندية أربعة وستون مليونا، والفليبين مليونان - فهذه ستة وستون مليونا فى البحر المحيط الباسفيك. فيكون جملة المسلمين ثلاثمائة وثلاثة وعشرين ألفا وثلاثين مليونا أما إن صح أن المسلمين فى الصين فيكون الجميع ثلثمائة وثلاثة وستين مليونا. هذا بالتقريب».

ومن المحقق بعد مراجعة هذه التقديرات أن العدد الذى أثبته الأمير شكيب أرسلان فى تعليقاته ينقص عن العدد الصحيح بكثير، لأن المقارنة بين تقديراته عند كتابة تعليقاته وبين الواقع فى الوقت الحاضر ممكنة على وجه الرجحان إن لم نقل على وجه اليقين. فالمسلمون فى الباكستان والهند يزيدون على مائة مليون والمسلمون فى أندونيسية وسائر البلاد التى كانت تابعة لهولندة يقاربون هذا العدد، وفى وادى النيل ما يزيد على ثلاثين مليونا عدا غيرهم من المتوسطين بين الوادى وشواطىء البحر الأحمر، وأبناء البلاد العربية فى القارة الآسيوية يزيدون اليوم على ذلك التقدير بنحو عشرة ملايين، فلا مبالغة إذا قدرنا عدد المسلمين اليوم فى العالم بأربعمائة وخمسين مليونا وأيقنا على الدوام بأن عددهم يزيد فى كل حقبة على كل تقدير أوربى يذيعه الساسة والباحثون فى شئون الدعوات الدينية. وأن زيادة هذا العدد مستمرة يقابلها أولئك الساسة والباحثون بالحذر ويذكرونها منذرين لأقوامهم بما يستفزهم إلى الحيطة ومقاومة هذا الازدياد المستمر حيث تستطاع المقاومة فى الخفاء.

وفى العلانية إن لم يكن لهم بد منها .

ونرجع إلى أديان الدعوة لنقول إن الإحصاءات الحديثة تحصرها فى ثلاثة أديان كبرى : وهى البوذية وعدة أتباعها على قولهم خمسمائة وعشرون مليوناً ، والمسيحية وعدة أتباعها خمسمائة مليون ، والإسلام ويختلفون فى عدة أتباعه بين ثلثمائة مليون على التقدير الأقل وأربعمائة مليون أو يزيدون على التقدير الراجح الموافق لأحدث الإحصاءات .

أما البوذية فلا ننظر إليها بكثير ولا قليل من الحذر ، لأن دعوتها محصورة فيها لتحويل أتباعها من النحل البرهمية الأخرى بوسائل التعليم التى قلما يبلغ متناولها الألوف فضلا عن الملايين ، ولم يحدث فى تاريخها القريب أنها حولت إليها أناساً من أبناء الديانات الكبرى بل حدث أحياناً كثيرة أن أتباعها يتحولون عنها إلى الإسلام أو المسيحية أو الجانية التى تلغى تعدد الطبقات وتناسب التفكير العصرى فى أطوار السياسة والاجتماع وفى العلاقات الدولية بين الشعوب والأقوام .

أما نظرة الحذر فهى ديدن المشتغلين بالتبشير والاستعمار كلما نظروا إلى شيوع الدعوة الإسلامية وسهولة انتشارها بالإقناع والقدوة مع اطراد عدد المسلمين فى الزيادة بازدياد النسل من حقبة إلى حقبة . كما يرى من الفارق بين عدد المسلمين فى أواخر القرن التاسع عشر وعددهم فى منتصف هذا القرن العشرين .

وإذا خصصنا المبشرين والمستعمرين بالذكر فى نظرتهم إلى أديان الدعوة وإلى الدين الإسلامى منها على التخصيص فلا ينبغى أن ننسى أولئك الباحثين فى حقائق الدعوات الدينية على التعميم ، فإنهم لو أخلصوا البحث للعلم والحقيقة لما فاتهم عند المقابلة بين أديان الدعوة والأديان المقفلة المحدودة أن يقرروا النتيجة العلمية التى يخلصون إليها من مباحثهم جلية واضحة لا تخفى على طالبها ، ولكنهم لا يطلبونها ولا يستريحون إليها ، لأنها تبشرهم أن انتقال الأديان من الملل العنصرية إلى ملل الدعوة ظاهرة تدل على الانتقال من العقائد الجغرافية المحلية إلى عقائد الضمير الإنسانى وعقائد التنزيه والتوحيد ، وأن الإسلام قد ارتفع بالضمير والتوحيد إلى أعلى مرتقاهما بما يهدى إليه فى العقيدة الإلهية وفى رسالة النبوية وفى الإيمان يرشد الضمير الإنسانى الذى يسأل عن عمله ولا يحمل وازرة غير وزره ، وليس فهم التطور فى أديان الدعوة على هذا الوجه مطلباً يسعى إليه من يريدون أن يعللوا شيوع الإسلام فلا يستريحون إلى علة غير ما يزعمونه فى موافقته للأمم المتخلفة ، ولولا أنها علة تريحهم وتلائمهم لكان أقرب منها إلى مشاهدات الحس - فضلا عن تفكير العقل - إن الإسلام حقيق بالانتشار والإقناع لأنه خاتمة التطور فى أديان الدعوة وفى أحوال العالم الانسانى بعد أن بلغ إلى مرحلة الوحدة الانسانية ومرتبة الهداية المطلقة المتحررة من حدود الأقاليم والأنساب ؟

عباس محمود العقاد

مختار من الشعر القديم والحديث

هجرة الرسول

للأستاذ أنور العطار

يا سيد الخلق يا نور الوجود سرت ... بأضلعي اليوم من نجواك أصداء
رفت حياتي بها بشراً وزغردة ... فالقلب تسبيحة في الثغر سجواء
من جود كفيك أنغامي وأخيلتي ... ومن سخائك للعافين إغناء
أحببت فيك قريضي حين قربني ... إلى حماك فشعري منك إدناء
وبحت بالحب في سري وفي علني ... ولذلي في هواك السمع إفشاء
لولا هواك لما أبدعت قافية ... والكون لولا الهوى بهماء جرداء
والقلب لو لم يعذب لم يصغ نغما ... إن العذاب لمتلاف ومعطاء
وأنت أيقظت في الحب فانتشرت ... على محياي أفراح وآلاء
وأنت أغنيتني حساً وعاطفة ... كأنما أنا إلهام وإيحاء
وأنت فجرتني حبا ومرحمة ... فليس يعلق بي حقد وبغضاء
وأنت صفيتني كالنبع منسكباً ... والنبع مذ كان أنغام وصهباء
وأنت أزهدتني في الناس كلهم ... فهجر أطماعهم للنفس إبراء
مالي وللناس لا أحيا بألفتهم ... وإنما أنت لي بعث وإحياء
مذ هام قلبي بكم ما اختار غيركم ... ولا صبا ، وقلوب الناس أهواء
أقضي ليالي في نجواك منفطراً ... كما تفطر بوم الوحي سيناء
كأنما خاطري شدو رهينة ... وجنة من جنان الخلد غناء
شدت لها الورق ألحانا مسلسلة ... فصفقت في شعاب الدوح أحناء
ظلت تنغم في صدري وفي خلدي ... قصيدة من دموع القلب عصماء

الكون ما الكون ؟ شطر من روائعها والمصطفى روحها والناس أجزاء
رنت إليها الدراري في مباهجها وفاض منها على الأيام نعماء
وبش في الفجر إصباح يمور سنا وهش في عتبات الليل إمساء
تلكم رغادة دنيا قد كلفت بها أولت نداها وكم للسعد إبلاء
أملت عليّ بليغ القول محكمه إن البلاغة إيحاء وإملاء
كانت بصدري أسراراً مغلقة ما إن يعاودها بوح وإفضاء
ما أفصح الشعر عنها حين أعلنها وكيف يفصح تلميح وإيماء

* * *

يا هجرة لك فاضت همة وعلى يشدها خافق بالعزم مضاء
تركت مكة والأحلام تغمرها وللطفولة أطياب وأشذاء
والقلب رهن الحمى ما انفك مدّلها به وللأرض أشواق وأصباء
إن غبت عنها يراها الشوق واحتدمت نيرانه واستفاق الجرح والداء
وعشت دهرك في تذكارها وتراً له الهوى نغم في الصدر بكاء
كلا كما ذاب تهياما بصاحبه والأرض أم وأهل الأرض أبناء
والمرء ما زال حنانا إلى وطن وإنما وطن القلب الأحباء
إن عاش عاش بهم حتى إذا رحلوا فإنما هو أصداء وأنباء

* * *

وأنت في الغار والصديق لفكما من جانب الله تثبيت وإرساء
مشت عناكب تحميه منا نجها وتدفع البغي ، والعدوان مشاء
وأرسلت سرحة أفنانها فنمت على مداخله فالنار أفياء
وأقبلت من بنات الدوح ساجعة كأنما الغار عش فيه ورقاء
لا الظن حام على الغار الحبيب ولا بدت من الشك للسارين سيماء
وكان يحميه من بغي العدا قمر تدرع الطهر إن الطهر أبا
من كان يعلم أن الظبية اتشحت بما ينوء به العد الأشداء
ففي النهار غدت عيناً مراقبة ما حاكه في غمار الكفر أعداء
وفي المساء استحالت رحمة وندى على النطاقين منها الزاد والماء

بالنفس والأهل والدنيا وما حفلت ... جناتها من مجالى السحر أسماء
ذات النطاقين أسماها الرسول بما ... أسدت يداها ، والإحسان إسداء
باتت على الغار ترعاه وتحرسه ... كأنها مقلة بالسهد كحلاء
أغفت عيون الدرارى فى مطالعها ... وما لعين الهوى والحب إغفاء
حتى إذا غمر الليل الشعاب ولم ... يبن على الرمل فى الليل الأدلاء
نشطت للسير والصديق فى ملأ ... من الملائك ، والإيمان حداء
يرعاكما الله فى حل ومرتحل ... ويثرب القصد ، والأهل الأولاء
وحين أشرفت ماجت بالسرور كما ... تلألأت بفريد الموج دأماء
هبت تلقاك أنجاداً وأودية ... وكم تشوقك أنجاد وأوداء
مشى إليك بنوها والهوى ضرم ... وكل نفس من الأشواق رمضاء
يستقبلونك أرواحا وأفئدة ... ويفتدونك والأجساد أنضاء
ذاب الحنين على أفواههم نغما ... وفى يمينك للشادين إروَاء
على الشفاه أناشيد مزغردة ... وفى العيون من الأفراح لألاء
أذكى الهوى أنفساً الحب قد خلقت ... والصبابة فى العشاق إذكاء
أبكاهم الوجد فى اللقيا وأضحكهم ... إن التوجد تضحاك وتبكاء
أصغت إليهم عيون الليل رأنية ... وكم يطيب إلى الأحباب إصغاء
وشت تسابيحهم للحب أنملة ... والحب مذ كان وشاح ووشاء
طوبى ليثرب ضمت خير من سطعت ... على محياه أنوار وأضواء
طوبى لها أن حمت جارا وأن طلعت ... رسالة الله منها وهى غراء
طافت على الأرض نور الألى فقدوا ... أنوار أنفسهم ، والكفر ظلماء
كأن كل سبيل من ضلالتهم ... صحراء كالحة الأعطاف غبراء
ضجت جفاء وعجت وحشة وبلى ... كأنها القبر فاضت منه أشلاء
نامت عليها الدياجى وهى جاهمة ... ومقلة الفجر فيها الدهر عمياء

* * *

لله شرعك شرعا واضحاً جددا ... ما فى تضاعيفه ريب وإخفاء
أنق من الزهر فى فينان نضرته ... وقد جلته يد للحسن بيضاء

ما زال غضا على الأيام مؤتلقا كالخلد ليس له ند وأكفاء
كم طهر القلب من بغى ومن دنس وكم صفت بصفاء القلب حوباء
والدين يمن وإحسان وميسرة وفرحة تسع الدنيا وأندادا
من ضاق بالعيش ذرعا أو جفته منى فالدين تعزية كبرى وتأساء
من صد عن بابه لم يرتشف أملا وعاودته من الكفران غماء
ولا اطمأنت له نفس ولا هدأت وكيف تهدأ فى الطغيان أنواء
يطوى الحياة جحيما لا نعيم بها كأنما هى أوجاع وأدواء

* * *

يا هجرة فجرت حبا ومرحمة فالقوم فيها الأحباء الأخلاء
تقاسموا نعمات العيش واتئلفوا كما تآلف فى الأجساد أعضاء
كل يرى لأخيه الخير أجمعه والخير موطنه الرهط الأعزاء
جرى الإخاء عليهم بهجة وسنا فاستعذبوه ، ودنيا الود فيحاء
كأن ألفتهم للآثمين شجا وطعنة فى صميم الكفر نجلاء
و (طيبة) الخير بيت ضم شملهم جلاله الدهر أبناء وآباء
لو أن قومى وعوا أسرار هجرته لما تناءى بهم بغض وشحناء
إن الحياة إذا يسرتها يسرت كأن إمرارها فى الطعم إحلاء
وإن أردت بها شؤما ومعسرة فإنما هى أثقال وأعباء
خلت من البهجة الكبرى جوانبها كأن إضحاكها فى العين إبكاء
كل له ما يرى فليتعظ فطن فعسرها اليسر والبأساء سراء
والحب أثمن ما أمتار الفؤاد بها وفيه للنفس إحياء وإعلاء
فقل ليعرب إما رمت مكرمة فوثق الحب إن الحب بناء

أنور العطار

آراء وأحاديث

لايزال مكتب الامام الأكبر شيخ الجامع الأزهر مقصدا للطلاب العلم ورواد الثقافة من جميع الأقطار الإسلامية يستمدون عنه التوجيه فى كل أمر ، والرأى فى كل حكم ، فيصدرون عنه بمايدفع الحيرة ويبين الطريق . من هذه المقابلات :

الأزهر والملايو :

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر بمكتبه السيد محمد الغازالى سفير الملايو فى القاهرة ، وقد دار بينهما الحديث حول النواحى الثقافية التى تهم البلدين .

(قال السيد السفير عند ما رحب به فضيلة الأستاذ الأكبر « أنا سعيد كل السعادة لأنكم أتحتم لى هذه الزيارة على الرغم من أعمالكم ومهامكم » . فقال فضيلة الأستاذ الأكبر ، وأنا أسعد بهذه الزيارة . فرد السيد السفير « لقد جئت لأشكر باسمى وباسم حكومتى عنايتكم بطلاب الملايو فى الأزهر ، وعلى إرسال مبعوثيكم إلى الملايو واهتمامكم بنا جميعا ، وأنا باعتبارى أمثل سلطان الملايو فإن رسالتى هى تقوية العلاقة بين حكومتى وبين الجمهورية العربية المتحدة .

فقال الأستاذ الأكبر ، ان الاعتصام بحبل الله هو السبب الموصل إلى ذلك ، ونحن إذ نعمل على توثيق هذه العلاقة فانما نبنى دعوة الحق فى قوله تعالى . « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » فهو يخاطب المؤمنين أجمعين المجاهدين والسياسيين والعاملين والمتعلمين وغيرهم .

ولما سأل السيد الزائر : هل هناك وسيلة التقريب الصلة العلمية عن طريق الإشراف والاتصال المنهجى حتى تنهض بطلابنا فى الملايو ؟ .

أجاب الأستاذ الأكبر : ان الأزهر يرحب بمثل هذه الفكرة لأنه يهمه أن تكون عناصر الطلاب عندكم على جانب عظيم قوى ، وذلك عن طريق الإشراف والتصحيح الفعلى

كما يهمنا تثقيف أبناء المسلمين ـ وخاصة الملايويين ـ وتتخذ لذلك العدة من كل جانب ونعمل على التقريب العلمى والفكرى لتحقيق أهدافنا السامية ، وأعتقد أن ذلك وسيلة لجمع شمل المسلمين ودعم قوتهم .

ثم أضاف فضيلته : وإني ليسعدني أن أرى سفيرا سياسيا يسعى لتثقيف أبناء بلاده دينيا .

فقال السيد السفير : ان هذا جزء من مهمتي كسفير مسلم .

ثم انصرف السيد السفير شاكرا لفضيلته حسن استقباله ، وروحه الطيبة .

كذلك استقبل فضيلته الدكتور برهان الدين الحليمي رئيس الحزب الإسلامي في الملايو ، وقد دار الحديث حول النواحي الثقافية .

فشكر السيد الزائر فضيلة الأستاذ الأكبر على عناية الأزهر بأبناء الملايو الذين يدرسون في الأزهر ثم قال : اننا نرجو أن يكونوا رسلا ناصحين لوطنهم بعد تخرجهم في الأزهر حيث يكونون قد اكتسبوا ثقافة وخبرة وقدرة على علاج المشاكل الدينية .

وقد لاحظ فضيلته أن ضيفه يجيد اللغة العربية فعلق على ذلك قائلا : لقد سرني منكم معرفتكم اللغة العربية كما يسرني أن تعلموها أولادكم ، والأزهر يعاهدكم على أن يأخذ بيد أبنائكم الذين يتعلمون فيه إلى الطريق الصحيح طريق الإسلام القويم .

ثم زار السيد الزائر المكتبة الأزهرية وقاعة المحاضرات ثم زار مدينة البعوث الإسلامية حيث لمس بنفسه مدى العناية التي يلاقيها أبناء البعوث الإسلامية وبخاصة الملايويين ، وقد سره أن وجد البشر يرتسم على وجوه مواطنيه وهو يزور المدينة ، كما أسعده أن حملوه شكرهم للسادة المشرفين على المدينة والذين يحيطونهم لعنايتهم ورعايتهم .

المسلمون في تاريخهم العظيم :

ثم استقبل فضيلته السيد سلطان أحمد رئيس تحرير جريدة ذي ليدر الباكستانية . وبعد أن رحب به فضيلته سأله عن رحلته إلى الجمهورية العربية المتحدة ، فأجاب السيد الزائر بأنه زار عدة مدن منها المحلة الكبرى ، وبور سعيد ، ثم زار الأزهر ومدينة البعوث الإسلامية .

ولقد سأل الصحفي الزائر فضيلة الأستاذ الأكبر عن السبب الذي يترك من أجله المسلمون تاريخهم العظيم .

فأجاب فضيلته :

لقد غرهم بريق المدنية الغربية التي أتى بها الاستعمار فتمكن الشباب من ممارسة حريتهم الشخصية ، ولم يقفوا عند حد في هذه الممارسة . أما حرية الإسلام فهي حرية خلقية بناءة على عكس الحرية الغربية . فالإسلام أساسه الأخلاق ، إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ،

وأهم أسس الأخلاق المحافظة على العرض ، والمحافظة على الفضيلة . فالاسلام يحرم مايفسد العقل من خمر ومخدرات ، وما يفسد الخلق من قمار وميسر ، أما المدنية الغربية فقد خطفت بعض شبابنا وأصبح هؤلاء الشباب ينقادون لمبادئ زائفة ذات بريق خلاب ، ولكنها لا تقود إلى نهضة ولا إلى رخاء .

ورجال الصحافة مسئولون مسئولية تضامنية عن الانحلال الخلق ، لأنهم الآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر ، وهم الموجهون والمعلمون .

ديمقراطية الاسلام :

ولما سأل السيد الزائر فضيلته قائلا : إنه على الرغم من أن الإسلام يدعو إلى الديمقراطية ، فإننا نرى أن كثيراً من الدول الإسلامية قد فشلت فى تحقيقها .

فأجاب فضيلته : أن العلة أيضا فى ذلك هى الاستعمار . فهو داء عضال لايستعمر الأوطان فحسب ، وإنما يستعمر العقول والقلوب ، وعلى رجال الصحافة أيضا أن يكافحوا هذا الوباء ، وعلى الرغم من أن الاستعمار قد زال من معظم الدول الإسلامية فإنها ما زالت تجهل مبادئ الاسلام التى تقوم على أساس من الشورى « وشاورهم فى الأمر » « وأمرهم شورى بينهم » فإذا استبد الحاكم وجب على الشعب أن يطرده ، إذ لا بد أن يعالج الشعب المسلم شئونه بنفسه ، ويوجه بعضهم بعضا « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

قال السيد الزائر : ما هى الأسباب التى دعت إلى إنقسام بعض الدول الإسلامية وما رأيكم فى علاج حاسم لهذه المشكلة ؟

فأجاب فضيلته :

إن الاستعمار سبب الفرقة بين المسلمين وعدم تضافر القوى بين الحكام ليعيش بين صفوفهم ، والعلاج لذلك الوحدة والتشاور وقيام العلماء بواجبهم نحو التعاون الفكرى والثقافى والخلق بين جميع الدول الإسلامية والعربية .

الكتاب والاسلام :

ثم سأل الصحفى قائلا : لماذا ينصرف المفكرون العرب عن الكتابة فى الإسلام ؟

فأجاب فضيلته : إنهم متأثرون بزخرف الحضارة الغربية وبريقها . وأنى أحملكم تحياتى إلى المسلمين جميعا فى الباكستان ، تحيات الأخ إلى إخوته وبخاصة ، علماء الباكستان الذين ندعوهم إلى التعاون مع علماء المسلمين فى الجمهورية العربية المتحدة لنشر مبادئ الاسلام وغرسه فى نفوس المسلمين ، والصحفيون والعلماء سواء فى المسئولية للدعوة إلى المبادئ الاسلاميه التى أؤكد أنه لن يسعد

العالم ويسود السلام إلا إذا رسخت مبادئ الاسلام فى نفوسهم .

الأزهر فى ماضيه ومستقبله :

تحدث فضيلة الأستاذ الأكبر إلى مندوب جريدة « الأزهر » هذا الحديث المستفيض الذى بين فيه ما يؤديه الأزهر إلى العالم العربى والإسلامى من خدمة للثقافة ، ونشر للعقيدة وتوحيد للرأى ، وتوثيق للكلمة ، ورعاية لأبناء المسلمين الوافدين إليه من أقطار الأرض وهذا نص الحديث .

رسالة الأزهر الخالدة :

الأزهر هو الجامعة الإسلامية الكبرى التى سلخت أكثر من ألف عام . وهى التى تحمى التراث الاسلامى عقيدة وشريعة ولغة وتاريخاً وأدباً .

والأزهر من حقه على الأمة أن يظل باقيا قويا لأنه يحمل أعباء رسالة خالدة هى رسالة الإسلام .

والأزهر كليات ثلاث : كلية الشريعة ، وكلية اللغة العربية ، وكلية أصول الدين ، تمدها روافده وهى المعاهد الدينية وعددها يقارب الثلاثين ، غير المعاهد الحرة التى يعمل الأزهر على ضمها . وطلاب هذه المعاهد ممن حفظوا القرآن الكريم وتمكنوا فى القراءة والحساب بمدارس جمعيات المحافظة على القرآن الكريم .

وقد اتجهت المشيخة إلى تعديل المناهج تعديلا يلائم روح العصر مع المحافظة على التراث الاسلامى والعربى .

فى كلية الشريعة

فى هذه الكلية تدرس الشريعة الإسلامية أصولا وفروعا دراسة عميقة مستمدة من الكتاب والسنة . وفيها يدرس الفقه المقارن بين سائر المذاهب الاسلامية بما فيها مذهب الشيعة الامامية والزيدية . وفى ذلك كسب للفقه الاسلامى وربط بين العالمين الاسلامى والعربى ومحو للطائفية التى أوجدها الاستعمار .

وقد أدخلت الدراسات القانونية التى تدرس فى كلية الحقوق فى منهج كلية الشريعة وقسم إجازة القضاء بصورة واسعة ليكون الطالب ملما بما يدور حوله من التفكير الفقهى ، وتقرر تنقيح المناهج فى المواد الشرعية .

كما تقرر وضع نظام جديد للدراسات العليا ونفذت هذه المناهج فى العام الدراسى ٥٩/٦٠ وتعمل الكلية على نشر التراث الاسلامى وبحث المسائل التى استحدثت فى المعاملات لبيان حكم الشريعة فيها .

فى كلية أصول الدين

وضع مشروع جديد لمناهج كلية أصول الدين يقوم على استبقاء المفيد وإضافة ما يحتاج إليه لرفع مستوى الواعظ مما يعينه على أداء رسالته

كدراسة التيارات المذهبية واللغات الغربية والشرقية ، إلى جانب دراسة الحديث والتفسير دراسة موضوعية تقوم على الربط بين أطراف الموضوع تمكينا له من القيام برسالة الأزهر التى هى رسالة الاسلام وسينفذ ذلك فى العام الدراسى ٦٠ / ١٩٦١

فى كلية اللغة العربية

تسير مناهج هذه الكلية وكتبها وأقسامها فى الخطة التى تؤدى إلى الغاية المقصودة منها وتزويدها بمادة النقد الحديث وبما يحقق الارتباط الفكرى بين أنحاء العالم الإسلامى والعربى . فضلا عن أن هذه الكليات الثلاث أدخلت فيها منذ سنتين اللغة الانجليزية وسيتم إدخال غيرها إجباريا فى المستقبل . كما تقرر أن تدرس «مادة المجتمع العربى» فى سنة ٦٠/٦١ . وفى الكليات تدرس التربية العسكرية التى انفردت بها كليات الأزهر ، وللطلاب اتحاد عام له نشاط اتحاد الجامعات ، وستعمل المشيخة على دعم هيئات التدريس فى الكليات بإعداد (كادر جامعى خاص) أسوة بسائر الجامعات .

فى المعاهد الدينية

المعاهد الدينية روافد الكليات وهى تساعد الطالب على فهم الدين واللغة فهما يمكنه من الالتحاق بإحدى الكليات أو الكفاح والجهاد فى نواحى الحياة . وقد حرصت المشيخة على تعديل مناهج المعاهد الدينية تعديلا يربطها بالحياة العامة مع المحافظة على علوم الشريعة واللغة ، تحقيقا لرسالة الأزهر ، كما حرصت على ضم بعض المعاهد وإنشاء فرق بالقسم الثانوى فى بعضها ، وبخاصة فى معهد غزة تيسيراً لأبنائها وتلبية لرغبة أهلها . وسيبنى معهد الاسكندرية فى حوالى ١٢ فدانا .

منشآت جديدة :

وقد أنشئت ثلاث مراقبات للعلوم العربية والشرعية واللغات الأجنبية كما أنشىء فى كل معهد اتحاد للطلاب ، واشترك الطلاب فى الخدمات العامة . وشجعت حركة التأليف ، ونفذ مشروع الدراسات الشعبية فى المساجد والأندية . وقد أفاد الناس منها كثيراً ، لأنها تمدهم بما يحتاج إليه فى دينه وفى حياته .

وعناية بالقرآن الكريم ومحافظة عليه أنشىء مكتب للإشراف على جمعيات المحافظة ورقابتها حتى تؤدى رسالتها وتنشر الوعى الدينى تحقيقاً لرغبة السيد جمال عبد الناصر . وقدمت معونات لطلاب مدارس هذه الجمعيات من الغذاء والكتب والأدوات بالاشتراك مع وزارة التربية والتعليم .

وقد عنيت المشيخة بمعهد البعوث لأن طلابه يجب أن يكونوا قدوة صالحة وسفراء صادقين للجمهورية العربية فى بلادهم ، لذلك شكلت لجان مختلفة لتعديل مناهجه بما يحقق رسالته .

وستنشأ مراقبة لرعاية الشباب اجتماعيا وثقافيا ورياضيا كما ستنشأ مراقبة لجمعيات المحافظة على القرآن الكريم

وسيزود الطلاب فى المعاهد بما يمكنهم من دراسة الشريعة واللغة العربية وستدرس اللغات الأجنبية من السنة الأولى الابتدائية وستعزز الاعتماد الخاصة بجمعيات المحافظة والتربية العسكرية .

ادارة البحوث والثقافة الاسلامية :

تعمل هذه الادارة على صيانة التراث الإسلامى ومقدسات الأمة العربية وتنشر الوعى الناضج بين الشعوب الإسلامية وتعنى برفع المستوى الثقافى والفنى وتوثيق الروابط بين المسلمين وتستقبل الوافدين من الطلاب وتهتم بشأن المبعوثين ، ولها وسائلها التى تحقق هذه الأهداف وهى .

١ — معهد الإعداد والتوجيه :

الذى أنشئ ١٩٥٩ لإعداد المبعوثين إعدادا سليما ، وفيه تدرس الانجليزية والفرنسية والألمانية والأردية ، والأندونيسية ودراسة المعهد عليا للمدرسين والوعاظ والمستجدين والطلاب بالسنوات الأخيرة فى الكليات .

٢ — قاعة المحاضرات : التى لم تؤد رسالتها إلا من سنة ١٩٥٩ حيث ألقيت فيها محاضرات دينية واجتماعية واقتصادية وغيرها وهدفها محاربة المبادئ المنحرفة والسمو بالوعى الدينى والاخلاقى كما عقدت فيها المؤتمرات القومية والوطنية ومؤتمر الشباب الآسيوى الأفريقى سنة ١٩٥٩ وكانت مركزاً لالتقاء الأزهر بقادة الشعوب الإسلامية .

٣ — مدينة البعوث : المكونة من ٤١ عمارة مزودة بأحدث وسائل الراحة لاستقبال ٤٠٠٠ طالب وبها الآن ٧٦٨ طالباً يمثلون أكثر من خمسين جنسية ، والسكن فيها بالمجان بل يمنح الطالب ١٥٠ قرشاً أو ٢٠٠ قرش وهو يكلف الأزهر ١٥ ج شهريا وسينشأ فيها ملاعب رياضية وحدائق ومستشفى ومسجد كبير ومكتبة ومعهد ، وسيخصص منها قسم لبعض طلاب الإقليم الجنوبى .

٤ — قسم البحوث والترجمة : يقوم به أزهريون للبحث والترجمة باللغات الانجليزية والفرنسية والألمانية ، ويقبل المسلمون على هذه الترجمات التى تنشر فى مجلة الأزهر وترسل

عن طريق السفارات بحوث تلقى فى المؤتمرات العلمية الدولية ، ويشرف على طبع المصحف الشريف ويراجع الكتب المطبوعه فى الداخل والخارج ليقرر صلاحيتها للنشر والقراءة أو عدم صلاحيتها . وقد بحث على حداثة عهده أكثر من ٨٠ كتابا بمختلف اللغات . ويتتبع اتجاهات الصحافة والسينما والمسرح والاذاعة لينبه إلى نواحى الضعف فيها ، ويستقبل الضيوف من جميع العالم الإسلامى .

• — المطبعة والمجلة : تقوم المطبعة بنصيب كبير فى نشر التراث الإسلامى عن طريق الكتاب والمجلة والنشرات بالعربية أو الإنجليزية . فأما المجلة فقد اتسع نطاق توزيعها وتنوعت بحوثها وأصبحت صلة قوية بين العالم الإسلامى والجمهورية العربية ، وتحرص وزارة الخارجية والسفارات العربية على أن تحصل عليها ، ولها ملحق انجليزى يتخطفه القراء ، ويعاد طبعه ونشره لتناوله بحوثاً فى الدين والتشريع والأخلاق .

٦ — البعثات : وافدة أو موفدة

فالوافدة من البلاد الإسلامية يستقبل أعضاءها ويعنى بإسكانهم وإشعارهم بمعنى الأخوة الإسلامية .

والطلاب الممتازين أو القادمين لمدد قصيرة عناية خاصة وتكتب عنهم تقارير شهرية للوقوف على حالتهم . ويبلغ عدد طلاب البعوث ٢٨٢٩ طالباً من ٥٤ جنسية يجمعهم الإسلام فى الأزهر وينهلون من ثقافته .

وأما البعثات الموفدة إلى البلاد الإسلامية فيختار أعضاؤها من الممتازين علماً وخلقاً ليقوموا بواجبهم خير قيام وفى كل عام يزيد عددهم فالأزهر له بعثات فى أمريكا وكندا وسيلان والملايو عدا بعثات آسيا وأفريقيا والهند وأن إدارة البعوث تحرص على أن يشارك الأزهر فى بناء الحضارة الإنسانية مع المحافظة على القيم الأصيلة فى الثقافة الإسلامية العربية

قسم الوعظ والإرشاد

يقوم بهذه الرسالة طائفة من العلماء لتوضيح الدين وتقوية الوعى القومى والخلقى والاجتماعى وتثقيف المواطنين ثقافة حرة لا تخضع لمناهج معينة وعدد الوعاظ ٤٠٠ واعظ موزعين فى داخل الجمهورية وخارجها . فى ليبيا والسودان والصومال والسعودية ولبنان . ولهم أثر بارز فى توثيق الصلات بين جمهوريتنا والبلاد الاسلامية ، وكذلك لهم يد طولى فى النواحى العامة كتثقيف المرأة وعقد المصالحات التى بلغ عددها ٢٠٠ ألف مصالحة ، وإنشاء مساجد بمجموعها ٥٠٠ مسجد و ١٠ معاهد و ٣٠ جمعية للمحافظه على القرآن الكريم ، وهم يحاربون البدع والخرافات والمبادىء الوافدة والاجرام بصوره المختلفه ويحضون

على البر والعمل الصالح ، ومنهم مجموعة في القوات المسلحة لنشر الوعى الدينى ، وزاد نشاط القسم فى عهده الجديد ، وساير ركب النهضة ، فأنشأ مكتباً فنياً للإشراف على مجلة نور الإسلام ودراسة المشكلات وعلاجها وإخراج دراسات إسلامية والقسم اتصال بالوزارات المختلفة لتنسيق التعاون بينها وبينه .

ويتخذ القسم الوسائل الحديثة لمساعده على بث الدعوة كمكبرات الصوت وآلات التسجيل . وستعمل المشيخة على أن يكون فى كل مخفر شرطة وفى كل مركز أو منطقة مكتب ثقافى ، وفى كل مراقبه سيارة مجهزة بأدوات الإذاعة والتسجيل .

* * *

هذا هو الأزهر وهذه هى أقسامه وكلياته ومعاهده التى تتعاون على مكافحة الأمية وجهل العقيدة وضعف الآداب وانحلال الأخلاق . وتعمل جميعها للقضاء على كل ذلك بين المسلمين من مشارق الأرض إلى مغاربها . هذا هو الأزهر الذى يربط الشعوب الاسلاميه بالجمهورية العربية المتحدة حتى أصبحت منارا للعلم ومركزاً للثقافة الدينية والعربية السليمة .

نسأل الله تعالى رعاية لرائد النهضة العربية وتأييداً للأمة الاسلامية وتوفيقاً إلى أقوم طريق .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

من الحكم العالمية

* عالم ذو همة يحيى أمـــة . . ! ! .

* القادر يعمل والعاجز ينظر .

* خير الإنسان أن يخلى من العمل من أن يصدأ بدونه . . . !

* إذا كان رأسك من شمع فلا تمش فى الشمس .

* الذى يملك القمح يسهل عليه أن يقترض الدقيق .

الكتب

نقد وتعريف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

١ — تفسير القرآن الكريم : للأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت

٢ — الإسلام فى أمريكا : للدكتور محمد يوسف الشواربى

— ١ —

تزخر المكتبة الإسلامية بمئات من التفسيرات للقرآن الكريم ، هى بمثابة تراث ضخم للفكر الإسلامى فى شتى المعارف الإسلامية . وعناية العلماء المسلمين القدامى والمحدثين بتفسير القرآن ضرورة من الضرورات الملحة ، إذ القرآن هو الأصل الأول للإسلام من ناحية ، ودسامة معانيه من ناحية أخرى تحتاج على مر العصور إلى عقليات ناضجة تناقشها وتخرجها فى إيجاز أو إطناب واضحين .

والذين تصدوا لتفسير القرآن من المفكرين المسلمين القدامى ، أثبتوا وجودهم بتفسيراتهم حيث إنهم قطعوا من الوقت شوطا بعيداً فى التفسير ، واضطروا إلى أن يكونوا فقهاء فى كثير من العلوم ، حتى يؤدوا مهمتهم على أكمل وجه ، ويقوموا برسالاتهم خير قيام .

إلا أن جل هؤلاء المفكرين من المفسرين للقرآن — وإن كانوا خلفوا لنا تراثا فكريا خصبا — زحموا تفسيراتهم بكثير من الحشو الذى تاهت خلاله معانى القرآن العذبة ، التى يجب أن يكون استخلاصها وتجليتها الهدف الأساسى من التفسير ، وأبرزوا تعصبهم المذهبى ، فتركوا الحاذق اللبيب يقرأ بدقة وحذر .

والحق الذى لا مراء فيه أن تفسيرات القرآن القديمة على كثرتها وضخامتها لم تكن لتغنى أى مفكر فى هذه الآونة عن تفسير — كتفسير المنار للمرحوم الشيخ رشيد رضا ،

الذى استوعب أفكار المرحوم الإمام الشيخ محمد عبده أحد المفكرين الإسلاميين القلائل . الذين لم تجد بمثلهم الأيام .. إلا أن هذا التفسير الجديد لم تشأ له الظروف العديدة أن يتم ، فترك فراغا واسعا فى عالم التفسير .

وجاء الزمان بعقليات ناضجة تصلح أن تكون امتدادا لعقلية الإمام المفكر ، ومنها عقلية المرحوم الإمام المراغى ، وعقلية الأستاذ الأكبر الشيخ شلتوت شيخ الأزهر متّ الله فى حياته . أما المرحوم الإمام المراغى فلم تشأ له الظروف أيضا أن يفسر القرآن أو على الأقل يواصل ما وقف عنده الشيخ رشيد رضا ، فظل الفراغ مطلا علينا بشبحه ، وأما الأستاذ الأكبر الشيخ شلتوت ، فقد بدأ فعلا فى أن يقوم برسالته نحو كتاب الله واستطاع أن يقدم للمكتبة الثلث الأول من القرآن ، والأمل فى الله وحده أن يمده بالصحة والعافية حتى يكمل ما بدأ .

وقد يرى من يرى أن الأستاذ الأكبر لم يقصد أن يقدم تفسيرا للقرآن يزخر بالمعارك الجدلية فلدينا منها الكثير ، وهذا هو الحق وإنما قصد أن يستعرض كتاب الله ، ليقدم لنا المعانى ملخصة مركزة تلتهمها الأفهام دون أن تبذل جهدا أو مشقة ، وتستعذبها الأذواق دون امتعاض أو تردد .

والأستاذ الأكبر خطّ منهجه فى التفسير فى مقدمته :

فهو يقرر أن عناية العلماء الأولين بالتفسير كانت إحدى الضرورات ، وأن اشتغالهم بالعلوم المختلفة كان هدفه خدمة القرآن ، سواء فى اللغة ، أو الفقه ، أو علم الكلام ، أو البلاغة ، أو الأصول ، أو الفلك ، أو ما إلى ذلك ، كما يقرر أن اختلاف التفسير مردود إلى اختلاف ثقافة المفسر . ولذا جاءت التفسيرات ذات ألوان شتى . . . وأن التفسير السليم يجب أن ينزه عن ناحيتين برزت إحداهما فى صورة واضحة فى التفسيرات القديمة ، وهى التعصب المذهبى ، وتأويل القرآن وفق هذا المذهب أو ذاك ، وبرزت الأخرى فى بعض التفسيرات الحديثة ، وهى محاولة تفسير القرآن على مقتضى النظريات العلمية الحديثة ، حتى تكلفوا فى التأويل وحملوا القرآن ومعانيه فوق طاقته .

فالمعتزلة الذين يمثلون الرأى فى تفسيراتهم وأهل السنة الذين يمثلون النقل ، والمتصوفة الذين يمثلون النظريات الفلسفية هذه المذهبية ـ لا شك ـ أنها أرهقت الأذهان والعقول قديما ، ولا ترهقهما حديثاً ، وسنظل إلى أن يشاء الله هكذا ، كما أنها أحدثت تذبذبا فى الأفكار ، وأشعلت فتنا منذ أمد بعيد ، حينما كانت السياسة تقتضى التدخل لحماية مذهب ، واضطهاد آخر .

وحسبك أن تعلم أن التعصب للمذهب أخرج بعض العلماء القدامى عن وقارهم ، إلى درجة تسفيه الرأى المعارض بقسوة .

أما هؤلاء المحدثون المتكلفون الذين يخضعون القرآن للنظريات العلمية متأولين تأويلا فاسداً ، فالأستاذ الأكبر يرى أن الله لم ينزل القرآن ليكون كتابا يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم ودقائق الفنون وأنواع المعارف ، وهذا اتجاه خاطىء ، لأنه يحمل أصحابه على تأويل القرآن تأويلا متكلفاً يتنافى مع الإعجاز ولا يسيغه الذوق السليم ، ولأنه يعرض القرآن للدوران مع مسائل العلوم فى كل زمان ومكان ، والعلوم لا تعرف الثبات ولا القرار ولا الرأى الأخير . فقد يصح اليوم فى نظر العلم ما يصبح غدا من الخرافات . »

* * *

والأستاذ الأكبر فى عرضه للقرآن فى هذا الجزء يهتم :

أولا : باستخلاص المعانى الإجمالية للسورة كلها وأهدافها الأساسية ، ويتجنب تفتيت الآيات إلى كلمات بل إلى أجزاء الكلمة كما كان مستساغا فى التفسيرات القديمة ، حتى لا تضل المعانى طريقها إلى الأفهام .

ثانياً : إبراز القيم الأخلاقية العليا والمثل الإنسانية الرفيعة ، لتكون هديا للناس يضىء لهم الطريق إلى الحياة الصحيحة .

ثالثاً : التنسيق الجميل فى صورته لمعانى القرآن . والذى حرمت منه التفسيرات القديمة . فهو يجعل من السورة موضوعا ذا عناصر مركزة يسهل للقارىء الالمام العام بالسورة واتجاهها ومقاصدها .

رابعاً : الحقوق والواجبات لها مكان بارز فى عرض الأستاذ الأكبر للقرآن ، حتى يخيل إلى القارىء أنه أمام دراسة اجتماعية مرة ، وسياسية مرة ثانية ، واقتصادية مرة ثالثة دون أن يكون للحشو والتعقيد أى أثر يذكر .

خامساً : لشخصية الأستاذ الأكبر فى تناوله للقرآن وجود ملموس ، فهو ليس معقبا فحسب ، وإنما له رأيه الحر فى آراء غيره ، ولو كانت آراء أستاذه ، الإمام محمد عبده أو الأئمة السابقين .

سادسا : تحديد المفاهيم ، فالأستاذ الأكبر يوضح منهج السورة ، ومنهجه فى دراستها ، ثم الموازنة بين منهج هذه السورة ومنهج غيرها ، وهو حريص كل الحرص على أن يحدد المفاهيم ، وألا يتركها فوضى يأخذ بعضها بخناق بعض .

سابعا : لم يفت الأستاذ الأكبر ، أن

يبرئ القرآن عن الجدل الممل ، وينأى به عن الإسفاف فى مناقشة عبارة اقتضت حكمة القرآن أن تأتى موجزة لتهدف إلى معنى واحد مستقل .

فإذا ذكر أن إخوة يوسف باعوه بثمن بخس دراهم معدودة . فأى إسفاف هذا الذى يحمل المفسر أن يأتى لنا بآراء متشعبة فى تحديد عدد هذه الدراهم ؟ وهكذا .

وبعد : فهذا عرض سريع لتفسير الأستاذ الأكبر ونحن حين نقول : إننا كنا محتاجين إلى مثل هذا التفسير ، لا نقصد التزلف ، فإن رواج هذا التفسير وطبعه مرتين فى خلال أسابيع معدودة دليل على أن حاجة المثقفين شديدة إليه . وحاجتهم أشد إلى أن يهب الله للأستاذ الأكبر الصحة حتى يكمل ما بدأ .

— ٢ —

الإسلام فى أمريكا : كتاب جديد للدكتور الشوارب كتب مقدمته الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وكذلك فضيلة الشيخ عبد اللطيف دراز رئيس جمعية التعريف الدولى بالإسلام والدكتور الشوارب أستاذ بجامعة القاهرة وسكرتير جمعية التعريف الدولى بالإسلام ، وكتابه هذا أول بواكير إنتاجها فى الميدان الإسلامى .

لقد قضى الدكتور عامين أستاذا زائرا بجامعتين من جامعات أمريكا ، وانتهز الفرصة فقام بواجب إنسانى نحو إخوانه المسلمين هناك ، ونحو الأخوة الإنسانية عامة . فقدم لنا فى هذا الكتاب عرضا مبسطا عن الإسلام فى أمريكا ، هو فى الحقيقة مرجع واف فى هذا الصدد .

قدم لنا نبذة تاريخية عن هجرة المسلمين إلى الدنيا الجديدة ، وأن التاريخ يسجل هجرة بعض العرب المسلمين إلى الدنيا الجديدة قبل رحلة « كولومبس » مكتشف هذه الدنيا الجديدة .

وذكر أن توافد المسلمين من شتى البلاد إلى أمريكا جعل أمريكا تتبادل الثقافة بينها وبين العالم الإسلامى . كما ذكر أن فى أمريكا اليوم هيئات إسلامية منها : المركز الثقافى الإسلامى بواشنطون وهو الهيئة الرسمية الوحيدة هناك ، ويرعاه مجلس يضم جميع سفراء الدول الإسلامية ، يختص بجميع شئون المسلمين ، وقد أصبح إحدى المؤسسات العامة التى يقصدها الزائر الأمريكى العادى القادم من الولايات الأمريكية المختلفة لزيارة عاصمة بلاده .

ثم المركز الثقافى الإسلامى بنيويورك ، يضم معهداً إسلاميا لنشر الثقافة الإسلامية والعلوم الإسلامية ، وناديا إسلاميا ومسجدا كبيرا .

ثم المركز الثقافى الإسلامى فى « ديترويت » وهى مدينة تقع فى قلب الولايات المتحدة بولاية « ميتشجن » وكذلك المركز الثقافى الاسلامى بسان فرانسيسكو ، ثم بمدينة شيكاغو ، ثم المجلس الاسلامى الأعلى بنيويورك ، وبعض المساجد بكثير من المدن الأمريكية .

وقد قدم لنا المؤلف صورة من المؤتمرات الاسلامية التى تعقد فى ولايات أمريكا لا سيما شيكاغو وكندا ، وصورة عن اتحاد الجمعيات الاسلامية فى الولايات المتحدة وكندا ، وما إلى ذلك من المؤسسات العديدة .

والدكتور قد أسدى خيراً للعالم الاسلامى بهذا الكتاب الجليل ، وقدم لنا إحصائيات دقيقة عن الاسلام والمسلمين فى أمريكا ، وهو يرى أن الاسلام يجب أن يكون فكرة متحركة فى أى بقعة يحل بها ، وعلى العالم الاسلامى أن يعرف واجبه ويؤديه نحو الجاليات الاسلامية الموزعة فى شتى بقاع المعمورة .

هذه كلمة عابرة ولا أراها جديرة بهذا الكتاب الجليل ؟

محمد عبد الله السمان

* * *

نقد كتاب

(الأئمة الاثنا عشر)

لابن طولون المتوفى سنة ٩٥٣

نشر كتاب (الأئمة الاثنا عشر) لشمس الدين محمد بن طولون ، بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد مدير معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية ، وهو الكتاب الأول من نوادر المخطوطات التى ينوى الدكتور نشرها . والكتاب فى ١٤٣ صفحة مصدر بمقدمة ومذيل بفهارس وكان طبعه فى بيروت سنة ١٣٧٧ .

والدكتور المنجد غنى عن التعريف بما له من بحوث أدبية وتعليقات قيمة سواء فيما يؤلفه أو فيما ينشره ، كما أن ابن طولون من أئمة المسلمين المكثرين من التآليف النافعة ، فهو فى دمشق مثل الحافظ السيوطى فى مصر وكلاهما توفى فى القرن العاشر .

وقد وقعت فى الكتاب أوهام وأخطاء أحببت تصحيحها إتماما للفائدة المرجوة من نشر الكتاب الذى سماه مؤلفه (الشذرات الذهبية فى تراجم الأئمة الاثنى عشر عند الإمامية) . ونشره الدكتور باسم (الأئمة الاثنا عشر) .

ص ٢٨ ـ ذكر الدكتور فى مقدمته أن تاريخ ميافارقين مفقود اليوم ، والصواب أن تاريخ ميافارقين وآمد لأحمد بن يوسف

ابن على بن الأزرق الفارقى موجود بالمتحف البريطانى بلندن برقم ٥٨٠٣ كما أن صورة الكتاب الشمسية موجودة بمكتبة السيد الأستاذ أحمد خيرى الخاصة بروضة خيرى باشا .

ص ٣٩ - ورد فى مقدمة المؤلف جملة : (شهادة تشرق بنورها الخافقين) ، ووضع الدكتور علامة (ا) على الخافقين ، وفى الهامش قال (كذا فى الأصل) . وذلك أن الدكتور ظن أن (الخافقين) فاعل . ولا يمكن أن يكون هذا من تحريف النساخ ، فالمقدمة كلها تنتهى فواصلها بالمين والرين ، والزين . . الخ . وابن طولون أجل من الوقوع فى هذا الخطأ . والصواب أن فاعل « تشرق » ضمير يعود إلى « شهادة » وأن « الخافقين » مفعول به ، ففى أساس البلاغة (وأشرقته بالصبغ) فدل ذلك على أن الفعل (أشرق) متعد .

ص ٤٢ - جاء فى هامش رقم (١) عن (منى) أنه موضع بمكة . والصواب أنه بضواحى مكة وهو يبعد عنها ٦ كيلو مترات .

ص ٤٢ - جاء فى هامش رقم (٦) ما نصه (... لأنه يجمع فيه بين صلاتى العشاءين) وكان الواجب إضافة جملة . وذلك ليلة عيد النحر . لئلا يظن أن الجمع بين العشاءين فى مزدلفة مطلق على طول الأيام .

ص ٤٧ . س ١٤ : وردت جملة (وأول هاشمى ولد ابنين هاشميين) والصواب (وأول هاشمى الأبوين ولد ابنين هاشمى الأبوين) . وذلك لأن كل هاشمى يلد هاشميا ، وإنما ميزة سيدنا على عليه السلام أنه أول هاشمى الأبوين ولد ولدين كل منهما أبواه هاشميان .

ص ٤٩ . س ١ : (حبان) بالمهملة وفى الآخر نون . صوابه (خباب) بالخاء المعجمة وبموحدتين .

ص ٤٩ . س ٢ : ورد ضبط (الخدرى) بكسر المعجمة والصواب ضمها ، وقد ورد خطأ أيضاً فى ص ٥٠ وص ٥١ .

ص ٥٣ . ذكر حديث فى صحيح مسلم وفى أثنائه تعذر على الدكتور قراءة الأصل فوضع بعض نقط وقال فى الهامش (ثلاث كلمات غير واضحة فى الأصل) ولو رجع الدكتور إلى صحيح مسلم لوجد أن هذه الكلمات هى (بماء يدعى خما) وغدير « خم » مشهور والكلمة بضم المعجمة وتشديد الميم .

ص ٥٤ . س ١ : (والفوز) صوابها (والنور) . س ٥ (أهل) ضبطت بضم اللام والصواب كسرها ، س ٦ (بعد) صوابها (بعده) بزيادة الهاء . وتصويب الكلمات الثلاث عن صحيح مسلم .

ص ٥٥ . س ٢ : حسن بن جيادة) جاءت هذه الجملة هكذا . وفى الهامش (كذا فى الأصل ولم أجد هذا الاسم فى تهذيب التهذيب) . قلت الصواب (حبشى بن جنادة)

فالاسم بضم الحاء المهملة بعدها موحدة فشين معجمة واسم أبيه بجيم بعدها نون .

ص ٥٦ . س ١ : ورد لفظ (أنه) وفى الهامش أن الاصل (أن) قلت ما كان فى الأصل هو الصواب ، والحديث فى صحيح مسلم . وما كان ينبغى للدكتور أن يغير لفظ الحديث بل كان ينبغى له الرجوع إلى صحيح مسلم، فقد ذكر المؤلف أن الحديث رواه مسلم .

ص ٦٣ . س ٩ : ورد (أبو الحوراء) ووضع الدكتور علامة رقم (١) وقال فى الهامش أنه (أبو الجوزاء بالمعجمة اه) . قلت الصواب أنه (أبو الحوراء) بالحاء والراء المهملتين . وما فى تهذيب التهذيب خطأ مطبعى وقد جاء الاسم صحيحا فى الجزء الثالث ص ٢٥٦ من تهذيب التهذيب .

ص ٦٥ . س ٢ : (أمام) صوابها (أيام) بالياء آخر الحروف بدل الميم الأولى .

ص ٧٧ . س ٢٢ : (ابنته) صوابها (ابنه) بدون التاء المثناة من فوق .

ص ٧٨ . س ٣ : (كرنابة) صوابها (كرنافة) بالفاء بدل الموحدة . وأما الكرناب بالباء الموحدة فهو التمر واللبن ولا محل له فى سياق القصة ، فالمراد كرنافة النخل وهى بالفاء .

ص ٨٥ . س ٩ : وردت كلمة (سنة) وبعدها نقط وفى الهامش (كلمة غير واضحة فى الأصل) قلت هذه الكلمة هى (الجحاف) بضم الجيم بعدها حاء مهملة وهو الاسم الذى أطلق على سنة ثمانين من الهجرة الشريفة .

ص ٨٥ . س ١٠ : سنة ثلاث وثمانين ومائة . الصواب ثلاث وثمانين بدون مائة .

ص ٩٣ . س ٧ . ص ٩ : لفظ (مائتين) صوابه (مائة) فى الموضعين .

ص ١١٧ آخر سطر : (سنة ست وخمسين) الصواب (ثمان وخمسين) . فهنا نقل ابن طولون عن ابن الأزرق فى تاريخ ميافارقين وبالرجوع إلى اللوحة (١١٢) من مصورة مكتبة روضة خيرى نجد ما نصه (وقيل ولد ثامن شعبان سنة ثمان وخمسين ومائتين لاشك فيه) يعنى الإمام الثانى عشر .

هذه هى الأخطاء والأوهام التى وقفت عليها فى الكتاب المذكور ، ولا يفوتنى أن أنوه بالمجهود المشكور الذى بذله الدكتور المنجد فى إبراز الكتاب فى صورته المشرقة التى ظهر بها . والله ولى التوفيق والهادى لأقوم طريق ؟

عبد السلام محمد النجار

بريد المجلة

فتاوى في الشيوعية

لأئمة الشيعة في العراق

ما زال المجتهدون من علماء الشيعة بالعراق يبصرون المسلمين بحقيقة الشيوعية ويحذرونهم شر التورط فيها من طريق الوعظ وبطريق الفتوى ، وقد وقعت في أيدينا ثلاث صور لثلاث فتاوى أصدرها ثلاثة من جلة العلماء هذه نسختها .

السؤال الأول

آية الله العظمى المجتهد الأكبر السيد ميرزا عبد الهادي الشيرازي حفظه الله وأبقاه ذخرا لعموم المسلمين . أتقدم لساحتكم بالسؤال الآتي راجيا التفضل بالإجابة : هل الشيوعية تتصادم مع الدين وهل يجوز الانتماء اليها وتأييدها . بينوا لنا الأمر فاننا من مقلديكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عبد الكاظم محمد

الجواب

باسمه تعالى شأنه

الشيوعية ضلال والحاد فلا يجوز الانتماء اليها ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(عبد الهادي الحسيني الشيرازي) خاتم

السؤال الثاني

حضرة مولانا حجة الاسلام السيد محسن الحكيم المحترم .

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أسأل الباري أن يديمكم ذخرا للمسلمين .

مولاي ، انني من مقلديكم ولكي تنتمي إلى الحزب الشيوعي أفتونا بأمركم وانني أنتظر الجواب للسير عليه .

والسلام عليكم ورحمة الله .

محمد السيد قنديل

الجواب

لا يجوز الانتماء إلى الحزب الشيوعي فإن ذلك كفر وإلحاد أو ترويج للكفر والالحاد . أعاذكم الله وجميع المسلمين من ذلك وزادكم إيمانا وتسليما . والسلام عليكم ورحمة الله .

(محسن الحكيم) خاتم

السؤال الثالث

حجة الاسلام والمسلمين اية الله الشيخ عبد الكريم الجزائرى دام ظله . هل الشيوعية تتصادم مع الدين وهل يجوز الانتماء اليها أو تأييدها . افتونا مأجورين .

خادمكم

عباس العلى شامية

الجواب

الشيوعية هدم للدين وكفر وضلال فلا يجوز الانتماء اليها بوجه من الوجوه . كفى الله المسلمين شرها .

(عبد الكريم الجزائرى) ختم

* * *

فتوى الامام كاشف الغطاء

بسم الله الرحمن الرحيم

المبدأ الشيوعى مبدأ هدام لكل المقدسات محطم ومصادم لكل شريعة ودين . والركون اليه من أعظم المحرمات وأكبر الكبائر . والمعول بعد الله جل شأنه فى مكافحته وتحطيمه على زعماء العشائر ورؤساء القبائل أهل الغيرة والحمية الذين يغارون على الدين كما يغارون على الأعراض وسائر النواميس المقدسة .

فعلى افراد الشعب أن ينهض للمحافظة على دينهم وأعراضهم . والله الموفق والمستعان .

حرره محمد الحسين آل كاشف الغطاء

* * *

مطالب الإمام الشيرازى

ذهب وفداً إلى كربلاء لاستطلاع آراء العلماء فى بعض الشؤون .

وزار الوفد سماحة الإمام الشيرازى وكبار رجال العلم فى داره ، وكبار رجال العلم فى المدرسة الهندية . والعلامة الطباطبائى وأصحابه فى المدرسة السليمية ومدرسة العلامة الخطيب .

وهذا ما طلبه الامام الشيرازى شفاها وفى كتاب قدمه للوفد .

ينبغى الاهتمام بالنقاط التالية :

١ — تعديل القوانين السابقة بما يوافق الشريعة الإسلامية بما فى ذلك قانون الزواج والإرث .

٢ — الاهتمام بمناهج المعارف بإبعادها عن النظريات الملحدة وبشروح الإسلام والفضيلة وتطهير الاذاعة من الأغانى الفارغة وإنشاء ركن فيها لنشر الإسلام .

٣ — الاهتمام بالشعائر الإسلامية كإقامة الصلاة فى المعاهد والدوائر والمواصلات . والمنع عن الافطار فى شهر رمضان وتسهيل وسائل الحج . وإعطاء

الحرية الكاملة لاقامة الشعائر الإسلامية .

٤ — وضع حد لتبرج الفتيات وخاصة الطالبات وإيقاف النساء على حدودهن المقررة فى الإسلام وإلغاء طلب الصورة فى الجنسية .

٥ — وضع حد للمنكرات التى تضر المجتمع كالخمر والقمار والربا وما إليها .

٦ — تطهير الأعتاب المقدسة من كافة المنكرات والأمر بفتحها ليالى الزيارات وشهر رمضان والأمر بتعميرها تعميراً كاملا وتسهيل الأمر على الزائرين .

عالم فقيه الشيوعية فارتد عن دينه

جاء فى التقرير الصحفى لسفارة الجمهورية العربية المتحدة فى صوفيا أن صحيفة «فرونت» البلغارية نشرت فى عددها الصادر يوم ٢٢ مارس الماضى خبرا عن (عود جيف) يذكر فيه أن أحد أئمة المسلمين البلغار ويدعى ايتيموف ألقى محاضرة عن جوهر الإسلام حضرها جميع الفلاحين المسلمين فى قرية «تريم» من أعمال «كولارجراد» وقد كان الغرض من هذه المحاضرة هو الغض من حكمة صيام شهر رمضان . وقد ذكر هذا (الإمام) أسباب ارتداده عن الإسلام وتحرره من التعسف الدينى .

وبعد إلقاء المحاضرة قرر الحاضرون من الفلاحين الامتناع عن الصيام .

وتعلق الجريدة على ذلك بقولها إن هذه المحاضرة ساعدت القرويين كثيرا على التحرر من الأفكار الدينية .

وليس ذلك غريبا من رجل يدعى الإمامة فى الدين ولم يتعمق أصوله ولم يتصل بروحه فى مصادره الصحيحة ومنابعه النقية .

حول ماء بئر زمزم

استفتت جريدة الندوة الحجازية العلماء فيما نقلته عن مجلة الدكتور القاهرية حول ماء بئر زمزم . والقول فى ماء زمزم لا يحتاج إلى سؤال العلماء عما فيه من بركة ، بأن هذا مقطوع به وان جحده صاحب مجلة الدكتور وجحده معه من جحده .

يقول الدكتور إن ماء زمزم ملوث بماء المجارى .

فماذا يقول فى التاريخ الذى يحدثنا أن زمزم نبعت حيث لا بيوت ولا مجارى وعلى لغتنا حسب المثل القائل (لا حادى ولا منادى) ويحدثنا التاريخ أيضا أن السيدة (هاجر) بعد أن سعت السبعة الأشواط بين الصفا والمروة طلبا للماء رأته يفور من تحت

قدم طفلها إسماعيل ، فجاءت مهرولة تحوط الماء وتقول كلمتها المشهورة (زمزم) ولذلك جاء فى الحديث الصحيح عن الرسول صلى الله عليه وسلم (رحم الله أم إسماعيل لو تركتها لسالت حتى ملأت الوادى) هذا حديث صحيح وإن لم يصدقه الدكتور .

ويحدثنا التاريخ كذلك أن قافلة من جرهم كانت فى طريقها بتجارة إلى الشام فأرسلت رائدها لطلب الماء فرأى على بعد طائراً يهبط إلى الأرض فعرف الرائد أن هذا الطائر لابد أن يكون قد هبط على ماء ، فمشى نحوه فوجد إسماعيل وأمه فرجع إلى قافلته يحدث بما رأى من العجب ، وأى شىء أعجب من طفل وأمه يجلسان فى العراء و (لا جار ولا نافخ نار) حتى ولا كعبة ولا بناء ، إلا عين هذا الماء ؟ : فماذا يمنع من أن الله يحفظ ماء زمزم ببركته على ما كان عليه يوم نبع ؟ أو أن حضرة الكاتب ينفى البركة عنه يومذاك ؟ ثم أين البعثات الطبية التى توفدها الجمهورية العربية المتحدة والحكومات الأخرى ؟

عبد المجيد أبو السمح

إمام المسجد الحرام

بين الأستاذ العقاد والأستاذ الأكبر

بعث فضيلة الأستاذ الأكبر بهذه البرقية إلى الأستاذ عباس محمود العقاد ، مهنئا سيادته بنيله جائزة الدولة التقديرية .

« لقد أرسيتم قواعد الأدب العالم ، وأسسه العريقة فى النهضة الحديثة ، ثم أقمتم صرحه العالى ، وبناءه الأشم ، فامتلأت به نفوس الشيب والشبان .

وحين لم تتركوا مكانا إلا ونثرتم فيه أزهار الأدب وورود انتشق تقدير الأمة لكم من قلوب تمجد العاملين المخلصين ، فأثلج ذلكم صدرى وامتلأ بشرا وسرورا ، اعتزازا بأمة أنجبت ثم قدرت . فحياكم الله ومد فى عمركم ، لتظل أمة الأدب تنزل فى خمائل أدبكم ، تنفيأ ظلاله ، ويعطر أيامها شذا عرفه .

والسلام عليكم ورحمة الله .

محمود شلتوت

فتلقى فضيلة الأستاذ الأكبر من الأستاذ العقاد هذه البرقية ردا على التهنئة :

« دمتم للعلم والدين ، والأدب المبين ، ودامت جهودكم فى خدمة الإسلام والمسلمين ، والحق اليقين ،

عباس العقاد

مجلة المعهد الديني بالمنصورة

أصدر معهد المنصورة الديني العدد الأول من مجلته ، بإشراف طائفة من أساتذة المعهد وهيئة تحرير من الطلبة .

والعدد مصدر بصورة للسيد الرئيس جمال عبد الناصر ، وأخرى لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر . ويتضمن طائفة كبيرة من الموضوعات الدينية والأدبية والعسكرية وكثيراً من الصور .

وفي العدد بضعة قصائد من شعر الطلبة تبشر بمستقبل لأصحابها إذا داوموا على تنمية مواهبهم الشعرية والأدبية

حول استشهاد بآية :

قرأت مقالا للأستاذ منصور رجب في عدد رمضان من مجلة الأزهر فلفت نظري استشهاده بآية : « وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين » وعند التأمل الصادق لا نجد صلة بين هذه الجملة فقال إنها أرسيت على فكرة ـ الشك باب اليقين ـ وبين الآية الكريمة ولعل للشيخ مقصدا حسنا ، فهو يريد أن يبين أن القرآن الكريم سبق الغرب وفلاسفته ديكارت وأمثاله ، وهذا كلام يمرح الشبان الذين لم يتذوقوا بلاغة ولم يغوصوا في علم . والآية الكريمة وردت لجذب الخصم ليدخل ميدان الجدل والنقاش والحوار لعله يصل إلى الحق ، فالخصم إذا قوبل بما يدل على تجهيله وتجريحه نفر من البحث والتوجه إلى مريد الخير له ، فالسياسة الرشيدة تكون بمثل هذا التعبير . وكلمة الشك باب اليقين اشتهرت عن الغزالي ، وهذه الكلمة لها باب آخر وهو أن المرء إذا شك في أمر حمله ذلك الشك على التمادي في البحث ، ومن بحث ، فهو في الغالب يصل إلى الحق بخلاف المنكر ، فإنه لا يهتم بالبحث ولا بالوصول إلى الحقيقة فهو مقتنع بحالة أفكاره . والخلاصة أنه لا يصح الاستشهاد بهذه الآية على الجملة المتقدمة ، فبينهما فرق عند من له معرفة بالأساليب المنوعة .

سيد علي الطوبجي

رجاء الى السادة العلماء

ترجو إدارة هذه المجلة من السادة العلماء أساتذة الكليات والمعاهد أن يخصوها ببحوث مدروسة فيما تخصصوا فيه من شريعة وفلسفة وأدب وتاريخ ولغة . وستكون المكافأة على قدر ما يبذل في الموضوع من جهد ، وما يحصل منه من فائدة .

الى السادة المشتركين

ترجو الإدارة ممن انتهى اشتراكهم من السادة المشتركين أن يبادروا إلى تجديده حتى تستمر في إرسالها إليهم .

أنباء الأزهر

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر بمكتبه السيد الأستاذ ناصر المنقود مستشار المعارف السعودية ، وقد دار الحديث حول البعثات الأزهرية فى المملكة العربية السعودية وفى بعض النواحى الثقافية .

* * *

شهد فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر مؤتمر الاتحاد القومى العام الذى عقد فى الساعة السابعة من مساء يوم الإثنين ٢٠ / ٦ / ١٩٦٠ بقاعة المحاضرات بجامعة القاهرة

جوائز المتفوقين فى الفنون الجميلة

من طلبة الأزهر

احتفل الأزهر فى الساعة الثانية عشرة من صباح الثلاثاء ٢٨/٦/١٩٦٠ بتوزيع الجوائز على المتفوقين من طلاب الأزهر فى الفنون الجميلة والتربية الفنية ، وذلك بمكتب فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر .

هذا ـ ومن بين هؤلاء طلاب اختيرت لوحاتهم لعرضها بمكتب جنيف الدولى وعددها سبع عشرة لوحة .

احتفال الأزهر بعيد العلم

احتفل الأزهر فى مساء ٢٣ / ٦ / ١٩٦٠ بعيد العلم فى قاعة المحاضرات الأزهرية ، ووزعت الجوائز على المتفوقين من الطلاب فى الشهادات ، وفى العلوم التى حددتها لجنة المكافآت .

مؤتمر معسكر الرواد

يبدأ مؤتمر معسكر الرواد فى مدينة البعوث الإسلامية فى الساعة السادسة من صباح يوم ٨ / ٧ / ١٩٦٠ وينتهى يوم ١٣ منه وفيما يلى موضوعات المحاضرات التى ستلقى فى المؤتمر وأسماء السادة المحاضرين :

١ ـ الاتحاد القومى وسيلة لتطبيق الاشتراكية والديمقراطية لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الحكيم سرور .

٢ ـ المذاهب السياسية فى العالم للأستاذ أحمد مختار قطب .

٣ ـ الاستعمار فى الشرق الأوسط للأستاذ الدكتور محمد البهى .

٤ ـ القومية العربية للأستاذ الدكتور عبد الشافى غنيم .

٥ ـ الاتحادات الطلابية للأستاذ عبد الخالق علام .

٦ ـ الحياد الإيجابى للأستاذ الدكتور مراد غالب .

٧ ـ الصحافة فى طورها الجديد للأستاذ فكرى أباظه .

٨ ـ القيادة للأستاذ محمد على حافظ .

٩ ـ مقوماتنا الروحية لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد المدنى .

١٠ ـ اعرف بلادك ومشاكلها للأستاذ نصر السيد نصر .

١١ ـ دور المرأة فى الإسلام للدكتورة بنت الشاطىء .

جوائز المسابقات الصيفية بين طلاب الأزهر

تقرر أن يباح الدخول فى مسابقات الدراسات الصيفية للطوائف الآتية : من الطلبة

١ ـ طلاب السنة الرابعة المنقولون إلى السنة الخامسة من القسم الثانوى بمعهد القاهرة

٢ ـ طلاب السنة الثالثة المنقولون إلى السنة الرابعة للكليات الثلاث .

كما تقرر أن تكون الكتب والموضوعات التى يجرى التسابق فيها كما يأتى :

١ ـ فى معهد القاهرة

يؤدى المتسابقون امتحانا تحريريا فى المواد الآتية :

ا ـ مادة التاريخ :

دراسة غزوتى بدر وأحد من حيث أسباب كل غزوة ونتائجها وموقف المسلمين فى كل منهما والحديث عن سير المعركة فيهما .

ب ـ مادة الأدب :

دراسة الشاعر محمود سامى البارودى تحريريا وحفظ ما لا يقل عن مائة بيت من ديوانه مع فهمها .

على أن يكون الامتحان فى حفظ القصائد وفهمها شفويا .

٢ ـ فى كلية الشريعة

١ ـ تاريخ علم الحديث (موطأ مالك . صحيح البخارى ، صحيح مسلم) .

يؤدى المتسابقون امتحاناً تحريريا فى الدراسات الآتية :

تاريخ أصحاب هذه الكتب ، ومناهجهم فى تأليفها وشروط القبول عند كل منهم ومميزات كل كتاب وماوجه إليه من نقد مع المقارنة بينها جميعاً من حيث المزايا والنقد .

ب تاريخ الفقه

(الأئمة الأربعة : أبو حنيفة . مالك . الشافعى . أحمد بن حنبل) يؤدى المتسابقون امتحاناً تحريريا فى الدراسات الآتية :

تاريخ كل منهم ، ونشأة مذاهبهم الفقهية وما يمتاز به كل مذهب من ناحية أصوله التى قام عليها ، وأشهر الكتب المؤلفة فيه ، والجهات التى راج فيها وأسباب هذا الرواج

٣ — فى كلية اللغة العربية :

١ — فى علم النحو

(سيبويه . ابن مالك . ابن هشام) .

يؤدى المتسابقون امتحانا تحريريا فى الدراسات الآتية :

(تاريخه ، شيوخه . تلامذته . كتبه ، أثره فى النحو ، ما وجه اليه من نقد) .

(ب) فى علم البلاغة (عبد القاهر ، أبو يعقوب السكاكى ، الخطيب القزوينى)

يؤدى المتسابقون امتحانا تحريريا فى الدراسات الآتية :

(تاريخ كل منهم . شيوخه . تلامذته . مؤلفاته . أثره فى البلاغة . ما وجه اليه من نقد) .

٤ — فى كلية أصول الدين :

(ا) فى علم الكلام (التوحيد) (واصل ابن عطاء . أبو الحسن الأشعرى . عضد الدين الإيجى) .

يؤدى المتسابقون امتحانا تحريريا فى الدراسات الآتية :

(تاريخ كل منهم وآراؤه التى اشتهر بها فى علم الكلام ومؤلفاته .

نشأة علم الكلام وأشهر الكتب المؤلفة فيه .

(ب) فى علم التفسير (ابن كثير . الفخر الرازى . ابن جرير) .

يؤدى المتسابقون امتحانا تحريريا فى الدراسات الآتية :

تاريخ هؤلاء المفسرين ودراسة مناهجهم فى كتبهم التى فسروا بها القرآن الكريم مع الموازنة بينها وبيان مزية كل كتاب منها ، وما وجه اليه من نقد .

هذا وقد اعتمد ستون جنيها لكل جهة دراسية مباح لها الدخول فى امتحان المسابقة ، على أن توزع المكافأة على المادتين المحدد فيهما المسابقة لكل مادة ثلاثون جنيها توزع كالآتى :

الأول من كل مادة ١٢ ج والثانى ١٠ ج والثالث ٨ ج

اعتذار

تعتذر إدارة المجلة من تأخر هذا العدد عن موعده المقرر لأسباب قهرية لم يكن لنا فى التغلب عليها حيلة .

17th OF RAMADAN

by

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief

Islam on immigrating from Mecca, the seat of ignorance, to Yathrib was still lacking support and strength. The pioneers in embracing Islam, whether immigrants or the helpers, were subjected to brutal torments. The Almighty was trying their patience by the pains fallen upon their heads and by the temptations put in their way to find out the staunch supporters to the Islamic creed and the persistent preachers and heroic fighters ready to carry out and disseminate the cause of Islam.

Qurashites were inciting the other Arabian tribes against the pioneers af Islam. Jews were setting traps to pull their legs and the hypocrites were trying to betray them by servile flattery. But when God willed His religion to survive, His glory to dominate and His light to shine forever He ordered theree hundred of his true servants to mount to the Valley of Badr. There they went riding successively on seventy gaunt camels armed with the patience of warriors to bear the paucity of material, supported by the enthusiasm of the true believer to overcome the lash of prestige and by the content of the ascetic to mitigate the challenge of poverty. In their march they were moving deep in the trance of mystics looking forward to meet one of the two groups which God had ordained them to meet ; the commercial caravan or the hostile army, and ready to face either victory or martyrdom. Unfortunately Abu Sufian succeeded to escape with the rich caravan through the sea route. They were thus left to face the furious Meccans who were enraged against the attack waged against their creeds, wealth and authority. They were left with no other alternative but to fight the Meccans who had camped under the leadership of Abu Gahl at the remote end of the Valley. They were 950 warriors iron-clad and armed to their teeth. Their hearts were full of indignation against Muhammad and his followers. Seeing that their fighters outnumebred those of the Muslims

and that their arms were better than theirs they became dead sure of victory.

On the 14th of Ramadan the war broke between the two armies. The Muslims though poor and scanty were only one third of the unbelievers army.

The unbelievers though numerous and rich were chosen from the best warriors of Quraysh. In such a stead Islam was passing a critical examination. The battle of Badr was the turning point in the history of humanity. Humanity had to be led either upon by Muhammed to the way of God and be guided to salvation or by Abu Sufian to the way of ignorance and be dragged into error and confusion to face their utter destruction. At Badr their stood on one side Muhammad and his followers defending the human civilization with its religions and all its aspects of progress. On the other side stood Abu Sufian representing the Barbarians with their idols and fancies. Humanity was then facing a decisive battle. It had to choose between a way leading to its happiness and a stumbling block hinrdering its progress and causing it to relapse into ignorance and confusion, between illuminating light and utter darkness and between submission to God and subjugation to Devil.

The result of such campaign between the forces of right and the hords of wrong was either the loss of human heritage and the eclipse of heavenly guidance or the revival of the good and the victory of the servans of God. To ensure the victory of good and to save the human civilization under such circumstances as afore mentioned a heavenly miracle was needed to support the few hundreds of Muslims against such a threat.

Muhammad, the messsenger of God, faced the Qiblah (niche) and spent the night praying to God and begging Him for help against the deadly attack of the enemies saying "O' God. There is Quraish coming in all its pride to attack your messenger and to charge him with falsehood. O'God, give me the victory you had promised. O'God, If the unbelievers succeed in their attack and this group of believers perish, Islam will be abolishd forever and none will be left to pray for you on this earth".

Vehemently the prophet was calling on his Creator for help that he took no heed to his cloak which dropped down more than once to the ground. Abu Bakr who was standing behind picked the cloak and put it on the shoulders of the prophet saying unto him. "Take it easy ' messenger of God! Surely God will

fulfil His promise". No Sooner had the prophet finished his prayers than the word of God was revealed that victory would be assured and that paradise would be the abode of the martyrs who die in the battle. On hearing the news the Muslims gave themselvas soul and mind to fulfil the deed and to gain the victory. They had nothing to ponder upon but the promised paradise. Thus they attached their enemies with hearts full of confidence and trust in God whereupon God put in the hearts of the unbelievers fear and distrust. As such the umbelievers were driven to meet their death.

When the battle was over the multitudes of the unbelievers were completely defeated and the great dam of idolatry was thus demolished under the pressure of the flood of the new spring rushing forth from the rocks of Badr and the illuminating light of true faith emanating from Yathrib dissipated the heavy clouds of darkness. Consequently the result of the battle proved the fulfillment of God's promise and the victory of three hundreds of believers over nearly a thousand of unbelievers which is obviously a heavenly miracle.

However the battle of Badr is not noticed and recorded in history because of its strategy, equipment and expenses for there are nothing compared with great battles recorded in history. In fact it was no more than a fight between two quarters of one city. But its importance arises from the fact that its consequences had changed the march of history and influenced the future of the world. It had a great impact on the history of peace. It had been a decisive decree of fate which changed the attitude of the human race and enabled the Arabs to play their part and give their contribution to the advancement of science, preservation of civilization and the dissemination of the message of God.

The victory in such battle was not the result of arms and men but it was the result of truth and deep faith. True faith is always a strength bestowed by God in which Angels and heavenly spirits contribute. It is enforced by hope, love, altruism and idealism. It never cares for numbers nor fears arms. It never hesitates in face of danger.

By such true faith pushed by God into the hearts of true believers. He created strength out of weakness at Badr, Kadisieh and Yarmuk, a civilization and prosperity which spread good and plenty all over the world out of the barrenness of the desert and disintegrity of the arabs a state which regulated the world and reduced it to order by enforcing justice and religion which unite the souls by fostering mercy and sympathy.

THE PLURALITY OF WIVES "POLYGAMY"

by

His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University

Part 1

The plurality of wives was one of the topics so maliciously exploited by the fanatic organs of the west that it excited a train of critical thoughts. Such attacks have even actuated groups of Muslims at successive periods to ask for a legislation to impose restrictions not enjoined by God upon such institution.

Such institution was weighed on different scales. It has been looked upon from two different angles: the angle of the legislative text and the angle of social cases. Such diversity of approach has led to controversial treatment.

Thus it is not strange to see that some thinkers have come to the conclusion that the ban of plurality is the criterion and that polygamy is a provision for urgent emergencies; while some others have come to the conclusion that the permission is the criterion and the ban is resorted to only when it is feased that the evil of practicing such institution overweighs the good.

On the other hand the social researchers have widely differed on such matter. Some have seen in polygamy a social crime which endangers both the status of the family and the nation. So they urge the necessity of enforcing the limitation of such provision. Others see in such an attitude a turn to the extreme in dealing with the problem and a judgement as such is based solely on grounds derived from studying abnormal cases which can not be looked upon as a sound basis for restricting a legislation which has proved beneficial in both social and moral spheres. Moreover the abuses of the abnormal cases can not be mentioned beside the countless advantages of such legislation.

In the light of such circumstances the problem has to be tackled. This indeed necessitates to review the Problem in details from both angles: the legislative and the social, and to weigh justly the justifications of both using the scales of justice prescribed in the holy Qur'an to be

the criterion of fair dealings amongst all creatures. Consequently such treatment will be dealt with in tow chapters :

1) Polygmay in the light of legislative texts.

2) Polygmay in the ligh of factual social cases.

Polygamy in the light of legislative texts

Plurality of wives is an old tradition.

There is no doubt that the Holy Qur'an has decided the legitimacy of the plurality of wives. This is seen plainly in the 3rd verse of the fourth Surah " An-Nisa " " Women ".

" And if you fear that ye will not deal fairly by the orphans, marry of the women, who seem good to you, two or three or four ; and if ye fear that ye cannot do justice (to so many) then one (only) or the captives that your right hands possess. Thus it is more likely that ye will not do injustice ". and in the 129th verse of the same Surah. " ye wish not be able to deal equally between your wives, however much ye wish (to do so). But turn not altogether away (from one), leaving her as in suspense. If you do good and keep from evil, lo ! God is ever Forgiving and Merciful ".

However Islam in instituting both marriage and the plurality of wives was not intiating something which had not been prevalent before its inception. In fact it was approving the natural cravings of man with certain moral modifications which it had felt necessary to impose to ensure a moderate standard for humanity and to save man from abnormality and depravity and to keep for the society the best elements of these natural cravings. Such was its method in dealing with all human relations and ways of life which society calls for.

Marriage has been a natural craving in man since the dawn of human race. Plurality of wives has been practised as well since the ancient times. It was widely spread and mentioned in many of the holy scriptures. History givs us so many examples of plurality as sush mentioned in the history of Abraham, Jacob, David, Solmon and other prophets and Messengers of God.

History provides us with striking examples of plurality as such spread amongst the Arabs and the other nations. Europeans were not an exception in that. Plurality has been permitted since the early day up to the

reign of Charlemagne. Charlemagne himself married more than one wife. But at his time the priests advised polygamists to choose only one of their wives to be the legal wife and to keep the others as concubines.

Since then the plurality in Europe has turned to be a sort of abominable concubinage which derogates the moral standard of man and mars his dignity. It is thus evident that to Europeans plurality through legal marriage was not permissible while it was allowed practically through illegal intercourse.

Raison d'etre of Plurality

Researchers who had disscussed the problem of polygamy, gave various reasons to account for this tendency in man. Some of them refer these phenomena to the egoism in men's nature and the wish to keep for themselves as many women as they can. If the existence of such egoism is admitted and accordingly it is accepted as a true reason for plurality of wives, it is then clear that its aim is not the mere wish to possess and to keep for himself as many women as he can bu it is as well the wish to satisfy a natural craving in man. Such aim could be easily understood if the second reason for plurality is taken into account. The second reason refers polygamy to a sexual factor inherent in the nature of both males and femals. This foctor necessitates the continuity of the sexual drive and the extension of the time limit of its functional ability. On the other hand it neces.itates occasional absence of such drive in women. As a result women are apt to loose completely at certain intervals that drive. Such loss is often felt during the monthly periods, conception, confinement and delivery. It necessitates too that women's functional sexual ability extends a shorter period than it does in man. A woman's ability is naturally nulled when she comes to menopause. Menopause is almost arrived at by the age of sixty. Such failure to keep the drive any longer after menopause will leave the male efficient to perform the sexual indulgence with no response from the other sex a period that may extend between forty and fifty years. As such he will be liable to suffer either physically or morally or to suffer both physically and morally.

Some other researchers account for such plurality to be a result of a natural phenomenon which increases the birth rate of women while it lessens the birth rate of men. Such phenomenon has actuated nature to treat men so severely that the rate of death amongest them is higher than the rate of death amongst women.

If such severity is only demonstrated by the wars almost waged against human race all over the world, it would be enough to prove the immense sufferings and sacrifies of men in this belligrent universe. What whould be the result if we add to the catastrophes of war which annihilate men by thousands leaving the majority of living souls barely women and children, the hardships of life which men and specially labourers suffer. Labourers who perform their duties exposed to fire and steel, endangering their lives in the depths of seas and oceans, in utter darkness of mines, in the debris of demolished houses, and in the quarries wherein all the brunt falls upon man's shoulder.

The Islamic law has refined the natural craving.

These are the reasons given to account for this social phenomenon. In fact they are reasons derived from tangible realities in the life history of human beings. In the light of these natural human experiences it was concluded that Polygamy is an old and a well established social tradition. Such tradition has continued up till the advent of Islam. When Islam came it did not revoke the natural drives which are the sources of Plurality but it did refine them from two angles. Firstly it has restricted polygamy to a certain number by which human cravings can be satisfied uninfluenced by the periods wherein women lose their sexual drive.

Secondly it has enjoined that man shuold fairly satisfy the needs of life of his women and to be just in dealing with them for such behaviour will contribute much to maintain peace, to foster a sense of safety and to evade injustice, favouritism and deviation.

These two conditions are unanimously acquired by all Muslim jurists and corraborated by all Islamic legal texts. The Holy Qur'an enjoins these two points in the 3ed verse of the women's Surah by saying " two or three or four and if ye fear that ye cannot do justice to so many then one only ", and by saying in the 129th verse of the same Surah " But turn not altohetger away (from one), leaving her as in suspense ".

The misuse of God's words.

It is strange to see that some people have come to the conclusion that these verses account for the illegality of plurality. Their pretext in that is that plurality was permitted on the condition of justice as seen from the wording of the first verse and that the satisfaction of

this condition is not possible since the second verse indicates that man will not be able to deal equally between his wives.

Such explanation is a plain misuse of God's words. It is a misconstructions of these verses and a deviation from its real meanings. It is unreasonable that God advises polygamy when fearing to deal unfairly by the orphans and makes equal dealing between wives a condition for permitting polygamy in a way that suggasts its feasability and then denies its possibility.

The proper meaning of the two verses.

The proper explanation of these two verses which agrees with the holiness of the revelation, the raison d'etre of the legislation, the order of the context and the motives for the revelation of the second verse lies in the fact that when it was said in the first verse " And if ye fear that ye can not do justice (to so many) then one only " it was understood that justice between women is binding. Some thought that the conception of justice if generalised must imbly the practice of equality in every detail of dealing between women whether In one's power or not. Such explanation did put the believers In a critical situation. Really it was a critical situation for th conception of justice as contemplated by some believers was impossible to be put into effect simply because these are sides which are beyond one's control. To evade this criticalness contemplated by the believers and to guide to the true meaning of justice and its implications the second verse was revealed.

It was revealed to tell the believers that Justice meant by God was not the conception you were driven to that made you feel awkward and annoyed about the plurality of wives and thus prohibited what God had permitted. It meant only that you should not turn altogether away from one leaving her as in suspense.

This heavenly decree was an explanation expected by the believers after the revelation of the first verse and the dilemma they were driven to by their understanding to the concepion of that verse.

The wording of the 127th veres of the same surah guides to this view. The verse starts by saying: "They consult thee concerning women. Say God giveth you decree concerning them" then mention many issues which were the object of their consultaion. The last of which was God's decree that "Ye will not be

able to deal equally between your wives, however much ye wish (to do so). But turn not altogether away (from one), leaving her as in suspense.

The practice of the nation is the clearest proof

This indicates clearly that the second verse co'operates with the first one to detremine the principle of plurality of wives in a way that confirms its permissiblity and dissipates all the clouds of criticalness. In the light of this principle the prophet, may peace be upon him, married more than one wife and so did his companions and followers. After them Muslims through the ages used to marry more than one wife whenever they wished. They used to see in the performace of such plurality in the light of the justice they are asked by God to observe a benevolent deal to women as well as men themselves and that by so doing they are doing good to the nation at large,

Fourteen centuries have passed since then and in each century there appeared a host of illuminated savants well versed in the Islamic studies all over the Islamic World. Their views and opinions were recorded and widely spread by education and publication in a generation after generation yet we never heard that any one of them had said that the second verse abrogates the first one or tries to abrogate any of the principles decreed by the first verse. In fact they all agreed that it was an explanation to what was meant by the demanded Justice which the fear of its lacking was made a binding motive for sticking to one wife only.

The individual alone can judge his ability to behave justly.

Again they all agreed that God's decree "if ye fear that ye can not do justic (to so many) then one only" was addressed to the individuals concerning matters in which they are the sole judges. In deciding it they have to refer to themselvs, to their conscience and to their will. Such behaviour had no regular and true manifestation or even predominant features that it would be easy to the ruler to detect and apreciate and thus could easily arrange to issue a legislation based on his experience with a view to either prohibiting polygamy or permitting it.

So many people who may look apparently rough and unmannerly may prove when married to be courteous and dutiful.

Thus It is up to the person

himself to decide whether he fears the lack of justice when marrying more than wife or not.

It is he who is responsible before God to take the suitable measure which complies with his intrinsic feelings in that direction. The law has nothing to do with such inner traits. It is a personal responsibility which is left to the person to judge by himself his ability to perform. It is just the same as the other enjoinments which are left to the believer's discretion such as fast breaking and when one fears illness or the augmentation of illness if one fasts or uses water.

When does the law interfere?

The law has to interfere in the case of a person who married already a second or a third wife and proved to be unjust towards one of them conditional the persecuted wife should declare that to the ruler and complain to him of ill-treatment. There the law interferes by advise admonition and then by sending two judges; a judge out of her family and a judge out of his family to tackle the question and seek reconciliation between the two parties. Then by all means prescribed by God to make reconciliation possible. Should this course fail to mend matters and reconciliation seem futile the judge is empowered to divorce her. Such procedure was guaranteed by both the Islamic law through the enactment of admonitions and by the legislation through the enactment of the principles of divorce for fear of injury which Imam Malik proposed.

The permission of plurality is the rule :

From the aforesaid one can conclude that plurality has been permitted since the dawn of legislation both by word and action whenever the believer does not fear to deal unfairly between his wives. If he fears injustice between his women it will be incumbent upon him to marry only one woman to rid himself of the sins of such fright. Again it is quite clear with reference to what we have mentioned before that the permission of plurality does not depend upon satisfying conditions other than the ensuring of justice and the lack of fear of being unfair. It does not depend upon motives such as the barreness of the woman, her illness which exposes her husband to divert from chastity, and the out numbering of women in a way that endangers their chastity. However it is necessary on marrying a second wife that one should satisfy the same conditions of marrying the first wife

that is the ability to pay her the dowery and to ensure her living expenses.

The verse has put the plurality of women in a radical position while trying to get rid of the unfairly dealing with orphans. Then the restriction to one only on fearing injustice between wives was mentioned. From that we can deduce that justice is a radical trait in man. Being so it would lead to the conclusion that the permission of plurality is the radical decree since justice is original in man and injustice is an extraneous deviation which comes upon man suddenly and causes him to fear it. The existence of such fear impels him to marry only one wife.

This explanation complies with the conclusions of the researchers who have been trying to account for the phenomena of plurality and whose views were mentioned before.

The reasons mentioned whether taken as a whole or in detail enjoin the plurality of wives either to satisfy man's needs or the woman's need.

If the decree is taken to mean the prohibition of plurality then the wording of the verse must need to be changed as thus " If ye fear to deal unfairly with the orphans marry only one from amongst other women. If she proves to be barren or sick and ye were obliged to marry another one then marry two or three or four as ye wish ".

Undoubtedly this view will cause the purpose aimed at by decreeing the plurality of wives to be missed that is the extension of the scope of choice before them and making them at ease when they have to leave the orphan in fear of dealing unfairly with them.

The mode of expression should have been as such accustomed in the style of the holy Qur'an when it does need to permit something forbidden necessity. Such a style can be observed in the following verse wherein God says :

" Forbidden unto you (for food) are carrion and blood and swine flesh, and that which has been dedicated unto any other than God " . . . . up to the end of the verse wherin He says " Whoso is forced by hunger, not by will, to sin : (for him) Lo ! God is Forgiving Merciful. " Again taking this view into consideration will make the verse indicate that the sticking to one wife is the radical decree and the binding one, and that the permission of plurality is only resorted to when there is an impelling need.

Nevertheless the fact remains that nothing of these suppositions have any existence for actually the wording of the verse has given priority to plurality as a means to rid the believars of the criticality of being married to the orphans. Then the restriction to one wife only was ordained as a suspended measure to be resorted to when one is suddenly exposed to the fear of being unable to deal fairly between women.

Consequently one can say that there are no indications in the wording of the verse to determine what is radically demanded and whether is it the plurality or the one wife only. Notwithstanding that one can say that the radical issue is the plurality, it is also the needed as a reaction to the natural human drives which are instinctive in man and as a response to the factors of human sociology which have enjoined the plurality of wives through the ages from the olden times up till now.

In fine if the plurality was limited by any condition other than the fear of injustice between women, such restriction would have not been overlooked by the original source of legislation since the question was of a major importance to the human society and had a direct impact upon the law and order of such society. Had there beeb any othe restrictions, the attitude of the prophet, peace be upon him, towards those who hed embraced Islam while keeping more than four wives, would have been otherwise than just asking them to keep only four if they wished and to divorce the rest. Had there been any other restrictions, it would have been incumbent upon the prophet to explain to the believrs that such sight is not absolute but it is restricted by satisfying certain conditions such as the barrenness of the first wife or her illness or the ability to sustain and bring up his children or the ability to cover the expenses of his relatives whose sustenance is his personal responsibility. It would have been incumbent upon the prophet to clarify the situation and to direct the believers to th right path since the time was the proper occasion for laying the foundations of legislation. But actually, nothing of that had happened. This would undoubtedly show that plurality was not an accidental measure resorted to on emergencies and that its permissibility was not conditioned by anything other than the sense of safety to deal with women justly which lies within the power of man such as equality in covering their expenses in clothing and in lodging.

Ghazali's view :

It would be advisable to quote here Ghazali's view concerning the plurality of wives and the reason for its permissiblity from the point of view of the sexual drive to which we had referred on discussing the views of Connoisseurs and social researchers in accounting for pluraliy. He said : " Ther are some human natures whose sexual drive are overpowering that it could not be satistied with one woman only. To such natures it would be suitable to marry more than one wife up to four. It by so marrying they felt satistaction, love and security then it is a blessing of God. If they do not feel satisfaction and ease it would be better for them to change their wives ".

In such a manner all the companions of the prophet did behave. Scarcely there was any amongst them who had not more than one wife.

Then Al ghazali added " However clear are the motives one should take of the medicine what deems enough to cure the illness. Self-satisfaction is really what is aimed at so one should take that aim into account when resorting to marry more than one wife ". By so saying Al ghazali is referring to the fact that the plurality of women is legally permitted to chastise oneself on condition that one should take himself by fair dealing between his women. He is referring too to the fact that those who marry more than one wife simply to satisfy their tastes for change without any real need to keep one's chastity or to evade sin are in fact behaving in a way contrary to the directives of the Islam law.

ISLAM: ITS ORIGIN AND ITS FUTURE

This is a rejoinder to Series number II of All-Union Society for Propagation of Political and Sicentific Knowledge which discusres the same topic under the same caption, and which appeared in Moscow in 1956 and was introduced to the Arab readers as " The Grey Note- Book ".

" Continued "

in Jordan with dreadful threats to frighten the Muslims and disturbe their peace. When the Prophet knew these aggressive intentions and mischievous inclinations, he did not wait for the Romans to knock his door and attack him at home. He thought it wise, and so it proved to be, to shift the field of the inevitable battles with the Roman to a remote area under their illegal and unjust control. These battles were designed to prevent any more penetration by the enemies into the land of Islam, and to expel them out of the territories which they conquered against the will of the settlers. They were also meant to insure the liberty of the Muslims to exercise their freedom and to give the non-Muslims a chance to emancipate themselves and embrace Islam if they would be guided by its lights. Thus started the open conflict between the Romans and the Muslims.

It was not, therefore, the intention of the Muslims to fight, and when they had to fight they did not mean to impose their religion on other people nor to make their race superior to others nor to seek personal benfit or sustenance. When Islam came it brought principles designed to narrow the sphere of war and justify it for honest reasons only. It was a long-standing traditions of the Arabs in the Pre-Islamic era to fight for spoils or for demonstration of power or for mere tribel consolidarity regardless of any other moral consideration. But with the declaration of Islam a new concept of war was taught and a moral approach to it was established. This was derived from the conclusive statement of the Messenger in which he said : Whoso fights to make the world of God the uppermost is the fighter in the way of God."

It is a well-attested historical fact that the Muslims did not fight for imperialistic gains or usurpation; they fought to abolish oppression, to secure freedom and to spread the

principles of peace and equality. The achievements of the Muslims in this respect have been very impressive and deeply convincing even to many outsiders.

The relation Between Man and Woman:

Before Islam woman was considred a mere object of bodily pleasure for man. She did not enjoy any sense of value for herself nor did she exercise any right of expressing her opinion or demonstrating her well. Even her very nature as a humam being with an immortal soul was a questionable matter. The universally prevailing conception of woman was that she was a worthless and inferior being. But the position of woman was fundamentally changed after the propagation of Islam whose book assured woman of equality and established a balanced course of relation between man and woman. The Qur'an says : "O mankind, surely We have created you from a male and a female . . . " (Surah. 48, V. 13,) and " Whoever does good, whether male or female, and is a believer, we shall certainly make him live a good life, and we shall certainly give them their reward for the best of waht they did " (Surah. 16, V. 97.) Again it announces that " the believers, men and women, are friends one of another..." (Surah. 9, V. 71.) Practically in every place in the Qur'an where references to man are made, the same is true of woman. Thus woman gained her freedom, and it was Islam which brake her fetters and stressed her equality to man and explored her personality. So for as natural rights and responsibilities are concerned, Islam admits no discrimination between man and woman but equality is the rule in this respect. It is a sufficient argument to prove this faint that the Qur'an says : " And women have rights similar to those against them in a just manner . . . " (Surah. 2, V. 228.) The Messenger also says ; "Women are men's sisters. "

There is nothing in the Qur'an or the Traditions to give man superiority over woman or to speak of the latter as inferior to the former. The Qur'an, nevertheless speaks of men as having a degree above women, but this should not be misunderstood. This degree does not mean superiority or favourtism. It is the degree of guardianship and responsibility for maintaining the family and running the home, not that of suppression or injustice. The degree of man is really an additional burden to him and an extra responsibility. It does not affect the woman's freedom of belief or thought or conscience or enterprise. It does not upset any of her established right.

When the Qur'an excels man over woman by the degree of guardianship and responsibility (Surah. 2 V. 228 ; S. 4, V. 34) , it is in accordance with factual rules of existence and laws of nature. The male of every species is by nature more prepared to be endowed with guardianship and tasked with responsibility for the female. Beyond this said degree, the Qur'an and the Traditions prescribe that woman is man's partner in opinion on many respects. For example, the Qur'an says : " But if both (wife and husband) desire weaning by mutual consent and counsel, there is no blame on them " (Surah. 2, V. 233) . Moreover, the mother in prticular is entitled to give her opinion concerning her daughter's marriage. The attainment of the mother's consent is strongly recommendable. Furthermore, woman has the final word on her merriage. Nobody is authorized to force her to accept matrimony against her will. If she disapproves of any contract made on her behalf, she has every right to object and annul the contract. Thus we see that Islam honours woman and entitles her to all legitimate rights. Unjust discrimination between man and woman on the basis of the latter's nature is inconceivable to Islam. The natural differences between them are recognized by Islam to maintain justice and keep life going in a balanced manner.

Islam and Sciences :

Unlike any other religion or doctrine Islam establishes its faith on the foundation of thinking and meditation, not of blind imitaion and unquestionable authority as has been the case with other religions. Practically in every chapter of the Qur'an there is a vigorous demand for knowledge and research. Througout we come across passages and verses which press mankind to discover themselves, the universe and nature at large. Knowledge in scientific as well as intellectual terms is the supreme quality of man on the basis of which he is honoured and made superior to other beings. It is the logical introduction and premise to faith. Once man *knows*, he is bound to end within faith, because Islam does not accept faith unless it comes as a result of conviction, which is the leading guide to the truth : "And that those who have been given knowledge may know that it is the Truth from their Lord. so they should believe in it." (surah. 22, V. 54).

The Qur'an refers to the *appreciation* of the working forces in the universe and to the knowledge of the natural phenomena as the leading course of man to dutifulness and

piety. Et says : "Seest thou not that God sends down water from the clouds, then We bring forth therewith fruits of various hues ? And in the mountains are streaks, white and red, of various hues and (others) intensely black. And of men and beasts and cattles there are various colours likewise. Those of His servants only who are possessed of knowledge revere God." (Surah 35 V.27-28)

The Qur'anic tune urging for knowledg is not confined to any particular field. The Divine exhortation embraces all departments of research and study. The Qur'an makes no secret of its attitude towards knowldge. It excels the learend people and gives to them utmost preference to those who do not know; "Say : Are those who know and those who know not alike ?" (Surah. 39, V. 9). It forbids the Muslim to yield to superstition or follow mere conjecture or make any conclusion without proof. It does not tolerate blind imitation and unquestionable authority of traditions or ancestral legacy; "And when it is said to them (the disbelievers) : 'Follow what God has revealed,' they say : 'Nay, we follow that wherein we found our fathers : What ! Even though their fathers had no sense at all, nor did they follow the right way" (Surah. 2, V. 170).

Although the Qur'an is mainly a Divine revelation meant to give moral guidance in the sphere of behaviour and legislation, nevertheless it calls for scientific discoveries and urges for the exploration of every department of knowledge in the universe. It is not a book of physics or astronomy or the like, but it enjoins the study of such subjects and contains a great deal of them. If this is the attitude which the Qur'an adopts with regard to the scientific and intellectual knowledge, how can it be said, then, that the Qur'an contradicts science or impedes knowledge ? The Qur'an cannot be contradictory to any valid and proved fact in science, although it may be in disagreement with some thinkers and scientists who uphold mere opinions or unproved conjectures. If, however, it seems to be in disagreement with some scientific rules or indisputable data. it is so elastic that it can be intepreted in a figurative sense, which does not affect the basic meanings and which will make conform to scientific facts. Such a method does avoid any kind of intellectual embarrassment to the Muslim, and it is, at the same time, in complete accordance with the nature of the Qur'anic style which employs general terms when referring to scientific matters or speaking of natural phenomena. This generality of the Qur'anic terminology was

inevitable; because when the Qur'an was revealed people were in a state of common ignorance, particularly of science.

This is the attitude of Islam towards knowledge in the broadest sense. It does not influence the authentic nature of the Qur'an therefore, if it stands in opposition to some questionable ideas or human doctrines, because the only criterion by which the Qur'an can be judged is the Qur'an itself. It is the Divine revelation which excels man for his intellect and honours knowledge as the leading course to exploration of self and nature. So it would be illogical and even a contradiction in terms, if the Qur'an were to contradict any scientific fact or authentic data.

The Sources of Islam :

Islam has definite suorces from which it has come and by which only it can be judged regardless of any other consideration. These are : the Qur'an, the Prophetic Traditions and *free judgement* by qualified doctors. The Qur'an, meaning and text, is the word of God Who revealed it to the Messenger Muhammad through the angle Gabriel. It could not be the composition or work of Muhammad, who did not speak out of personal desire. " It is naught but revelation that is revealed " (Surah. 53, V. 4). His role, however, was (i) to receive the Qur'an, learn it and keep it : " We shall make thee recite so thou shalt not forget " (Surah. 87 V. 6); (ii) to convey it and make it known : " And it is a Qur'an We have made distinct. so that thou mayest read it to the people by slow degrees, and We have revealed it in portions" (Surah. 17, V. 106) ... " O Messenger, deliver that which has been revealed to thee from thy Lord; and if thou do (it) not, thou has not delivered His message " (Surah. 5, V. 67); (iii) to teach the revelation and give explanation to what was revealed : " And We have revealed to thee the Reminder (the Qur'an) that thou mayest make clear to men that which has been revealed to them, and that haply they may reflect " (Surah. 16, V. 44); and (iv) to apply its teachings and give practical examples : " Surely We have revealed the Book to thee with truth that thou mayest judge between people by means of what God has tought thee" (Surah. 4, V. 105). As a result of all this he has been the highest model of virtue for the faithful under all circumstances and " an excellent exemplar for him who hopes in God and the Latter day, and remembers God much" (Surah. 33, V. 27).

The Qur'an has been reported to us through most reliable authorities and in the most authentic manners. The validity of the text is indisputable and beyond any questioning. Many historical and personal factors as well as rational arguments attest this statement and place the Qur'an in a position to enjoy authenticity the like of which has never been enjoyed by any other book, Divine or otherwise. This is why it is the first source of Islamic beliefs, laws, morals and guidance. It is also why it has been the main object of reflection and study by all Muslim doctors, with everyone in his own field. Because they were familiar with the philosoply of the Arabic Language and appreciated the profound indications of the Qur'an. These doctors did not find any contradiction or inconsistency between the Qur'anic verses. On the contrary, the Qur'an to them seemed harmonious and self-complementary : " Will they not then meditate on the Qur'an ? And if it were from any other than God, they would have found in it many a discrepancy " (Surah. 4, V. 82).

It is true, however, that the Qur'an contains verses which are decisive and definite in giving one meaning, and some others that are allegorical or equivocal which many suggest more than one possible meaning (Surah. 2, V. 6. cf. 11: 1). But this should not be misunderstood or considered as a deficiency of the Qur'an. None is justifiable to ask : Why has not the total Qur'an been revealed decisive ? What is it for this allegorical language ? Such a question would be a non-intelligent one. Those who knwo the value of man's responsibility, the philosophical nature of languages, the intellectual differences between mankind, the unconditioned universality of the Qur'an and, finally, the nature of Islam which demands reflection and meditation will find it easy to welcome such an allegorical tendency in the Qur'an because this will inspire them and attract their minds to reflection.

God the Merciful, and the Wise, has chosen the decisive verses to be the basis of the Book to which basis all disputes or controversies must be referred. But other verses instigate the mind and encourage intellectual discussions. Disagreement on the interpretations of such verses is tolerable and sound arguments are welcomed. The only thing which is intolerable is defamation and slander. Because these allegorical verses do not, thank God, deal with fundamental articles of faith, the Muslims are urged to look to them with broad mindedness in such a way as to co-operate in that which

they agree on and excuse each other for that which they may disagree on. It is in this way that the Qur'an is concieved as the Book of integration and unity, the Book of the whole humanity throughout ages and regions. Had the Qur,an been different from what it is, it could not possibly have been the Divine Book of God and the source of intellectual illumination and human happiness.

The second source of Islam is the prophetic Traditions which include his words and deeds. The Messenger did not spoke or act out of personal desire or capricious inclinations. His words were interpretations of the Qur'an and his actions were applications to the Qur'anic teachings. It is with this spirit that the doctors of Islam have adopted to the Traditions. They have done everything humanly possible to examine the Traditions and distinguish the genuine from the otherwise. They exhausted all possible means of investigation and criticism. To authenticate the genuine Traditions those doctors created the sciences of *terminology*, *text*, *narration* and *narrators*. They laid down logical rules and moral requirements as well as accurate criteria to examine the authenticity of the Traditions. Besides, any Tradition must be examined by the intellect and in the light of the Qur'an and its general spirit. With all this and by the mentioned precautionary measures it is only logical to say that Islam has the most authentic collection of Traditions, and that the care which these enjoyed from the Muslim doctors is unique indeed. It is on these bases and with all these considerations that the Traditions of the Meseenger serve as the second source of Islam.

Side by side with these two inspired sources of Islam, there is the third human factor, that is, the intellect or *free judgement* of qualified authorities. Not only do the Qur'an and Traditions vigourously urge the intellect merely to reflect but even to reflect on them and draw conclusions. They are the main sources of Islam, yet they are the object of intellectual meditation. They constitute a vrey large scope for thinking.

Because the two Divine sources were never meant to arrest the intetlect by adopting a rigid attitude in every minor detail, they were made open to the intellect which has become accepted as the third

source of Islamic legislation and teachings. Thus *free judgement* from qualified doctors based on the Qur'an and Traditions, and harmonious with sound use of itellect is considered valid and authoritative. It is due to this principle that the Muslims during their glorious ages made valuable contributions to human culture and civilization, and that they have had a very legacy of intellectual schools and legal systems. Again it was this very principle which made the Muslim doctors tolerant toward each other and pre pared to accept whatever is proved to be sound even if it was against their own former notions.

The Qur'nic truth is universal; the genuine Traditions are ever valid, and the sound intellect is continually urged to reflect. Upon three bases Islam has been established, and from them it has come down to mankind with truth and righteousness, good and security, peaceful prosperity and incessant happiness.

Translated and elaborated by Hummudah Abd-al-Ati & Abd-al - Muhsin El-Biyali, both of the Islamic Culture Administration, al-Azhar University.

الفهرس

صفحة

١ من ذكريات المحرم : هجرة فى سبيل الله وشهادة فى سبيل الحق
للأستاذ أحمد حسن الزيات

٥ من ينابيع الهجرة
لإمام المسلمين الأكبر الشيخ محمود شلتوت

٨ فن جديد من فنون الدعوة
للأستاذ عباس محمود العقاد

١٣ الكرامة والعزة فى القرآن الكريم ـ ب ـ
للأستاذ محمد محمد المدنى

٢١ نفحات القرآن : لمحات زاخرة من صدر التاريخ
للأستاذ عبد اللطيف السبكى

٢٧ الدين والعلم الحديث : نزعة ضارة خاطئة
للأستاذ محمود الشرقاوى

٣٣ الخمر وأخواتها رجس من عمل الشيطان
للدكتور سليمان دنيا

٣٧ شعراء الوحدة : العماد الأصبهانى
للأستاذ على العمارى

٤٧ نشأة النحو العربى
للدكتور تمام حسان

٥٧ دراسات فى التصوف ـ الحركة التنسكية فى القرنين الأول والثانى للهجرة
للدكتور محمد غلاب

٦٣ الإسلام دين المحبة
للأستاذ مودة عبد الواحد

٦٧ الزواج فى الإسلام
للأستاذ محمد سلام مدكور

٧٣ إنه عربى (من مشاهد الهجرة)
للسيدة سميرة المغربى

٧٧ من رجالات الإسلام ـ عاصم بن شراحيل الشعبى
للأستاذ محمد إبراهيم الجيوشى

٨٣ الدين للضرورة أم للكمال
للأستاذ محمد فتحى محمد عثمان

صفحة

٨٧ جزيرة لامو (مركز الثقافة الإسلامية فى شرق إفريقية)
للأستاذ ابن سليم

٩٠ العبادة فى الإسلام لا يجوز أن تصحبها الموسيقى
للأستاذ مصطفى أحمد الزرقا

٩٤ مايقال عن الإسلام : أديان الدعوة
للأستاذ عباس محمود العقاد

١٠٠ مختارات من الشعر القديم والحديث : هجرة الرسول
للأستاذ أنور العطار

١٠٤ آراء وأحاديث : الأزهر والملايو ـ المسلمون فى تاريخهم العظيم ـ ديمقراطية الإسلام ـ الكتاب والإسلام ـ الأزهر فى حاضره ومستقبله ـ رسالة الأزهر خالدة ـ فى كلية الشريعة ـ فى كلية أصول الدين ـ فى كلية اللغة العربية ـ فى المعاهد الدينية ـ منشآت جديدة ـ إدارة البحوث والثقافة الإسلامية (معهد الإعداد والتوجيه ـ قاعة المحاضرات ـ مدينة البعوث ـ قسم البحوث والترجمة ـ المطبعة والمجلة ـ البعثات : وافدة أو موفدة ـ قسم الوعظ والإرشاد) .

١١٢ الكتب : تفسير القرآن الكريم : للأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت ـ الإسلام فى أمريكا : للدكتور محمد يوسف الشوارنى

١١٩ بريد الأزهر : فتاوى الشوعية ـ فتوى الإمام كاشف الغطاء ـ عالم فتنته الشيوعية فارتد عن دينه ـ حول ماء بئر زمزم ـ مجلة المعهد الدينى بالمنصورة ـ رجاء إلى السادة العلماء ـ إلى السادة المشركين

١٢٤ أنباء الأزهر : جوائز المتفوقين فى الفنون الجميلة من طلبة الأزهر ـ احتفال الأزهر بعيد العلم ـ مؤتمر معسكر الرواد ـ جوائز المسابقات الصيفية ـ فى معهد القاهرة ـ فى كلية الشريعة ـ اعتذار